مشاهير قادة العالم

مارلبورو

جون تشرشل دوق مارلبورو

تأليف

بسام العسلي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

٢٨١٤
٥/٢ $

مشاهير قادة العالم

مارلبورو

جون تشرشل دوق مارلبورو

تأليف
بسام العسلي

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

جـميع الحقوق محفوظة

المؤسّسة العربيّة
للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقياً - موكيالي بيروت - ص.ب : ١١/٥٤٦٠ بيروت

الطبعة الأولى
١٩٨١

مارلبورو

جون تشرشل دوق مارلبورو

تأليف

بسام العسلي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م

الوجيز في حياة (مارلبورو)

١٦٥٠- ١٧٢٢

السنة	وجيز الأحداث
١٦٥٠	ولادة جون تشرشل (مارلبورو) في (آش) انكلترا .
١٦٦٧	تعيين (جون تشرشل) في حرس المشاة لدوق (يورك) .
١٦٦٨	(جون تشرشل) يخرج في حملة بحرية الى (طنجة)
١٦٧١	عودة (جون تشرشل) الى (انكلترا)
١٦٧٤	ترفيعه الى رتبة (عقيد-كولونيل) . وخوضه الحرب الى جانب ملك فرنسا لويس الرابع عشر ضد (هولاندا)
١٦٨٥	وفاة الملك (شارل الثاني) وتولي (جيمس الثاني) عرش انكلترا، وقيام ثورة (بروتستانتية) كان لجون تشرشل دور كبير في قمعها ومنحه لقب (دوق مارلبورو) .
١٦٨٨	انقلاب (مارلبورو) على مليكه (جيمس الثاني) وانضمامه الى (امير الدانمارك) ويليام- الذي قام بغزو انكلترا وضمها لحكمه .
١٦٩٢	الامير (ويليام) يجرد (مارلبورو) من كل واجباته المدنية والعسكرية .
١٦٩٢	اعتقال (مارلبورو) وسجنه في (برج لندن) واتهامه بالخيانة العظمى . ثم اطلاق سراحه . ولكن دون تكليفه بأعمال رسمية .
١٧٠١	تعيين (مارلبورو) قائداً لجيش البلاد المنخفضة (هولاندا)
١٧٠١-١٧١٣	حرب الوراثة الاسبانية
١٧٠٢	عودة نجم (مارلبورو) للصعود بتولي (ويليام الثالث) عرش انكلترا، وبفضل دعم الملكة (آن) له .
١٧٠٢	توجه (مارلبورو) الى (الفلاندر) وتولي قيادة القوات الانكليزية في حرب الوراثة الاسبانية .

١٧٠٤	قمة انتصارات (مارلبورو) في (بلينهايم) .
١٧٠٦	انتصار جديد (لمارلبورو) في حملة (راميلييه) .
١٧٠٨	انتصار (مارلبورو) في (اودنارد) .
١٧٠٩	معركة (مالبلاكيه) وانتصار كبير (لمارلبورو)
١٧١٠	نهاية حملات (مارلبورو) واستمرار (حرب الوراثة الاسبانية) .
١٧١١	الملكة (آن) تعزل (مارلبورو) عن كل اعماله بضغط الأحزاب .
١٧١٤	وفاة الملكة (آن) .
١٧١٦ - ١٧٢٢	اعتزال (مارلبورو) الحياة العامة. ووفاته. ثم نقل رفاته بعد ذلك الى (بلينهايم) .

المقــدمة

ظهرت في السنوات القليلة الماضية، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية على وجه التحديد، مجموعة غير قليلة قد تزيد على العشرين مؤلفاً من الكتب والكتيبات والنشرات التي تعالج حياة القائد (جون تشرشل دوق مارلبورو) سواء من الناحية السياسية أو من الناحية العسكرية في اطار عصره وزمانه. وليس اهتمام المؤرخين والكتاب العسكريين والباحثين السياسيين بالتعرض لحياة هذا القائد، ووضع أعماله ومنجزاته تحت مجهر البحث إلا تأكيداً على اهمية الدروس القيمة التي يمكن استخلاصها من التجربة التاريخية لهذا القائد في مجالي الحرب والسياسة. وفي الواقع، فقد أصبحت عملية الغوص في اعماق التاريخ زياً من أزياء العصر الحديث (الموضة). غير أن لهذا الزي عوامله واسبابه.

لقد اعتبر بعض النقاد أن عملية احياء التراث التاريخي، وبعثه في ثوب عصري، هي من قبل الهروب من ضياع العصر الحديث والفرار الى قاعدة الماضي الصلبة. وقد يكون في ذلك بعض الحق لا كله.

وفسر بعض الباحثين عملية الغوص في أعماق التاريخ بأنها مجرد محاولة للعثور على قيم ثابتة لفهم مراحل التطور التاريخي من جهة وللافادة من هذه القيم الثابتة في تحديد اسس بناء المستقبل من جهة اخرى. وقد يكون في ذلك بعض الحق لا كله أيضاً.

وفهم آخرون ممن تنكروا للتاريخ بأن عملية العودة الى بحث الماضي، سواء في ذلك سير القادة أو ملاحم الشعوب هي مجرد (ملهاة عابثة) تحتوي من المتعة بأكثر مما تتضمن من الفائدة. أو هي في كل الأحوال، حالة من الترف الفكري. غير أن اتساع أفق البحث التاريخي في كل دول العالم، والتوغل بعيداً في أعماقه هي عملية أكبر من أن تكون بدعة طارئة، أو تقليداً محدداً باطار زمني ضيق. أو مجرد رد فعل على ظروف واقع معين.

المهم في الأمر، وبعيداً عن النظريات المتناقضة والأفكار المتضاربة التي يدحض بعضها بعضاً. هو أن قضية العودة الى رحاب التاريخ قد أخذت الاتجاه السلمي التطبيقي. شأنها في ذلك شأن مسيرة العلوم كلها. ومن هنا فقد يكون من المحال فهم الاقبال على الابحاث التاريخية بأنه مجرد نزوة طارئة أو من اجل الإمتاع بمتعة عابرة. واذا ما تحققت المتعة بحكم طبيعة المادة التاريخية ذاتها وما يتوافر فيها من التشويق والاثارة، فإنها يجب ألا تحجب عن الأنظار الحقيقة الاساسية وهي (الحاجة للتعلم من التاريخ).

من هذه النقطة بالذات، يصبح من المفيد جداً عدم الاكتفاء بالتعلم من التجارب الذاتية. والإقبال على التعلم من تجارب الآخرين أفراداً وشعوباً، مع التوقف عندما تحتويه هذه التجارب من دروس مستخلصة تحتفظ بكل قيمتها وأهميتها.

ويشكل (مارلبورو) في هذا المجال تجربة تاريخية مثيرة بقدر ما هي مفيدة، ومفيدة بأكثر مما هي مثيرة. ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾.

بسام العسلي

«لقد صنعت الطبيعة من ـ مارلبورو ـ جندياً. أما الظروف المحيطة به فهي التي صنعت منه رجل الدولة»

ادموند لودج

الفصــــل الأول

جون تشـــرشـــل دوق مـــارلبـــورو
طفـــولتـــه وشبـــابـــه

جــون تشـــرشـــل دوق مـــارلبـــورو

تميزت حياة جون تشرشل، دوق مارلبورو الأول، بأنها كانت حياة مثيرة وشديدة التعقيد. ذلك لأن عمله في مجالي الحرب والسياسة، جندياً ورجل دولة، كان من العوامل الحيوية في ثراء انكلترا ونفوذها خلال عهد الملكة (آن) ـ ١٦٦٥ ـ ١٧١٤ م، وخلال السنوات والعهود التالية. ولقد اكتسبت أعمال (مارلبورو) أهميتها من خلال تأثيرها على مسيرة الأحداث السياسية لا في انكلترا وحدها، وإنما في اوروبا كلها خلال الفترة ما بين نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر. وليس من الغريب بعد ذلك أن يقام له نصب تذكاري ومتحف في (بلينهايم) حيث خاض أشهر معاركه، وأحرز أضخم انتصاراته.

وليست زيارة عشرات الآلاف سنوياً لذلك المتحف إلا برهاناً على تقويم الأوروبيين لأهمية حياة هذا القائد، وتأثيره العميق في صنع تاريخهم. واذا ما كان هناك رجل يمكن اتخاذه رمزاً لتمثيل عصر الملكة (آن) فقد لا يكون هناك من هو اكثر جدارة من (جون تشرشل) الذي ارتقى فوق مستوى كل معاصريه من رجال الحرب والسياسة، حتى أصبح كالنجم في سماء الكواكب.

وكان (مارلبورو) زوجاً مثالياً، ودبلوماسياً ماهراً، وسياسياً منافساً لكل اقرانه في عصره، غير أن تفوقه الحقيقي لم يبرز إلا من خلال حياته كجندي محارب، بحيث يمكن مقارنته بأبرز القادة العالميين من أمثال (الاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر وهاني بعل). غير أن نصيب (مارلبورو) في حياته من المجد لم يكن معادلاً لما قدمه لبلده (انكلترا). إذ حدث له ما يحدث ـ عادة ـ للرجال العظام الذين تثير شهرتهم غيرة الآخرين وحقدهم، فكان في ذلك ما حرم (مارلبورو) من ثمار شهرته وجهوده، وأفسد عليه روعة انتصاراته. لكن ذاكرة التاريخ لا تسقط شيئاً من حسابها. وها هو على سبيل المثال (سير وينستون تشرشل) يقدم بنفسه على انصاف الرجل، فيعيد كتابة سيرته بأمانة، من خلال كتابته لتاريخ انكلترا في فصل

(مارلبورو- حياته وعصره). ولم تكن كتابة (وينستون تشرشل) هي الكتابة الوحيدة التي أسقطت عن سيرة (مارلبورو) ما علق بها من الإدانات الجائرة والاتهامات الملفقة التي تناقلتها الأجيال، جيلاً عن جيل وكابراً عن كابر، ولقد بقيت تلك الادانات والاتهامات، في الواقع، موضع جدل حاد بين الكتاب والمؤرخين في القديم والحديث. بعضهم حاول ادانته والإساءة اليه، وبعضهم حاول انصافه وتبرئته. غير أن هؤلاء وأولئك متفقون على الاعتراف بما تميز به (مارلبورو) من الكفاءة القيادية العالية، والفكر العسكري المبدع(*).

ولد (جون تشرشل) في (آش هاوس) من (مسبوري- مقاطعة ديغون) وتم تعميده في كنيسة (مسبوري) يوم ٢٦ أيار (مايو) ١٦٥٠ م. وبولادته اكتسب ارثاً كان له دور كبير في حياته. «ولم يكن وينستون تشرشل- الوزير البريطاني الأول في الحرب العالمية الثانية، إلا حفيداً لجد شهير، وابن أب معروف هو اللورد راندولف تشرشل السياسي المحافظ دائماً»، وكان هذا الحفيد مشابهاً لجده الأول (جون تشرشل دوق مارلبورو الأول) والذي كان بدوره ابناً لأب معروف يحمل اسم (وينستون تشرشل وهو أول من حمل هذا الاسم من أسرة تشرشل). وكان سياسياً محافظاً، وفارساً، وعضواً في البرلمان، فقد ثروته في خدمة (شارل الأول) فكان رجلاً بالغ الشأن في أيامه. وعلى الرغم من أن (السير وينستون القديم) كان متدثراً بدثار شعارات النبلاء ممن يتباهون بأحسابهم ويفخرون بأنسابهم، إلا أنه فشل في العثور على برهان واحد يثبت فيه أصول عائلته الارستقراطية. وكان معظم رصيد العائلة في هذا المجال قد جاء عن طريق (المصاهرة) والزواج من العائلات الأصيلة الجذور والعريقة الانساب. وبذلك تكون عائلة (تشرشل) من العائلات القديمة ذات الأصول المتوسطة، والتي ترتبط بجذور قوية في الغرب من الجزيرة الانكليزية. وجاء (جون تشرشل) ليرتبط عن طريق أمه بقرابة مع (السير فرانسيس دراك) وبعائلة (فيللير) التي كانت من العائلات المقربة

(*) لعل اكبر من أبرز الاتهامات والادانات ضد (مارلبورو) هو السير- لورد ماكولي: SIR MACAULAY (LORD) في مؤلفه الشهير (تاريخ انكلترا: HISTORY OF ENGLAND) في حين جاء مؤلف السير وينستون تشرشل- الذي يحمل في فصل منه: مارلبورو- حياته وعصره:
SIR WINSTON CHURCHILL IN (MARLBOROUGH - HIS LIFE AND TIME) لينصف (مارلبورو) وليسقط عن سيرته ما لحق بها من اتهامات شخصية تعود الى حياته الخاصة. ومن هنا فقد اعتبر كتاب (ماكولي) الذي انتشر انتشاراً واسعاً بانه (كتاب أدبي رائع، غير أنه يفتقر للامانة التاريخية).

الى بلاط (آل ستيوارت) . وقد يكون من الغريب حقاً ألا تتوافر معلومات كافية عن السنوات المبكرة لحياة (جون تشرشل) وهذا ما حمل الحفيد (سير وينستون تشرشل) للكتابة : «اننا نعرف كثيراً عن السنوات الأولى في حياة (الاسكندر المقدوني وهانيبال ويوليوس قيصر) غير أن معرفتنا بهذا الرجل قليلة ، على الرغم من أنه لا يبتعد عنا في عمر الزمن أكثر من قرنين اثنين فقط» ،ولكن ألا تكفي قرابته (لفرانسيس دراك)[1] ،ولا رتباطه ببلاط (آل ستيوارت)[2] للتأكيد على أن أبواب المستقبل كانت مفتوحة له منذ نعومة أظفاره؟ المهم في الأمر هو أن (جون تشرشل) قد تلقى تعليمه في مدرسة (سان باول) وهي ذات المدرسة التي جاء بعد ذلك بقرنين تقريباً (اللورد مونتغومري) ليدرس فيها ويتخرج منها . وعندما انهى (جون تشرشل) دراسته أصبح فارساً من فرسان (جيمس-دوق يورك) شقيق الملك ، والذي أصبح بدوره ملكاً فيما بعد باسم (جيمس الثاني) . وكانت أخته (آرابيلا) هي التي مهدت له هذا السبيل بفضل علاقتها بالبلاط . ولقد كانت هذه المرحلة من اكثر المراحل اهمية في حياة (مارلبورو) . إذ أنه عندما أصبح رجلاً ، كان (جيمس) هو الذي عمل على رفع مكانته ، وتمهيد السبيل أمامه الى المجد والشهرة . وما من شك في أن امكانات (مارلبورو) وقدراته هي التي رفعته الى القمة ، مهما كانت الظروف المحيطة به ، غير أن (الدوق جيمس) هو الذي عمل من أجل تمهيد الطريق أمام القائد العظيم . وكان هناك أيضاً عامل آخر ترك أثره في الشباب المبكر (لمارلبورو) الذي عرف بالتألق ، واشتهر بالتأنق والشباب الوسيم ، فكان في ذلك ما ربطه بعشيقة الملك (شارل الثاني)[3] والتي عرفت باسم (برباره فيللير) واشتهرت بأنها من النوع الحذر والمتشكك

---

(١) فرانسيس دراك: DRAKE (FRANCIS) قائد بحري انكليزي (١٥٤٠- ١٥٩٦ م) خاض صراعاً مريراً ضد الاسبانيين، وحقق انتصارات ضخمة، وكان له دور كبير في إلحاق الهزيمة بالاسطول الاسباني (الارمادا). وأصبح من الذين لهم مكانتهم المرموقة في وسط بلاط الملكة الانكليزية (اليزابيت).

(٢) آل ستيوارت : STUART عائلة كبيرة من الايرلنديين (الايقوسيين)٧ انجبت عدداً كبيراً من ملوك انكلترا البارزين، امثال (ماري ستيوارت الاولى، وجيمس الأول- أو جاك الأول- وشارل الأول وشارل الثاني وماري الثانية والملكة آن ANNE التي حكمت انكلترا (١٦٦٥- ١٧١٤ م) وهي ابنة جيمس الثاني والتي اشتهرت بسبب صراعها ضد الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، وبتوحيد انكلترا مع ايقوسيا.

(٣) شارل الثاني: CHARLES. II ابن الملك شارل الأول وهنرييت الفرنسية (HENRIETTE) (١٦٣٠- ١٦٨٥ م). وقد عمل الجنرال (مونك: MONK) على استدعائه وتنصيبه على عرش انكلترا (في سنة ١٦٦٠). وقد صدم الشعور الوطني البريطاني بسبب تحالفه مع فرنسا ضد (هولاندا) لدعم سيطرة الملك الفرنسي لويس الرابع عشر.

(الكلبي)[٤] علاوة على ثقافتها العالية، وتحكيمها للعقل في أمورها كلها. غير أن هذه الصفات لم تمنعها من الانزلاق، فوقعت في سحر الشاب. وفي إحدى الليالي، وبينما كانت تقضي لحظات ممتعة مع (مارلبورو) في غرفتها، وصلها صوت الملك من خارج الغرفة، مما وضعها أمام مأزق حرج لم ينقذها منه إلا إقدام الشاب على القفز من نافذة غرفتها التي تعلو عن الأرض مسافة عالية. ومنحته (بربارة) مقابل ذلك مبلغاً ضخماً وصل حتى خمسة آلاف جنيه استرليني، مرفقاً بكلمة شكر رقيقة. واستثمر (مارلبورو) هذا المبلغ على أفضل وجه ممكن. وقد علم (الملك شارل) دونما ريب بخيانة عشيقته، غير أنه كان بعيداً كل البعد عن اتخاذ اجراء خاص ضدها. وبذلك أصبح (مارلبورو) يرتبط مع البلاط الملكي برباطين وثيقين، أولهما: عن طريق أخته (آربيلا) التي كانت تعمل وصيفة شرف (لدوقة يورك) حتى وقعت عليها أنظار ممثل التاج الانكليزي، فأصبحت عشيقته ونتج عن ذلك ولادة واحد من الاولاد الطبيعيين (الشرعيين) الذين انجبهم (الدوق وآرابيلا تشرشل) وهو (جيمس- فيتز جيمس)[٥] الذي أصبح فيما بعد قائداً شهيراً. وثانيهما: (الدوق بيرويك)[٦] مارشال فرنسا. والذي كان عليه- فيما بعد- أن يصرف كل وقته للحرب في الموقع المقابل لخاله (جون تشرشل مارلبورو). فكان (دوقات اسبانيا- آليا) و (بيرويك) متحدرين من سلالته.

تسلم (جون تشرشل- مارلبورو) أول منصب عسكري له في حرس المشاة، وهو لم يتجاوز بعد السابعة عشرة من عمره. ولم يكن ذلك إلا بفضل (دوق يورك) الذي قدر الشاب حق قدره. ومضت على هذا التعيين سنة واحدة فقط، عندما توجه (مارلبورو) الى (طنجة) حيث تم تعميده بنيران المعركة للمرة الأولى. ولو أن هذا التعميد لم يكن اكثر من مجابهة (رياضية) بين القطع البحرية. ومضت على ذلك ثلاثة أعوام قضاها (مارلبورو) في أسفار

---

(٤) الكلبي: (CYNICAL) وتعني صفة السخرية والتشكيك في طيبة الدوافع البشرية.

(٥) فيتز- جيمس: (FITZ JAMES) عائلة انكليزية، كان أول أفرادها ممن حملوا هذا الاسم، هو الابن الشرعي (لجيمس الثاني). وجعل من نفسه فرنسياً، وأصبح يعرف باسم الماريشال (بيرويك)

(٦) بيرويك: (BERWICK) أو الدوق جيمس ستيوارت- أو جاك: (DUC DE JACQUE STUART) وهو الابن الشرعي لجيمس الثاني (جاك الثاني كما يسميه الفرنسيون) من مواليد مولان، (١٦٧٠- ١٧٣٤ م) جعل من نفسه فرنسياً، وأصبح مارشال فرنسا سنة (١٧٠٦). وتلقب بلقب (فيتز جيمس) نسبة الى عائلته. وبرز اسمه في اسبانيا حيث انتصر انتصاراً رائعاً في معركة (المانزا: ALMANZA) سنة ١٧٠٧، ودافع عن حدود الألب، ثم قتل في حصار فيليبسبرغ: PHILIPPSBURG- وهي مدينة المانية تعرف اليوم باسم باد BADE على الراين.

متلاحقة، عاد بعدها مع كتيبته إلى أرض الوطن. ولم يكن (مارلبورو) خلال هذه الفترة يعاني من أي أزمة مالية، وذلك بفضل التمويل الذي كانت تؤمنه له (برباره فيللير). وكان ذلك مساعداً له حتى يظهر دائماً بمظهر الفتى الأنيق والوسيم الطلعة، مما جعله محط أنظار النساء اللواتي كن يقعن تحت تأثيره، بصورة غير طبيعية. ومن كان يستطيع توجيه اللوم الى (مارلبورو) وهو يعيش حياة الترف والجاه، ويمتلك مثل تلك القدرة للتجول على زهرات الأقليم؟.

بلغ (جون تشرشل- مارلبورو) الرابعة والعشرين من عمره، يوم تلقى من (جيمس الثاني) شارة الانطلاق السريع نحو المجد، وهي الشارة التي تمت ترجمتها بمنحه رتبة عقيد (كولونيل) تقديراً لكفاءته الخاصة. كان ذلك في سنة (١٦٧٢) عندما قام ملك فرنسا (لويس الرابع عشر) بهجوم مباغت على البلاد المنخفضة (هولاندا) بدون أي انذار مبكر أو تحذير مسبق. وكان ملك انكلترا (شارل الثاني) قد عقد قبل سنتين من ذلك معاهدة سرية مع ابن عمه الملك لويس (وهي المعاهدة المعروفة باسم معاهدة دوفر- ١٦٧٠). وتعهد فيها الملك (شارل) بدعم (فرنسا) ضد (هولاندا)، مع ابعاد قضية ارتباط الكنيسة الانكليزية بكنيسة روما. ومقابل ذلك، تعهد ملك فرنسا بتقديم مساعدة مالية لملك انكلترا. وبنتيجة هذه المعاهدة، أصبح لزاماً على انكلترا دعم (الملك الشمس) واعلان الحرب على (هولاندا). وانطلق الشاب المحارب (جون تشرشل) للعمل ضد الهولانديين، وهو على متن زورق (دوق يورك) الذي كان يرفع على ساريته علم القيادة. وخاض معركة خليج (سول) الضارية والمدمرة. وليس هناك من الوثائق ما يبرز دور (جون تشرشل) في هذه المعركة، أو سلوكه القيادي مع ادميرال الاسطول. غير أن (جون تشرشل) حصل فور الانتهاء من المعركة على رتبة (قبطان) في القوة البحرية التابعة للدوق (كتيبة المشاة ٢٤). وأصدر الملك (شارل الثاني) في الوقت ذاته أمراً بتعيين ابنه غير الشرعي (من لوسي وولتر) وهو (دوق مونماوث) لقيادة الحملة المكلفة بخوض الحرب الى جانب الفرنسيين. واشترك (جون تشرشل) مع (دوق مونماوث) في حصار (مستريخ)[٧] وكان اقتران عمل الرجلين في هذه المعركة هو البداية لاعمال مشتركة ومتطورة فيما بعد.

---

(٧) مستريخ: (MAESTRICHT) أو (MAASTRICHT) مدينة في البلاد المنخفضة على نهر الموز.

عاشت انكلترا حتى سنة (١٦٧٤) حياة السلم، غير أنه كان نوعاً من السلم غير المستقر، بسبب وجود عدد من الكتائب والألوية الانكليزية العاملة في خدمة الملك لويس الرابع عشر. وكان (جون تشرشل-مارلبورو) واحداً من الضباط الذين خدموا ملك فرنسا في تلك الفترة، فقدم له الملك (لويس) رتبة العقيد (كولونيل) في الجيش الفرنسي. وكانت هذه الفترة بدورها ذات أهمية خاصة في حياة (مارلبورو) إذ أنها وفرت له فرصة الاتصال مع أعظم جنود فرنسا (أمثال هنري وفيكونت تورين ومارشال فرنسا) ومن المحتمل أن يكون هناك نوع من المبالغة في تأثير رجال الحرب الفرنسيين على الضابط الانكليزي الشاب، غير أن هناك نوعاً من التأثر الذي لا يمكن انكاره، وقد أشار القائد تورين الى ذلك عندما أعلن **(عن تأثره بحماسة الضابط الانكليزي- مارلبورو- وجرأته)**.

بقيت تفاصيل حياة (جون تشرشل- مارلبورو) غامضة ومجهولة طوال السنتين التاليتين، ولكنه تم ترفيعه في سنة (١٦٧٧) الى رتبة عقيد في الجيش الانكليزي (أي الاعتراف بالرتبة التي منحه أياها ملك فرنسا ومن قبل الدوق جيمس بصورة خاصة). وكان هذا الترفيع أمراً مفيداً ومثيراً للرجل الشاب الذي كان يعيش في تلك الفترة حياة الحب.

كانت (سارة جينينغ)[8] تنحدر من عائلة مترفة، تنتسب في أصالتها إلى (سومرست) وتتشابه بشكل غريب مع عائلة (تشرشل) التي وجدت فوق أرض الاقليم ذاته. وقد نقلت (ساره) الى (هولي وول هاوس) بالقرب من (سانت آليان) حيث كانت عائلتها قد استقرت هناك قبل ذلك بسنوات عديدة. ودخلت (سارة) ايضاً حياة البلاط وهي في عمر مبكر، وأصبحت مرتبطة بحياة (دوق يورك).

كان الشاب (جون تشرشل) قد أصبح جندياً مرموقاً، وله مكانته الرفيعة في وسط البلاط الملكي، ولو أنه محروم من الرصيد المالي الخاص بعائلته. كما أنه لم يكن يمتلك ممتلكات خاصة به. ولم يكن لديه إلا أخته (آرابيلا) التي وقفت ثروتها في البحث عن وريث مناسب يعمل على ادارة أراضيها التي ورثتها عن الأجداد. وقد اكتشف (جون تشرشل-مارلبورو) في الفتاة (سارة جينينغ) ما يريده. لقد كانت تعمل الى جانب (دوقة يورك) وكانت بدورها

---

(٨) سارة جينينغ: (SARRAH - JENNINGS)

محرومة من كل رصيد مادي تقريباً . ومن المحتمل أن يكون (جون تشرشل) قد شاهد (سارة) وهي طفلة ، ثم وهي تدرج في أثواب الصبا ، غير أنه لم يعرها انتباهاً ، حتى صادفها في احدى الامسيات ، فطلب اليها أن ترقص معه ، ثم أمضى بقية الوقت في صحبتها . وعلى الرغم من أن عمر الفتاة لم يكن قد جاوز الخامسة عشرة ، إلا أن (جون تشرشل) اكتشف بأنها أصبحت امرأة ناضجة تتمتع بسحر قوي وجاذبية مثيرة ، الى جانب قوة شخصيتها وكونها فتاة مغرية الى أبعد الحدود . وهذا ما حمل (جون تشرشل) على أن يختصها بوفائه وتقديره واعجابه ، اعتباراً من هذا اللقاء وحتى نهاية حياته . واذا كان بالمستطاع اتهام (جون تشرشل-مارلبورو) بالغدر أو بعدم الوفاء من خلال العمل في ضجيج السياسات وصخبها ، وعبر مؤ امرات البلاط التي رافقت حياة (مارلبورو) خلال السنوات التالية ، فإنه قد يكون من المحال اتهامه بشيء من ذلك في حياته مع (سارة) والتي تميزت بالوفاء لزوجة عنيدة (مشاكسة) في معظم الأحيان ، وذات شخصية مهيمنة باستمرار . وقد حفظ متحف (بلينهايم) عدداً من رسائل الحب المتبادلة بين الزوجين العاشقين . وهي متميزة بأنها تفيض بعاطفة الحب من خلال رسائل (جون تشرشل) في حين تظهر فاترة العاطفة وذات لهجة سليطة من جانب (سارة) وها هي احدى رسائل جون تشرشل- مارلبورو- **«يا حياتي ! أحبك كثيراً وبصدق ، وأرجو أن تكوني رقيقة جداً في السماح لي برؤيتك اليوم ، وفي أي مكان ، طالما أنك لن تكوني في-وايت هول- . إنني لن أعمل على تحديد موعد هذا اللقاء . فكل الساعات متشابهة بالنسبة لي طالما أنك بعيدة عني . انك الآن ، وستبقين ابداً ، أثمن ما أمتلكه في حياتي وأغلاه . وأقسم بالسماء انني لن أحب أحداً سواك»** .

وفي رسالة أخرى كتب ما يلي : **»لقد وصلت على التو ، وليس في رأسي فكرة عن أي متعة الا برؤينك ، في أي مكان ، وآمل أن ترسلي لي كلمة تقولين فيها بأنك ستعملين على رؤيتي هذه الليلة»** . ترى كم هم العاشقون الذين نفثوا مثل هذه الزفرات ، وكم هو عدد الذين كتموها ولم يبوحوا بها ؟ .

مهما كانت الاجابة ، فإن كاتب هذه الكلمات مخلص فيما كتبه ، وليس هناك في تاريخه ما يدحض صدق مثل هذه المقولات . ولقد كان زواج هذين العاشقين من وجهة النظر المادية

المحضة هو زواج بائس، لا سيما بالنسبة للشاب (أدونيس)[٩] الذي كان يضج جمالاً، غير أن هذا الزواج تحول لمصلحته، تماماً كما تدور دورة الفلك. فاذا كانت (سارة) تفتقر الى الرصيد المادي، إلا أنها أفادت حتى أبعد الحدود من قوة سحرها وشخصيتها المسيطرة، ففرضت هيمنتها على (آن) ابنة الملك (جيمس). وكانت قيمة هذا التأثير تزيد على كل ثروة مادية، لا سيما عندما وصلت (آن) الى العرش بالوراثة، وأصبحت تعرف باسم الملكة (آن). غير أن الاستطراد هنا يعتبر سبقاً للأحداث. ومن الأفضل العودة الى قصة العاشقين اللذين لم يعرف تماماً وقت زواجهما أو مكانه، وبقي ذلك في جملة الأسرار التي انطوت عليها حياة (مارلبورو وسارة). وقد اختلفت التفسيرات في ذلك، ولعل أقربها الى الصحة، أو الدقة، هو ما قيل: «من أن ـ مارلبورو ـ كان يعاني من عدم توافر الأموال في يده، وكان والده يعاني بدوره من ضائقة مالية، مما ارغم ـ مارلبورو ـ على الزواج بصورة سرية، وبعيداً عن مظاهر الترف والبذخ».

على كل حال، فما ان تم زواج (تشرشل ـ مارلبورو) بعشيقته (سارة) حتى اخذت نزوات سيدهما (دوق يورك) بإزعاجهما واثارة قلقهما. ولقد درج المؤرخون الغربيون على معاملة (الملك جيمس) بصورة سيئة، وعلى هذا، وحتى يكون الحكم عادلاً، فقد يكون من المناسب الاعتراف بأنه دافع عن الحرية في عصر التعصب والتزمت. ولم يتوقف في دفاعه عن الكنيسة (الرومانية ـ الكاثوليكية) والتي كان ينتسب اليها، وانما تجاوز ذلك فدافع عن اولئك الذين لا يلتزمون بتقاليد الكنيسة (الانكليزية) وأعرافها. وكان في دفاعه، يهاجم خصومه بشدة وغلظة، وهذا ما أفقده رصيده الشعبي، والحقيقة فإن تعلقه بمعتقده، والتزامه به، كان سبباً اساسياً في اسقاطه، وان الحكم عليه، وتقويمه في اطار عصره يجعله (أحمق) اكثر منه (عنيداً). إذ انه على الرغم من تسميته (أو تلقيبه) بلقب (الكاثوليكي المتعصب). فان تعصب (البروتستانتيين) في زمانه، كان معادلاً لتعصبه. إن لم يكن أشد في اتساعه وقوته. المهم في الأمر هو ما نتج عن ذلك، حيث حاول الملك (شارل الثاني) ابعاد أخيه (جيميس) عن طريق الخطر، وذلك بارساله الى (اسكوتلندا). وكان من المفروض ان يتم استقبال (شقيق الملك) استقبالاً لائقاً باعتباره يمثل (آل ستيوارت) على الرغم مما اشتهر به من افتقاره للشعبية.

---

(٩) أدونيس: (ADONISS) نسبة إلى إله الجمال للرجال عند الفينيقيين، والمقصود هنا مارلبورو.

غير أن (جيمس البائس) لم يقوم الأمور تقويماً صحيحاً، ،راح يثير الاضطرابات عن طريق إثارة مشاعر الاسكوتلانديين بمناسبة وبدون مناسبة، لا سيما في مجال (الشؤون الدينية). فكان في ذلك يسلك سلوكاً مناقضاً لسلوك اخيه الملك (شارل الثاني). الذي كان يظهر في مجتمعه الخاص تذمره من (البريسبيتيرانية)[10] ويصرح بأنها لا تصلح مذهباً (للرجل النبيل) وهو على الرغم من ذلك يسمح لنفسه بان يكون (من الكوفونانتد)[11] حتى يضمن الهدوء والاستقرار والسلام. وهكذا ابتعد (جيمس) عن اظهار مثل هذه المرونة، بل انه زاد الأمر سوءاً عندما أقدم على اعدام عدد من الشخصيات الاسكوتلاندية البارزة التي تصدت له وعملت على معارضته. وكان على (جون تشرشل-ماربورو) أن يرافق عائلة (يورك) الى كل مكان. وكان على (ساره) العمل بعد ذلك بسنوات من اجل جمع حماقات الدوق، وتسجيلها للأجيال القادمة.

لم تكن هناك حتى تلك الفترة ثغرة في علاقات (جون تشرشل-مارلبورو) وسيده الملك (شارل) واستطاع بفضل دعم (الدوق جيمس) من الارتقاء الى طبقة النبلاء الاسكوتلانديين. وخلال السنة التالية تم تعيينه لقيادة اللواء الذي تم تنظيمه حديثاً ليحمل اسم (لواء التنين الأول).

أصبح الملك (شارل الثاني) يوم ٦ شباط (فبراير) سنة ١٦٨٥ م. وهو على فراش الموت، فكلف أخاه (دوق يورك) بوضع وصايته على اقليم (نيل غواين- في فرنسا). وتم ايداع هذه الوصية في الكنيسة (الكاثوليكية- الرومانية). وبذلك تمت تسوية اكثر المسائل حساسية بالنسبة للعرش البريطاني. وخلف (دوق يورك) أخاه على العرش باسم (جيمس الثاني). فعمل فوراً على ارسال اللورد (جون تشرشل- مارلبورو) الى بلاط الملك الفرنسي (لويس الرابع عشر) سفيراً له. ومنحه لقب نبيل انكليزي باسم (البارون تشرشل أوف ساندريدج). كما منح الملك الجديد بعض الحقوق الى (البروتستانتيين). غير أنه أوضح بجلاء تام أن مذهبه هو أمر يخصه وحده، وأنه سيدعم الكنيسة (الرومانية- الكاثوليكية) فيما

---

(١٠) البريسبيتيرانية: PRESBYTERIAN، صفة لكنيسة بروتستانتية يدير شؤونها شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية.

(١١) كوفونانتد: COVENANTED (المتعاهدون) وهم جماعة من البروتستانت المتعصبين.

اذا وجد بأنها هي الأفضل . وتابع علناً حضور القداس في كنيستها . وعند هذه المرحلة ، عمل الابن غير الشرعي للملك (شارل الثاني) وهو (دوق مونماوث) ـ والذي سبقت الاشارة اليه كضابط زميل لتشرشل مارلبورو في فرنسا. عمل على المطالبة لنفسه بالعرش تحت راية (البروتستانتيين) . ولم يلبث أن قام بإنزال قوة صغيرة في ميناء (ليم ريجيس) . وأعلن نفسه ملكاً يوم ٢٠ حزيران (يونيو) سنة ١٦٨٥ م ، والتحق به عدد كبير من أبناء الأقاليم الغربية . فتعاظمت قوته . وتم تكوين قوة قتالية لسحق هذا التمرد بقيادة (اللورد فيفرشام واللورد مارلبورو) .

وغادرت هذه القوة (لندن) بسرعة متجهة نحو الغرب . وفي يوم ٥ تموز (يوليو) تم القضاء على التمرد بعد المعركة الحاسمة في (سيدغيمور) وهي المعركة التي مارس فيها (مارلبورو) دوراً كبيراً ، وفر على اثرها (مونماوث) غير أنه لم يذهب بعيداً في هروبه ، فقد أمكن القاء القبض عليه وإعدامه . وتبع ذلك مسلسل من أعمال العنف والانتقام التي وجهها (الملك جيمس) بصورة سرية ، وكان من ابرزها (مذبحة أسيز) . والأحكام القضائية التي اشتهر بها القاضي (جيفري) حتى أصبحت أمثولة في الفولكلور الشعبي الانكليزي . وبقيت هذه الأعمال بعد ذلك ماثلة في الأذهان نموذجاً لقسوة الحرب الأهلية ، مع ما يرافقها من بؤس وشقاء . ولقد كان هناك ، على كل حال ، من يدافع عن هذه الأساليب وقسوتها بحجة أنها تشكل رادعاً يمنع من تكرر حدوثها . والمهم في الأمر بالنسبة (لجون تشرشل ـ مارلبورو) ان نتيجة جهوده في قمع ثورة (مونماوث) قد أثمر في حصوله على ترفيع جديد ، فأصبح يحمل رتبة عميد (ميجر جنرال) مع احتفاظه بقيادة لواء حرس الفرسان الثالث . وهكذا كانت سنة ١٦٨٥ م بالنسبة له ذات أهمية خاصة ، حصل فيها على لقب (لورد) ولم يعد هناك ما يطمح اليه من مناصب رفيعة في البلاط الملكي .

ولكن ، مقابل دلك ، لم تعد الأمور تسير على خير ما يرام ، فمن خلال الأسلوب التعبوي (التكتيكي) المجرد من اللياقة ، ومن خلال القصور في ايجاد الحلول الوسيطة (المعتدلة والاصلاحية) للمواقف المختلفة ، كان الملك (جيمس الثاني) يقف في الموقع المضاد من موقع أخيه الملك السابق شارل . وأخذ الملك (جيمس) في الوقوع ـ بصورة متزايدة ـ أسيراً لممارساته الجنونية . كما أخذ في الخضوع شيئاً فشيئاً ، وأكثر فأكثر ، لتأثير

مستشاريه وحاشية بلاطه. ومن هنا بدأ الانحراف، حتى ان اللورد (جون تشرشل- مارلبورو) والذي كان يدين بكل شيء في وجوده للملك (جيمس الثاني) لم يجد حرجاً في اجراء اتصالات سرية مع (وليم- اوف اورانج) صهر الملك، على الرغم مما عرف عن هذا الأخير من القسوة والعناد، ولو أنه كان مخلصاً (للبروتستانتيين). . وكان أيضاً من خصوم الملك الفرنسي (لويس الرابع عشر). بل إنه كان من أشد أعداء الملك الفرنسي، والذي أصبحت (فرنسا وانكلترا) حديثاً في حالة حرب مع بلاده (هولاندا). **وعند هذه النقطة يمكن التوقف قليلاً، إذ ان سلوك (اللورد مارلبورو) وحوافزه قد ترجمت بأساليب مختلفة، فبينما اتهمه خصومه واعداؤه بالغدر والانتهازية، وقالوا: انه ما سلك هذا السبيل إلا لأنه تابع اتجاه الريح، ورأى الى أين تسير العاصفة، فعمل على استباق الزمن ووقف الى جانب المنتصر، يهبُّ أنصار مارلبورو، فيقولون في دفاعهم عنه: بأنه قوّم الموقف، ووضع في اعتباره ما يتعرض له المذهب الديني من خطر، فاعتقد بأن التخلص من حكم (الملك جيمس) هو أفضل وسيلة لضمان الاستقرار في الاقليم.** وهكذا، وعلى الرغم من انتماء (اللورد مارلبورو) الى (حزب التوري)[١٢] سياسياً، فانه اتفق مع (حزب الويغ)[١٣]- أو حزب الاقطاعيين ملاكي الأراضي- الذي كان يعمل على تحرير (انكلترا) من تهديدات (البابا) وسيطرته.

حدث في تلك الفترة، أن أعلن بصورة مباغتة وغير متوقعة، عن ولادة مولود ذكر للملك (جيمس الثاني- و- زوجته ماري مودينا)[١٤]. وظهر أن قضية (الوراثة الكاثوليكية) أصبحت قضية ثابتة، ولم يعد هناك مجال لتجنبها. فكانت ولادة ابن (جيمس) الذي عرف فيما بعد باسم (الوريث الأصيل) أو (الملك جيمس الثالث-

---

(١٢) حزب التوري : (TORY) حزب سياسي بريطاني مؤيد للسلطة الملكية، ومضاد للتغيير والاصلاح. وهو الحزب الذي تحول الى (حزب المحافظين). وقد أصبحت كلمة (توري) تعني- سياسياً- الشخص المضاد للاصلاح.

(١٣) حزب الويغ (WHIG) هو الحزب السياسي- البريطاني- المؤيد للاصلاح، وعرف فيما بعد باسم (حزب الأحرار). واشتهر الحزب بدعمه للحقوق المدنية، وبمعارضته (لحزب التوري). وقد بقي الحزبان (التوري والويغ) هما الحزبين السياسيين اللذين يحكمان انكلترا بالتناوب طوال قرون عديدة. بحيث كان (حزب التوري) يسلم الحكم (للحزب الويغ) ليعود بعد فترة لتسلمها من منافسه.

(١٤) كان جميع أولاد (جيمس) الكثيرين من زوجتين، باستثناء (ماري وآن) اللتين توفيتا في عمر مبكر.

اليعقوبي) بمثابة عامل مسرع للأحداث التي أدت الى (الثورةالبيضاء) لعام ١٦٨٨ م. أو التي يطلقون عليها ـ بصورة خاطئة في بعض الأحيان ـ اسم (الثورة البيضاء ـ أو الثورة العظمى)(١٥).

ترى من كان يعرف خلال تلك الفترة المضطربة ما كان يتفاعل في نفس (اللورد مارلبورو) من اضطرابات وصراعات للبقاء على عهد الوفاء للملك (جيمس الثاني)؟

لعله كان ينظر الى الأفق، فيظهر له احتمال حدوث (حرب أهلية جديدة) لا سيما وأنه ما زال على قيد الحياة أناس كثيرون يذكرون تلك الفترة المرعبة التي رافقت اعدام (شارل الأول)(١٦) والضغط الإرهابي الذي تلا ذلك الحدث. ومن المحتمل أن يكون (مارلبورو) قد توقع حدوث مأساة أخرى، أو بلاء جديد، ينتظر (الملك جيمس) الذي كان يشعر تجاهه بالحب العميق. ولكن مهما كانت مشاعر (مارلبورو) تجاه مليكه، فإن الحقيقة الثابتة هي أنه أول من شرع بالعمل ـ بكل الحماسة ـ لاستبدال مليكه بملك هولاندا (وليم ـ اوف اورانج). وعند الوصول الى هذه المرحلة، لم يقف (مارلبورو) عند حدود ما أقدم عليه، وإنما تجاوز ذلك فعمل على اقناع الابنة الصغرى للملك (الاميرة آن) بقبول أفكاره ودعمها.

تابع (الملك جيمس) في تلك الفترة التزامه بمواقفه من القضايا الدينية. وفي خريف سنة ١٦٨٧، وبينما كان الملك في غرب انكلترا، قال اللورد (تشرشل ـ مارلبورو) ما يلي: «كان من رأيي دائماً بأنه من الضروري التساهل تجاه كل الشعب المسيحي. واني على أتم يقين بأنني لن أحرم نفسي من هذه الحرية. ولن أحرم أحداً من أبناء شعبي الذين يعتنقون مذهبي من القيام بواجباتهم تجاه الله بطرائقهم الخاصة». وقد

---

(١٥) الثورة البيضاء: (BLOODLESS REVOLUTION) أو الثورة العظمى (GLORIOUS REVOLUTION)

(١٦) شارل الأول: (CHARLES . I) ملك بريطانيا العظمى، وابن (جيمس الأول) من عائلة ستيوارت، ولد في (دونفير ملين DUNFERMLINE) في (ايقوسيا) (١٦٠٠ ـ ١٦٤٩) وأصبح ملكاً سنة ١٦٢٥ م. وسيطر عليه وزراؤه (باكينغهام وسترافورد) والاسقف لود، وزوجته (هنرييت الفرنسية) فدفعوه جميعاً الى طريق الاستبداد والتعسف. وتصدت له المعارضة القوية بعنف في (البرلمان الطويل) الذي أصدر حكمه باعدام (سترافورد). وتبع تنفيذ حكم الاعدام، (الذي لم يجد الملك في نفسه الجرأة أو الشجاعة لايقافه) اندلاع الحرب الاهلية بين (الفرسان) وأصحاب (الرؤوس المستديرة) (LES TETES RONDES) والتجأ الملك (شارل) الى (ايقوسيا) حيث سلمه بعض الخونة الى أنصار (كروموبل) الذين حكمواعليه بالاعدام. ونفذوا هذا الحكم في (الوايت هول).

يظهر مثل هذا القول في القرن العشرين أمراً طبيعياً ومقبولاً. غير أن هذا التصريح في تلك الفترة من حياة انكلترا، كان امراً يعادل (الكفر) ولا يمكن التساهل بشأنه.

كان (وليم أوف اورانج) ينتظر في (هولاندا) قدوم اللحظة المناسبة التي تحملها له الرياح. وعندما أزفت هذه اللحظة، ركب البحر ومعه قوة كبيرة متجهاً الى شاطئ (ديفون)[١٧] وقام بالانزال عند (توربي) يوم ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٦٨٨ م. وبدأ مع جيشه بالتحرك نحو (اكستر) فيما كانت الأمطار تهطل بغزارة. وفي هذا الوقت ذاته، حشد الملك (جيمس) جيشه بالقرب من (ساليسبوري). غير أن تجمعاً من مفوضي الملك ووكلائه ورجال الكنيسة طلب اليه الاعلان عن التزامه بإقامة (برلمان حر) والدخول في مباحثات مع الامير (وليم) من أجل تجنب (الحرب الأهلية) غير أن الملك (جيمس) أجابهم بإباء: «**كيف يمكن لكم المطالبة ببرلمان حر، في حين قد أقبل أمير غريب على رأس جيش أجنبي يمتلك القدرة على تعيين مئات الأعضاء في هذا المجلس؟**». وعند هذا المنعطف، وبعد اعلان الولاء للملك (جيمس) بفترة قصيرة جداً، قلب (مارلبورو) ظهر المجن بصورة مباغتة، وأظهر حقيقة موقفه، وخذل مليكه في اللحظة التي كان فيها هذا الأخير أحوج ما يكون لدعمه ومساعدته، وجاء وقع المباغتة ضربة من أقسى الضربات الوحشية التي نزلت على رأس الملك (جيمس) فأفقدته صوابه. وأخذ أنصار الملك بالانتقال الى معسكر (مارلبورو). وعندما علم الصهر الثاني للملك (أمير الدانمارك جورج) والذي كان متزوجاً بالأميرة (آن) بما يتعرض له (عمه الملك) أسرع بالوصول الى (لندن). وهناك وجد ما هو اكثر سوءاً، اذ علم بهرب (آن) ذاتها، وانضمامها الى معسكر (مارلبورو). وعندما علم الملك بذلك، صرخ بصوت يائس: «**ساعدني يا رب! حتى ابنتي الحبيبة قد تخلت عني**». وفي هذه اللحظة سجل التاريخ الانكليزي على صفحاته صورة وجه الملك وقد حملت أقسى

---

(١٧) ديفون: (DEVON): مدينة لها خليج حربي، تقع على مقربة من بليموث. (PLYMOUTH) في الجزيرة الانكليزية. أما أكستر (EXETER) ففيها خليج أيضاً، تقع على البحر وهي تابعة لديفون، وكانت (اكستر) مقر الملوك الساكسون، وعاصمتهم.

ملامح البؤس وأشد آثار الحزن المثير للشفقة والرثاء[١٨].

أصبح الأمير (وليم أوف اورانج) حاكماً لانكلترا، وذلك قبل أن يشترك مع زوجته (ماري) في امتلاك العرش . (وكانت ماري هي ابنة الملك المعزول جيمس الثاني) . وتمت تسوية مشكلة الوراثة لتكون في اعقاب (ماري) أو بانتقال العرش ، اذا ما تطلب الأمر ، الى شقيقة (ماري) - أي الى الأميرة (آن) . وتم استبعاد الذكور من (آل ستيوارت) عن العرش . ووافق البرلمان الانكليزي على ذلك . وقامت (سارة) زوجة (مارلبورو) بدورها بتحريض من زوجها لاقناع الأميرة (آن) حتى تتنازل عن حقها بالوراثة ، وحتى وفاة شقيقتها الاميرة (ماري) والتسليم للأمير (وليم) الذي تعهد أن يبقى ملكاً طوال حياته بأسم (وليم الثالث) .

وعندما تم حفل التتويج .تم في الوقت ذاته تنصيب (جون تشرشل) اميراً باسم (امير مارلبورو - إيرل مارلبورو) .وبذلك حصل (جون تشرشل) على الثمن المناسب لقاء ما قدمه من دعم للأمير (وليم) .

ما ان استقرت الأمور للأمير (وليم) الذي أصبح (الملك وليم الثالث) حتى انصرف لإقامة حلف مشترك ضد الملك الفرنسي (لويس الرابع عشر). وأعلن الحرب على فرنسا. وانطلق (مارلبورو) الى البلاد المنخفضة على رأس قوة من ثمانية آلاف مقاتل. وبدأ بذلك الصراع الكبير والذي سيتطور بالتدرج حتى يبلغ ذروته في معركة (بلينهايم) وذلك مع بداية القرن (الثامن عشر). أما في الجزيرة الانكليزية، فقد بقيت الأوضاع العامة بعيدة عن الاستقرار. وأخذت المتاعب في الظهور أمام (وليم). ذلك أن الملك المعزول (جيمس) قام بمحاولة لاستعادة ملكه الضائع . ورفع علمه على (ايرلنده) غير أن الحظ لم يحالفه، فهزمه (وليم) في معركة (بوين)[١٩].

(١٨) يذكر هنا أن الملك (جيمس الثاني) ١٦٣٣- ١٧٠١ م هو من مواليد (سانت جيمس). وقد انصرف بعد أن عزله (الامير وليم) (WILLIAM) أو (GUILLAUME) الى فرنسا في سنة ١٦٨٨ ، حيث قضى بقية حياته في قصر (سانت جرمان آنلاي- SAINT GERMAIN EN LAYE) وقد حاول بدعم من فرنسا غزو انكلترا، واستعادة ملكه الضائع مرتين متتاليتين، غير أنه فشل في المحاولتين. أما ابنه (جيمس الثالث) فهو من مواليد (لندن) ١٦٨٨- ١٧٦٦ . وقد عرف بلقب (فارس القديس جورج) أو (المطالب بالعرش الضائع). وقد حاول هذا بدعم من فرنسا استعادة عرش ابيه، غير أن الفشل كان من نصيبه أيضاً.

(١٩) بوين: (BOYNE) نهر في ايرلنده، اشتهر بالمعركة التي وقعت بجواره وانتصر فيها (وليم) على عمه (الملك جيمس) يوم ١١ تموز- يوليو- ١٦٩٠.

وفي (اسكتلندا) رفع (جون غراهام) أمير (كليغر هاوس) لواء التمرد، وكذلك فعل أيضاً (فيسكونت دندي)[20] الذي أيدته عشائر المناطق الجبلية، والقبائل القاطنة في المرتفعات. ووقعت معركة رائعة في ممر (كيليكرانكي) كان فيها النصر حليفاً للاسكتلنديين. غير أن قائد الثورة قتل في المعركة وهو في ذروة انتصاره. فتدهورت بمصرعه الروح المعنوية للمقاتلين، وضعفت لديهم إرادة القتال، ولم تعد لديهم رغبة لمتابعة الحرب. وبذلك تمكن (وليم) من قمع التمرد، وانصرف للانتقام من الثائرين، فعاملهم بقسوة ووحشية، وأدار فيهم المذابح التي كان من أشهرها (مذبحة غلينكو)[21] والتي أصبحت رمزاً لأكبر مأساة عرفها التاريخ (الاسكتلندي). ولم يظهر (وليم) أي اهتمام أو مبالاة تجاه ما كان يحدث من قمع وحشي. ولو أن ملك فرنسا (لويس الرابع عشر) استثمر الموقف بصورة مناسبة وصحيحة، لاستطاع (جيمس) استعادة عرشه، ولتم ارسال (وليم) إلى المقصلة. غير أن ذلك لم يحدث ابداً. واستمرت الاضطرابات في الاقليم، فقد تابع (اليعاقبة)[22] اعمالهم الثوروية بعد ابتعاد (وليم) عن الاقليم، ونشروا الاضطرابات. فأرسل (وليم) قوات انكليزية بقيادة (مارلبورو)، الذي افاد من علاقاته العائلية حتى أبعد الحدود من أجل تهدئة الثورة والقاء القبض على الزعماء الثائرين. وبذلك عمل (مارلبورو) على تشريد الرجل الذي منحه كل شيء في حياته حتى انه غامر بوجوده من اجل ذلك. وتابع (مارلبورو) طريقه في بذل أقصى جهوده من أجل دعم (الملك وليم) ودعم قضية (البروتستانتية)، وبات وهو يتوقع الحصول على أرفع منصب في عهد الملك الجديد. لا سيما وأنه بات يدرك تماماً مقدار ما وصل اليه من القدرة، وما يتوافر له من الامكانات والكفاءات علاوة على ما يمتلكه من الطموح والاطماع. وقد استطاع بفضل ذلك دعم الملك الجديد، وتنصيبه على عرش انكلترا، علاوة على ما اضطلع به من دور، وما اكتسبه من خبرة في ادارة (ايرلندا والفلاندر) خلال أصعب ظروف الاضطراب. اليس ذلك كله مقدمة لعهد جديد بالنسبة له؟. غير أن (وليم) لم يكن يفكر في هذا الاتجاه، وانما كان يفكر في اتجاه مضاد تماماً. فقد اخذ

---

٢٠) دندي: (DUNDEE) مدينة انكليزية، وبها خليج على بحر الشمال.

(٢١): غلينكو: (GLENCOE).

(٢٢) اليعاقبة: (JACOBITES) هم انصار (جيمس الثاني وآل ستيوارت) بعد ثورة سنة ١٦٨٨.

موقف الحذر تجاه هذا الذي قدم له أعظم الخدمات، وقدر فيه خطورته المناسبة لكفاءته وقدرته. ثم ماذا يستطيع أن يقدمه له؟ واذا كان (مارلبورو) قد عمل على تشريد (جيمس) بالرغم من كل ما قدمه له. فماذا يستطيع الملك الجديد (وليم) أن يقدم (لمارلبورو) من اجل شراء ولائه له؟. وهل بامكانه أن يقدم له اكثر مما قدمه له الملك السابق (جيمس الثاني)؟.

لقد كان (مارلبورو) يتوقع - أو يطمح- في الحقيقة بأن يصبح سيداً للبلاط. (وهو منصب له أهميته الكبرى ومكانته المرموقة في تلك الأيام. وكان يشغله شخص مشهور يحمل اسم- ويلينغتون). وشعر (مارلبورو) بخيبة أمل مريرة واحباط كبير عندما صرف (وليم) هذا المنصب عنه وأسنده لسواه. وتمنى (مارلبورو) بعد ذلك أن يمنحه (وليم) دوقيةمع وسام (ربطة الساق- غارتر). غير أن (وليم) خذله مرة اخرى. وزاد الأمر سوءاً عندما عمل (الملك وليم) على نقل رجال بلاطه وأصدقائه الخلص من الهولانديين والداغاركيين، وأسند اليهم ادارة المناصب الكبرى، مما أحبط مشاعر الكثيرين من الانكليز، علاوة على ما أصاب (مارلبورو) ذاته من احباط. ولم يكن (الملك وليم) يدعو الى ولائمه أحداً من النبلاء الانكليز ليتناول الطعام معهم في مناخ ودي- في محاولة للتقرب اليهم. في حين أنه كان يتحدث الى حظياته الهولانديات أربع ساعات باللغة الهولاندية، وبحضور النبلاء الانكليز، مما كان يزيد من استثارته لهم. ولم يكن (وليم) يحاول أبداً اخفاء عدائه للانكليز واستهانته بهم. واخذ هؤلاء يشعرون - ويدركون - بأن (وليم) لا يريد اكثر من استثمار مكتسباته وانتصاراته من أجل دعم قضية (هولاندا) في أوروبا، وحشد كل القوى ضد خصمه اللدود (ملك فرنسا لويس الرابع عشر) ولقد كانت هذه (الكالفينية)[٢٣] المتعصبة، والسوداوية المزاج، تمثل الطرف المضاد تماماً لما

---

(٢٣) الكالفينية: نسبة الى (جان كالفن: JEAN CALVIN) وهو من مواليد (نويون: NOYON) ١٥٠٩- ١٥٦٤ م. وعرف بأنه داعية للاصلاح الديني في فرنسا وسويسرا. ومات في (جنيف). حيث كان قد نظم جمهوريته (البروتستانتية). ويتميز النهج الديني (الكالفيني) عن بقية المذاهب (البروتستانتية) باعتماده على اسلوب الديموقراطية الذي ينسب الى السلطة الدينية (الإلهية) مع الالغاء الكامل للتقاليد المتبعة في الاحتفالات الكنسية. مع العودة الى اصول الدين المسيحي في كل الأمور والعبادات (بما فيها التعميد). وقد أخذ (الكالفينيون) في فرنسا اسم الهغنوت: (HUGUENOTS). وانتشرت (الكالفينية) بصورة خاصة في (سويسرا وهولاندا وهنغاريا وشمال انكلترا). وقد كتب كالفن مؤلفه الشهير =

كان يتبعه (آل ستيوارت) من تسامح وانفتاح، وتسهيل لأمور العبادات، وخلق مناخ من البهجة والحبور في الاحتفالات الدينية، وفقد البلاط بنتيجة ذلك كل ظواهر المرح والحبور المقترنة بالابهة والعظمة. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان حزب (الويغ) الذي حمل (وليم) الى السلطة في انكلترا، وقدم له عرشها بهدف الوصول الى الحكم، لم يلبث أن أصيب بخيبة أمل عندما لم يتحقق له ما يريده، إذ أظهر (وليم) ميله الى حزب (التوري) المعتدل، والذي كان يعمل على دعم العرش، بصرف النظر عمن يتولى الملك في هذا العرش أو من يمثله. ولم يكن لحزب (الويغ) مثل هذا الولاء. وهذا ما أثار مخاوف (وليم) من قيام هذا الحزب بقيادة حركة (جمهورية) لمعارضة سلطاته وانتزاع صلاحياته. ويظهر هنا التناقض الغريب لموقف (مارلبورو) الذي عمل كأداة ضخمة من أجل عزل (جيمس) الذي أصبح لاجئاً في ضيافة فرنسا. ويظهر (مارلبورو) هنا وهو يلتمس العفو من الرجل الذي عمل على تشريده. واستخدم هنا أيضاً، وبالتعاون مع زوجته (سارة) الأميرة (آن)، للقيام بالوساطة. وللافادة من نفوذها لدى والدها (الملك جيمس). فأي نوع من الرجال كان عليه (مارلبورو)؟. وهو يتقلب ويتأرجح بين الاتجاهات المتناقضة؟. وكيف يقسم يمين الولاء في لحظة من اللحظات، ليعمل بعدها مباشرة على تشريد سيده الذي أقسم بالولاء له واستبداله برجل آخر؟ ثم ها هو يعمل ضد السيد الجديد عندما يظهر له أن الأمور قد أصبحت تسير على غير ما يهوى- أو في الاتجاه الخاطئ بحسب رؤيته لطبيعة الأشياء؟.

لقد أجاب (وينستون تشرشل) بما عرف عنه من (ماكيافيلليه) تتشابه وطبيعة جده الأعلى (جون تشرشل- مارلبورو) على مثل هذا السؤال بالتالي: **«هؤلاء الذين انتقدوا بقسوة وبأسلوب لاذع- في كتاباتهم- وهم يعبرون عن خجلهم لتشريد (جيمس) من أجل مصلحة (وليم) أو دعم (وليم) ضد (جيمس).، تجاهلوا الحقيقة وهي أن (وليم وجيمس) ما كانا هدفاً في حد ذاتهما، وإنما كانا وسيلة يمكن عن طريقها استخدام السلطة لتحقيق السيادة لانكلترا. وان النجاح أو الفشل في الوصول الى الهدف هو**

= (التشريع المسيحي) سنة ١٥٣٦ م. وهو من أهم المؤلفات التي ظهرت في القرن السادس عشر. واعتبر اساساً للمذهب (الكالفيني).

العامل الحاسم في اختيار هذه الوسيلة أو تلك. وعلى هذا فان الولاء، يجب أن يكون- أو قد يكون لادارة المملكة. أو الى من يحمل اسم (الارث). غير أن هذا الولاء لن يكون الوحيد الذي يجب على رجل الدولة الانكليزي الاستجابة له بحكم واجباته وبحكم ما يتوافر له من الحقوق. وهناك على سبيل المثال: مصلحة البلاد التي تتعاظم درجة الولاء لها، وتزيد على كل اعتبار. وفي هذه الأيام، كما في تلك الأيام أيضاً. قد يكون ولاء الرجال صحيحاً أو خاطئاً. غير أن الولاء لملك معين، لا يمكن أن يعتبر قاعدة أو مزاجاً في حال من الأحوال» وإنما أساس الولاء هو في ضمان المصلحة العامة للأقليم».

المهم في الأمر هو أن هذا التحول من (مارلبورو) كان لعباً بالنار. إذ أنه عرض نفسه بصورة مكشوفة للخطر الذي لم يكن بعيداً عنه. إذ لم يلبث (وليم) أن اتخذ قراراً مباغتاً في كانون الثاني (يناير) ١٦٩٢، يقضي بتجريد (مارلبورو) من جميع مناصبه المدنية والعسكرية. وفي ٥ أيار (مايو) من السنة ذاتها، تم اعتقال (مارلبورو) وارسل الى (برج لندن) بعد اتهامه بالخيانة العظمى. ولم يكن ما لحق (بمارلبورو) إلا نتيجة (مؤامرة بحسب ما يطلق عليها اليوم. وعندما اكتشف متهموه أنهم خدعوا، عملوا على اطلاق سراحه بعد أن أمضى بضعة أسابيع في السجن. وعقدت محكمة خاصة جلساتها فقررت تبرئته، غير أنها لم تعد له اعتباره. وبقي مجرداً من كل عمل، ومحروماً من حقوقه ونشاطه السياسي وقيادته العسكرية لفترة خمسة أعوام. وخلال هذه الفترة، لم يضع (مارلبورو) وقته سدى، بل انه انصرف لدعم الروابط الوثيقة التي كانت تربطه وزوجته (سارة) مع الأميرة (آن). وقد اتيحت الفرصة (لمارلبورو) من أجل التقارب مع (وليم) والاجتماع به، بفضل وساطة (دوق شروسبوري) غير أن (وليم) اتخذ موقفاً عدائياً عندما طرحت قضية اعادة (مارلبورو) لقيادته، اذ قال (وليم) بصراحة: «انني لا أعتقد بانه من المناسب لخدمتي، تسليم قيادة القوات التي تثق بي لمارلبورو» وقد لا يكون هناك من وجه اللوم الى (وليم) ان هو اتخذ موقف الحذر تجاه (مارلبورو) الذي أخذت الشكوك تحوم حوله باستمرار. ولكي ينتقم (مارلبورو) لنفسه وكرامته، أرسل الى الملك (جيمس) إعلاماً يخبره فيه عن تحرك قوة بحرية كبيرة من (بورتموث) بمهمة تدمير الاسطول

الفرنسي في خليج (بريست) وأدى ذلك الى فشل حملة (وليم) ضد فرنسا. وتعرض (مارلبورو) على اثر ذلك للمزيد من الشكوك والاتهامات، غير أنه استطاع في كل مرة تبديد سحب الغيوم التي كانت تتلبد فوق رأسه. وأمكن له- على الأقل- استعادة سمعته السابقة من خلال دعم اصدقائه الذين كانوا يحتلون مكانة مرموقة في أجهزة الحكم، ومن خلال علاقته الجيدة بالأميرة (آن).

وأخذت مكانته في الصعود من جديد، فاستعاد منصبه في قيادته العسكرية القديمة، كما استعاد مركزه (في الهيئة الاستشارية الخاصة). واسند اليه منصب لا ضرر منه ولا أذى، وهو منصب (الوصي على دوق غلاوسستر) الشاب. وكان هذا الدوق هو الابن الوحيد من بين مجموعة البنات اللواتي انجبهن زواج الاميرة (آن) من (الامير جورج الدانمركي). وكان الدوق مريضاً، يعاني من (استسقاء الرأس- هيدروسيغالوس)، غير أنه كان الوريث الوحيد للعرش. وعلى الرغم من الأهمية الشخصية لهذا الدوق، فقد ترك في منزل صغير يقع في ضاحية (كنسينغتون) في (لندن). واستمر (مارلبورو) في عمله هذا لبعض الوقت. الى أن أقبل عام (١٧٠١) حيث أظهر (وليم) تصميمه على الافادة من (مارلبورو) فرافقه الى (هولاندا) ومنحه سلطات واسعة لتنظيم المفاوضات من أجل اعداد متطلبات الحرب ضد فرنسا. وكان (وليم) قد اتخذ هذا الاجراء بعد أن اقتنع بالكفاءات المتوافرة (لمارلبورو) من جهة، ولابعاده عن الاميرة (آن) من جهة ثانية، وللإفادة منه في مجالي الادارة والحرب من جهة ثالثة.

عادت هنا (لعبة القدر) لتمارس دورها في التأثير على مسيرة الأحداث. فقد توفي الملك المعزول (جيمس الثاني) في فرنسا سنة (١٧٠١ م) واعلن ملك فرنسا (لويس) على الفور مطالبته باسناد عرش انكلترا لآخر اولاد الملك (جيمس) والذي عرف بعد ذلك (بالمطالب القديم بالعرش) وأطلق عليه اسم (ملك انكلترا واسكوتلنده). في حين كانت قضية الوراثة في (انكلترا) قد سويت على اساس انتقال العرش بعد استبعاد ذكور (آل- ستيوارت) الى (صوفيا الهانوفرية) (المعروفة باسم الموسس القديمة). المهم في الأمر هو أن اعتراف ملك فرنسا بشرعية انتقال ملك (جيمس الثاني) الى ابنه (جيمس الثالث) قد اثار المشاعر المناوئة لفرنسا، فتشكل حلف كبير يضم انكلترا وهولاندا

والامبراطورية، وزرعت بذلك بذور الحرب التي اصبحت انكلترا مستعدة لخوضها.

انفجرت الحرب في سنة ١٧٠٢ م، وهي الحرب المعروفة باسم (حرب الوراثة الاسبانية) والتي احرز فيها (مارلبورو) أعظم انتصاراته. وتوفي في شهر شباط (فبراير) ١٧٠٢ (وليم الثالث) غير مأسوف على موته، وكانت ميتته بحادث أثناء ركوب حصانه، ولم تتوافر له الفرصة لرؤية ما كان يحلم به دائماً ويعمل له وهو (سحق ملك فرنسا). وصعدت الاميرة (آن) الى عرش انكلترا، وأصبحت شقيقة زوجة (وليم الثالث) هي الملكة. فكانت آخر سلالة (آل ستيوارت) في حكم انكلترا، وتميز عهدها بأمجاده العسكرية وبازدهار الآداب والفنون والبناء.

أخذ نجم (مارلبورو) في الصعود بعد وفاة (وليم الثالث). وكان ذلك بفضل (آل ستيوارت) أيضاً حيث اخذت الملكة (آن) على عاتقها دعم (مارلبورو) بأكثر مما كان يفعله والدها من قبل.

كانت (ساره) زوجة (مارلبورو) قد استطاعت خلال هذه الفترة أن تفرض هيمنتها الكاملة على الملكة (آن) التي كانت بدورها تميل كثيراً لزوجة (مارلبورو) وتعتمد عليها كل الاعتماد. ووصلت العلاقة الودية بينهما الى درجة تبادل الاحاديث بدون أي تكلف أو (رسميات) ومع استخدام الاسماء المجردة عند المخاطبة. ونظراً لما يسببه ذلك من حرج (أمام المحيطين بالبلاط). فقد تم الاتفاق على تبديل الاسماء. فأطلقت الملكة على نفسها اسم (السيدة موربي) واطلقت على زوجة (مارلبورو) اسم (السيدة فريمان) وعلى (مارلبورو) اسم (السيد فريمان) وذلك عندما يتم الحديث بين (الملكة آن) و (سارة) عن (مارلبورو) في جلساتهما الخاصة. ولم يعد من الصعب على (السيدة فريمان) أن تدعم (قضية زوجها) حتى ابعد الحدود. ونتج عن ذلك أن أقدمت الملكة على استبعاد وزراء (الويغ) واستبدالهم بوزراء من حزب (التوري) كان في طليعتهم صهر (مارلبورو) المعروف باسم (اللورد غودولفين) وكذلك اللورد (نوتينغهام). ولم يلبث (مارلبورو) أن حصل بسرعة على ما يتمناه ويستحقه، فقد منح له وسام (ربطة الساق- غارتر)، كما تم تعيينه في منصب (سيد البلاط). وفي ٤ أيار (مايو) ١٧٠٢، اعلنت دول الحلف الكبير الحرب على فرنسا واسبانيا. وكان من حظ انكلترا وجود الرأس الذي يمكن له توجيه المجالس وقيادة الجيوش في عهد الملكة الجديدة.

«عندما تعلن امرأة الحرب عليَّ، فهذا يعني بأنني أصبحت كهلاً عجوزاً. قالها الملك لويس الرابع عشر عندما بلغه أن ملكة انكلترا ـ الملكة آن ـ قد أعلنت الحرب ضده»

الفصـــل الثـــاني

الحـرب فـي اطارهـا التـاريخـي

١ ـ حرب الوراثة الاسبانية واسبابها .

٢ ـ المراحل الرئيسية للحرب.

٣ ـ الحرب وطبيعتهـــا.

أ ـ ادارة الحرب.

ب ـ الأساليب التعبوية (التكتيكية).

ج ـ الالبسة العسكرية.

د ـ قادة الحرب.

* الجيش الافرنسي.

* * الجيش الامبراطوري.

* * * الجيش الانكليزي.

١ـ حرب الوراثة الاسبانية واسبابها.

لم يكن الرأي العام الانكليزي في نهاية القرن السابع عشر، يظهر اهتماماً كبيراً بالشؤون الاوروبية. ذلك أن السياسة الخارجية تركت انكلترا منذ سنة (١٦٦٠) في حالة عزلة تامة. وتدهورت هيبتها ومكانتها بنتيجة ذلك حتى وصلت الى الحضيض. وقد تجاهلت (انكلترا) بصورة خاصة الاهتمام الوطني التقليدي الذي كان يهدف الى اقامة التوازن في القوى على الساحة الاوروبية، وهو التوازن الذي كان يتطلب اتخاذ سياسة مضادة لفرنسا. وهكذا بقيت (انكلترا) غير مبالية تجاه الهيمنة المتعاظمة للملك (لويس الرابع عشر) ولما قام به من حروب ضد الأقاليم المتحدة (هولاندا) في الفترة ما بين سنة (١٦٧٢) وسنة (١٦٧٨) وكذلك تدخل فرنسا ضد المانيا (١٦٧٩ـ ١٦٨٥ م) غير أنه حدث تغيير في هذه السياسة عندما تولى (جيمس الثاني) عرش انكلترا (١٦٨٥ـ ١٦٨٨ م) حيث تركز الاهتمام على إقامة وراثة كاثوليكية تحكم عرش انكلترا. ونتج عن ذلك دعوة (وليم أوف اورانج) في حزيران (يونيو) ١٦٨٨ من اجل تسليم الملكية للوراثة البروتستانتية. كما نتج عن ذلك أيضاً حدوث ثورة في السياسة الخارجية الانكليزية أدت الى اندلاع الحروب المستمرة طوال خمس وعشرين عاماً. ولقد كان (وليم أوف اورانج) ابن اخت الملك (شارل الثاني) وقد دعم حقه في الوراثة عن طريق زواجه لابنة (جيمس الثاني) في سنة ١٦٧٨ (عندما كان جيمس لا يزال دوق يورك على نحو ما سبق ذكره). وقد تصدى (وليم) لخوض الصراع ضد الملك (لويس الرابع عشر) ومطامعه. وهو لا يزال شاباً لا يزيد عمره على واحد وعشرين عاماً. ولا ريب أنه من أجل ذلك قد صمم على غزو انكلترا من قبل أن تصله دعوة (مارلبورو) لغزوها. واهتم بتحقيق ثلاثة امور (حماية الأقاليم المتحدةـ هولانداـ ودعم البروتستانتية، والمطالبة بوراثة عرش انكلترا. وكان (لويس الرابع عشر) يهدد هذه الأمور ـ أو الأهدافـ كلها. وكانت الحجة القوية التي تذرع بها (وليم) في غزوه لانكلترا سنة ١٦٨٨ هي حملها على خوض الصراع ضد فرنسا. ومما لا شك فيه هو أن (وليم) لم يكن ليغادر (انكلترا) بعد

أن استولى عليها. وتجدر الاشارة الى توقيع مسودة معاهدة الحلف الذي انضمت فيه (انكلترا) الى (هولاندا) و (الامبراطورية الرومانية المقدسة لآل (هبسبورغ) في (فيينا) قبل اسبوعين فقط من تنصيب (وليم) ملكاً على عرش (انكلترا).

لقد دفع ذلك بعض الباحثين المعاصرين الى القول: «بأن وليم قد استولى على انكلترا في طريقه للاستيلاء على فرنسا». وهكذا فعندما أعلنت (انكلترا) الحرب على (فرنسا) في أيار- مايو- ١٦٨٩. أصبح عليها أن تتورط في الصراع طوال السنوات التسع التالية في اطار (حلف اوغسبرغ)[٢٤] وهي (حرب التسع سنوات).

وكان هدف (وليم) من ذلك إقامة سد في وجه الهيمنة الفرنسية، وتحقيق نوع من التوازن في القوى بين عائلة (آل بورون)[٢٥] في فرنسا (وآل هبسبورغ). وكان (وليم

(٢٤) اوغسبرغ: (AUGSBOURG) وفي الألمانية (AUGSBURG) مدينة المانية تقع في بافاريا على نهر (ليك LECH). كانت مركز (الهولبين HOLBEIN) و (البروكر: BRUCKER) و (البوتينغور: PEUTINGER) ثم أصبحت قاعدة للبروتستانتيين في سنة ١٥٣٠ م. غير أنها اشتهرت منذ سنة (١٦٨٦) حيث عقد فيها الحلف المضاد للملك الفرنسي (لويس الرابع عشر) والذي ضم (النمسا والسويد واسبانيا ومختلف الامارات الألمانية). وقد كان هذا الحلف من صنع (وليم) الذي عمل على ضم (انكلترا) للحلف من أجل دعم (حرب التسع سنوات) وهي الحرب التي تميزت بانتصار فرنسا في (ستينكيرك STEINKERQUE) و (فلوروس :FLEURUS) في البلاد المنخفضة، وبانتصار فرنسا ايضاً في (ستافارد: STAFFARDE) و (مارسايل: MARSAILLE) في ايطاليا، .وانتهت بمعاهدة صلح (ريزويك: RYSWICK) (١٦٨٨- ١٦٩٧)

(٢٥) آل بورون: MAISON DE BOURBON، تعود أول أسرة من آل بوربون (الارشامبولت: ARCHAMBOULT) الى القرن العاشر الميلادي. ثم انتقلت سيادة البوربونيين عن طريق الزواج - الى (آل دامبير- DAMPIERRE) ثم الى اول اسرة من (الكابيسيين: CAPÉTIENNE) وهم من البورغونيين، واخيراً الى (روبيرت كليرمون) الابن السادس للملك لويس التاسع (سان لويس) والذي تزوج من (بياتريس- بورغون- بوربون) وجاء ابن (روبيرت) ليحمل اسم (لويس الأول- الكبير) وليؤسس (دوقية بوربون) سنة ١٣٢٧. وتتابع تسعة دوقات من آل بوربون- ما بين لويس الأول وشارل الثالث الذي مات سنة ١٥٢٧. وظهر بعد ذلك فرع (فاندوم: VENDOME) وهو الفرع الثاني المعروف بفرع (مارش: MARCHE) والذي تولى عرش (نافار: NAVARRE) بداية من الملك (انطوان) سنة ١٥٥٥ م. ثم امتد ملك النافاريين ليشمل فرنسا في عهد (هنري الرابع) سنة (١٥٨٩) والذي كان ابنه (لويس الثالث عشر) هو الدرة في تاج (آل بورون) والذي انتهى بوفاة (الكونت شامبورد: CHAMBORD) الذي حمل اسم (هنري الخامس) وذلك في سنة ١٨٨٣. أما الفرع الاسباني، فقد تعرض للانقسام، ويمثله حالياً (خوان كارلوس) ملك اسبانيا بعد وفاة (الجنرال فرانكو) ومن فروع البوربونيين ايضاً ملوك (صقليا) و (بارم) و (فيليب دوق اورليان)- الابن الثاني للملك لويس الثالث عشر، والذي تولى عرش فرنسا مع (لويس فيليب الأول- ١٨٣٠- ١٨٤٨) ولا يزل فرع منه يقيم في فرنسا (كان منه- كونت باريس) ومن فرع (اورليان) ايضاً (الفرع الامبراطوري البرازيلي) وفرع (مونبانسير MONTPENSIER) والذي يحمل افراده اسم (اولاد ملوك الاسبان).

أوف أورانج) يريد أيضاً تأمين حماية (الأقاليم المتحدة- هولاندا) بما أطلق عليه اسم (السد)، وهو عبارة عن خط من القلاع على الحدود الاسبانية وحدود البلاد المنخفضة، مع الاعتراف بحق وراثة العرش الانكليزي (للبروتستانتيين). وقد كان من الصعب على ملك فرنسا (لويس) منح هذا الاعتراف، لأنه لم يكن يعتبر (وليم اوف اورانج) اكثر من (مغتصب للعرش). وكان التفكير المهيمن هو ان امتيازات التجارة الهولاندية- الانكليزية تسير في طريق واحد عبر المستعمرات الاسبانية في أمريكا الجنوبية، وعندما اندلعت الحرب، لم تحقق دول الحلف فيها نجاحاً يذكر. ولم ينجح (وليم) في انتزاع أي نصر خلال حملته على (الفلاندر). وذلك بعد انتصاراته الاولى على (اليعاقبة) في (اسكوتلنده وايرلنده). وألحق الفرنسيون هزيمة بقوات (وليم) في معركة (ستينكيرك)[٢٦] سنة ١٦٩٢، ثم اتبعوها بهزيمة أخرى في (لاندن)[٢٧] سنة ١٦٩٣. وكان الانتصار الوحيد الذي احرزه (وليم) هو استيلاؤه على (نامور) سنة ١٦٩٥. وعلى كل حال فقد أبرزت هذه الحرب دور القدرة البحرية البريطانية وتأثيرها على (أوروبا). فقد استطاعت البحرية البريطانية ارغام البحرية الفرنسية على الانسحاب من البحار، واللجوء الى ميناء (بارفلور)[٢٨] في سنة ١٦٩٢، وانطلق الاسطول البريطاني بعدها للقيام بجولات في (البحر الأبيض المتوسط). (خلال سنتي ١٦٩٤- ١٦٩٥) وخاض معارك ضد القراصنة الفرنسيين (في سنتي ١٦٩٥- ١٦٩٦) كما عملت انكلترا على ارسال حملات بحرية صغرى للمستعمرات (سنة ١٦٩٧). وكان الحافز الأول هو اقتحام مجال المنافسة التجارية- التقليدية لمصلحة انكلترا- وهولاندا.

توافرت القناعة لدى (لويس الرابع عشر) و (وليم) بالحاجة الى السلم في سنة (١٦٩٢) غير أن الثقة كانت غير متوافرة لدى الملكين، إذ لم يكن أحدهما يثق بصحة نوايا

---

(٢٦) ستينكيرك: (STEINKERQUE) وهي اليوم (STEENKERQUE) مقاطعة بلجيكية انتصر فيها الماريشال (لوكسمبرغ) على (وليم الثالث) سنة ١٦٩٢.

(٢٧) لاندن (LANDEN - EN - HESBAYE) مدينة بلجيكية في اقليم (لييج). وهي التي استقر فيها الكارولنجيين وظهروا منها- وكان أولهم (بيبان- دولاندن)

(٢٨) بارفلور (BARFLEUR) خليج يقع على بحر المانش بالقرب من رأس (بارفلور) والذي يقع في أقصى شبه جزيرة (كوتنتان: COTENTIN) في اقليم (شيربورغ: CHERBOURG).

الآخر. ولم تتوقف الحرب إلا عندما أدرك (لويس الرابع عشر) بأنه لم يعد قادراً على الاستمرار في خوضها لمدة أطول. فجاءت (معاهدة سلم ريزويك) سنة ١٦٩٧[٢٩] وهي المعاهدة التي اعترفت لفرنسا بما غنمته في غزواتها منذ سنة ١٦٧٢. وأقرت إقامة حاجز من الحدود على تخوم (هولاندا) مع بعض الامتيازات التجارية. واعترف الملك (لويس الرابع عشر) بحق (وليم) في عرش (انكلترا) وتعهد بالتوقف عن دعم (جيمس الثاني). ولكن لم يكن (لويس الرابع عشر) ينظر الى (معاهدة سلم ريزويك) بأكثر من كونها هدنة مؤقتة، وكذلك الأمر بالنسبة (للملك وليم). أما الرأي العام الانكليزي فقد اعتبر أن هذه المعاهدة هي (سلم نهائي) لا سيما بعد أن رفعت قيود الرقابة البحرية في سنة ١٦٩٥. وبعد أن أصبحت أبعاد المشكلة واضحة ومعروفة. وقامت مجموعات في البرلمان الانكليزي، مدفوعة بعواطف مضادة للهولانديين فقررت تخفيض حجم الجيش الانكليزي، وعند هذه النقطة ظهرت مشكلة (الوراثة الاسبانية) فألقت بثقلها على اوروبا كلها.

خضعت أسبانيا (بعد إخراج المسلمين منها) وطوال القرنين السادس عشر والسابع عشر لسلالة (آل- هبسبورغ)[٣٠] القوية، والتي جاء تسلسل الحكم فيها منذ فيليب الأول (ارشيدوق النمسا) (١٤٧٨-١٥٠٦) الذي تزوج بملكة (البرتغال) (الملكة ايزابيلا) ووحد حكم اسبانيا. وأنجب هذا الزواج (شارل الأول- المعروف بشارل الخامس الاسباني أو- شارلكان) (١٥٠٠-١٥٥٨) ثم جاء من بعده ابنه (فيليب الثاني)

---

(٢٩) ريزويك: RYXWICK قرية هولاندية، وقعت فيها سنة ١٦٩٧ المعاهدة التي وضعت حداً لحرب تحالف (اوغسبورغ).

(٣٠) آل- هبسبورغ: (MAISON DE HABSBOURG) عائلة ألمانية يعود أصلها الى السواب (SOUABE) أو (SCHWABEN) بالألمانية. وهو الأقليم الواقع في جنوب غرب بافاريا حالياً وعاصمته (اوغسبرغ). وقد اشتهرت هذه العائلة بالثراء الفاحش. واشتقت اسمها من قصر (قلعة) في سويسرا في (كانتون ارغوفي). وقامت بقيادة (البرت الغني) بضم اقاليم واسعة اليها في سنة ١١٥٣. كما استولت على مقاطعة (الالزاس). وشكلت مملكة لها تحت حكم (رودولف هبسبورغ) وجاءت سلالته لتحكم بوهيميا وهنغاريا واسبانيا، ولتفرض هيمنتها على النمسا والاقاليم المنخفضة، (هولاندا) وقسم من ايطاليا والعالم الجديد، وقد جاءت (ماري تيريز) ابنة الامبراطور (شارل السادس) لتحمل معها هيمنتها ايضاً على (عائلة اللورين) وذلك عندما تزوجت من الدوق (فرانسوا الثالث) والذي أصبح بعد ذلك معروفاً باسم الامبراطور (فرانسوا الأول) (١٧٤٥- ١٧٦٥) وقد أعطى سلالته اسم (لورين- هبسبورغ).

١٥٢٧-١٥٩٨. ثم (فيليب الثالث) ملك اسبانيا ١٥٧٨-١٦٢١، ثم (فيليب الرابع) الذي أصبح ملكاً على اسبانيا حتى العام ١٦٦٠. وحكم اسبانيا بعد ذلك (شارل الثاني) ١٦٦٠- ١٧٠٠. وقد أضاع شارل الثاني أقاليم (الفلاندر وفرانش كومتيه واللوكسمبرغ) وغنمت فرنسا هذه الأقاليم- والمقاطعات- فتعاظمت قدرتها. وعندما توفي (شارل الثاني) أصبحت اسبانيا نهباً للتمزق والانهيار. إذ ان وفاته المباغتة، وهو في عمر الأربعين جاءت لتقلب كل الحسابات والتوقعات. وكان (لويس الرابع عشر) الحفيد الاكبر للملك لويس، و (الارشيدوق شارل- هبسبورغ) الابن الثاني (لليوبولد) امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة. و (جوزيف امير بافاريا). وحاول الملك لويس الرابع عشر بالتعاون مع (وليم أوف اورانج) حل المشكلة، وامكن لهما ذلك حيث ظهرت معاهدة سنة ١٦٩٨، وكان لا بد من نقض هذه المعاهدة بسبب وفاة (جوزيف امير بافاريا) في بداية سنة ١٦٩٩. وأمكن هنا ايضاً تسوية المشكلة باتفاقية سنة ١٦٩٩. حيث عملت القوتان الكبيرتان على فرض رغباتها على القوى الصغرى، ووفقاً لمضمون المعاهدة الاخيرة، وافق الملك (لويس الرابع عشر) على تسليم الأراضي المنخفضة الاسبانية ومستعمراتها الى الملك شارل ومقابل ذلك تحتفظ اسبانيا بكل ممتلكاتها في ايطاليا. وظهر واضحاً أن هذه الاتفاقية تضمن للملك لويس الرابع عشر نفوذاً قوياً على البحر الأبيض المتوسط. وأنكر الامبراطور (ليوبولد) بصورة خاصة حق (وليم) في التدخل بشؤون لا يحق (لمغتصب العرش الانكليزي) أن يتدخل بها. وعارض الرأي العام الانكليزي تلك الاتفاقية واعتبر أن (وليم) قد ذهب بعيداً في منح اسواق الشرق لفرنسا، غير أن (وليم) كان يعتقد بأن ابعاد فرنسا عن اسبانيا ومستعمراتها قد ضمن لانكلترا اسواقاً اكثر اهمية من أسواق الشرق (وكان يعني بذلك مستعمرات اسبانيا في امريكا الجنوبية)

وعلى كل حال، فقد تم اقناع (شارل الثاني) ملك اسبانيا بالتوقيع على تعهد بالتنازل عن كل ممتلكاته الى (فيليب انجو) وذلك في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٠٠. أي قبل وفاة الملك شارل بأيام قليلة.

وجد الملك (لويس) بأن وصية (الملك شارل) هي أعظم مقامرة في حياته، وقبل

الالتزام بدعم رغبة حفيده الذي أصبح ملكاً لاسبانيا باسم (فيليب الخامس).

لم تكن الأسباب التي دفعت الرأي العام الانكليزي لاستئناف الحرب هي قبول الملك (لويس الرابع عشر) لدعم (فيليب انجو) وتنفيذ رغبة (الملك شارل)، وإنما كانت الاسباب الحقيقية هي في تلك القيود التي فرضها (الملك لويس) على التجارة الانكليزية في فرنسا، ومغامراته التجارية مع المستعمرات الاسبانية، وكذلك فرض شرط الحركة السنوية (للآسيانتو) أو «فرض الرقابة على تجارة الرقيق مع المستعمرات الاسبانية، وتقنينها بالموافقة لانكلترا على ارسال سفينة واحدة في العام» وقد أدى ذلك كله إلى تغيير في الرأي العام الانكليزي تجاه قضية (الحرب). وعندما قامت القوات الفرنسية بهجومها المتوقع فاحتلت عدداً من المواقع العسكرية الهولاندية التي كانت تابعة للأراضي المنخفضة الاسبانية وذلك في شهر شباط (فبراير) ١٧٠١. لم يثر ذلك انكلترا أو يحرضها على البدء بالحرب، غير أن وفاة (جيمس الثاني) في شهر ايلول (سبتمبر) ١٧٠١. واعتراف فرنسا بحق (المطالب القديم) بالوراثة لعرش انكلترا، جاءت لتحدي حق الوراثة البروتستانتية، وبدأت على أثر ذلك حملة إعلامية في (الصحافة) أسهم فيها عدد من الكتاب البارزين (امثال دينو) وارغمت ـ هذه الحملة ـ الملك (وليم) باجراء الاستعدادات للحرب. فأعيد تكوين الحلف المضاد لفرنسا. وعندما قتل الملك (وليم) في حادثة ركوب حصان (في آذار ـ مارس ـ ١٧٠٢) كانت انكلترا قد أخذت طريقها للحرب التي انتهت بتجريد فرنسا من كل قدراتها، بحيث لم تتمكن من استعادة قوتها إلا بظهور الثورة الفرنسية.

ومقابل ذلك، عرفت انكلترا نوعاً من الهدوء والاستقرار لم تعهده منذ زمن بعيد. وعلى الرغم من بقاء ظل (جيمس ستيوارت) المطالب القديم بحقه في العرش، فقد بقيت الملكة (آن) مهيمنة بقوة على الحكم. ولم تكن في مذهبها خاضعة (للبابا) كما انها لم تكن (كالفنية) بل بقية (انجيليكية)، وبالرغم من ذلك فقد تقبل الشعب حكمها وأيده، ولم ينقص من دورها في الحكم انها (من آل ستيوارت) وانما زاد من تأييد الشعب لها.

٢ـ المراحل الرئيسية للحرب:

تشكل الحلف المضاد لفرنسا وكبر بصورة طبيعية، فأصبح يضم النمسا وبعض الامارات الالمانية والهولاندية وانكلترا والدانمرك والبرتغال، ووقفت فرنسا في مواجهة هذا الحلف ومعها اسبانيا وبافاريا وكولونيا ونابولي وسردينيا. وكان هناك حليف محتمل للطرفين (هو دوق سافوا) الذي كان من سياسته استثمار كل موقف، والإفادة من كل فرصة لتوسيع رقعة دولته وزيادة قوتها.

حدثت وقائع حرب الوراثة الاسبانية في اطار حملات سنوية على الشكل التالي: حملة ايطاليا ـ شياري (سنة ١٧٠١) ثم حملة مارلبورو الاولى (١٧٠٢) وحملة هوشستت (سنة ١٧٠٣) وحملة الراين والدانوب ـ معركة بلينهايم (سنة ١٧٠٤) وحملة عام (١٧٠٥) وحملة راميليبه (سنة ١٧٠٦) وكان العام (١٧٠٧) عام استراحة وإعادة تنظيم من أجل حملة (١٧٠٨). وجاءت بعد ذلك حملة (مالبلاكيه) (١٧٠٩) ثم حملة العام (١٧١٠) والى جانب هذه الحملات البرية حدثت معارك بحرية وعمليات عسكرية في اسبانيا. منها نصر الحلفاء في (قادس) في ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٠٢. وانضمام البرتغال الى الحلفاء في العام (١٧٠٣) واستيلاء الحلفاء على جبل طارق في ٢٣ تموز (يوليو) ١٧٠٤ وغزو الحلفاء لاسبانيا (سنة ١٧٠٦).

لقد تركزت استراتيجية (وليم الثالث) على القيام بغزو (فرنسا) انطلاقاً من (هولاندا). وكانت اهداف الحرب في بداية سنة (١٧٠٢) ـ بالنسبة لدول الحلف الكبير ـ تسير في هذا الاتجاه المفروض. وكانت تلك الأهداف على (نحو ما سبقت الاشارة اليها) تتلخص حمل فرنسا على تقديم تنازلات تجارية لمصلحة هولاندا وانكلترا، وإقامة سد على الحدود الهولاندية. وتقديم (فرنسا) التنازلات في ايطاليا والأراضي المنخفضة لمصلحة الامبراطورية الرومانية المقدسة. واخيراً اعتراف فرنسا بحق الوراثة البروتستانتية في انكلترا. غير أن المجهود الحربي لدول الحلف لم يكن ليتناسب مع ما يتطلبه تحقيق الأهداف بسبب ظهور مجموعة من العوامل أولها تخصيص القدرات القتالية لعدد من الامارات الالمانية المتحالفة من أجل دعم (الحرب الكبرى في الشمال) والتي استمرت طوال فترة السنين (١٧٠٠ و ١٧٢١) بين (شارل الثاني عشر) ملك السويد وبين (بطرس الأول) امبراطور روسيا. هذا بالاضافة الى اندلاع الثورة في (هنغاريا)

ضد الامبراطورية .ونتيجة لذلك ، كان على (انكلترا) زيادة نصيبها من القوات التي الزمت بتقديمها والتي حددت بخمسي القوات البرية وخمسة اثمان القوة البحرية .

وكان لا بد من تركيز الجهد الرئيسي للقوات الانكليزية على الاتجاه الذي تتوافر له أفضل الظروف لتحقيق اهداف الحرب، وكان هذا الاتجاه هو في (الفلاندر). وكان (وليم) قد عهد الى (الدوق مارلبورو) لتأمين هذا الجهد بالتعاون مع (سيدني غودلفين-المعروف باسم لورد الثروة- تريزيرر) واللذين أصبحا زعيمي تحالف حزبي (الويغ والتوري). وتنفيذاً لذلك، صرف (مارلبورو) جهده طوال السنتين الأوليين للحرب من أجل انقاذ (الاقاليم المتحدة) وتنظيم قاعدة قوية وصلبة للانطلاق منها من اجل غزو (فرنسا). وقد أمكن تحقيق ذلك بدون قتال، غير أن حملات (مارلبورو) في سنتي ١٧٠٢ و١٧٠٣ ، لم تقدم دعماً لمجابهة المأزق الذي كانت تتعرض له دول الحلف في (ايطاليا) و (المانيا) بنتيجة الهجوم المدمر الذي قامت به القوات الفرنسية. ومقابل ذلك لم تتمكن البحرية الفرنسية من تحدي التفوق البحري الانكليزي الذي تم اكتسابه خلال (حرب التسع سنوات)، فتم استخدام الاسطول البحري الانكليزي على نطاق واسع من اجل تنفيذ مجموعة من الاهداف: أولها: القضاء على الوجود البحري الافرنسي في البحر الأبيض المتوسط. وثانيها: ممارسة ضغط على اسبانيا والبرتغال. وثالثها: حماية تجارة انكلترا والدول المتحالفة معها. ولقد أبرزت البحرية التقليدية (او استراتيجية المياه الزرقاء) ان باستطاعة الاسطول معادلة التفوق البري للافرنسيين عن طريق ممارسة الضغط ضد النقاط الضعيفة، وحماية الحدود والتأثير على التجارة مع المستعمرات. وعلى الرغم من فشل الاميرال الانكليزي (روك) في الاستيلاء على (قادس)، وعزل التجارة الاسبانية عن مستعمراتها، إلا أنه أمكن في (سنة ١٧٠٢) الاستيلاء على اسطول اسباني محمل (بثروات ضخمة) في خليج (فيغو) وعلى كل حال، فقد كان لا بد من زيادة حجم الوجود البحري الانكليزي في البحر الأبيض المتوسط مع انضمام البرتغال الى (دول الحلف) في سنة ١٧٠٣ م. وفي الوقت ذاته، تخلت (سافوي) عن (فرنسا) بسبب ما تعرضت له من ضربات قاسية في ايطاليا.

أدرك الحلفاء جميعهم مدى الحاجة لمنع (البرتغال) من الانضمام (لفرنسا). والعمل حتى لا تحتذي حذو (بافاريا) التي انضمت الى (فرنسا). وكان ملك البرتغال

(بدرو الثاني) يخاف في الحقيقة من ملك فرنسا (لويس) . كما كان يرغب في زواج ابنته من (الارشيدوق شارل)، غير أنه كان يدرك أيضاً مدى حاجته للتعلق بالقدرة البحرية للحلفاء من أجل حماية تجارة بلاده. وفي الوقت ذاته، كانت الاستثمارات التجارية الانكليزية- الهولاندية تضغط بكل ثقلها لاقامة حلف انكليزي- برتغالي، وانتهى الأمر بتوقيع معاهدة (ميثوان) بين انكلترا والبرتغال (للتبادل التجاري بحيث تحصل البرتغال على الصوف مقابل ما تصدره من الخمور) وأعلنت (البرتغال) في ذات الوقت انضمامها الى الحلفاء الذين قبلوا بدورهم أيضاً (هدف الحرب الجديد) وهو انتقال الارث الاسباني بكامله الى (الارشيدوق شارل- الذي أصبح معروفاً باسم شارل الثالث). واستبعاد (فيليب الخامس) من حق الوراثة. وقد كان ذلك من سوء حظ الحلفاء، إذ أصبحت منطقة العمليات المحدودة هي المسرح الرئيسي للاعمال القتالية، ولم تكن طبيعة هذا المسرح الجغرافية أو المناخ من العوامل المساعدة على كسب الحرب. وقد قبل البرلمان الانكليزي هذا الالتزام الجديد بدون جدل أو نقاش، إذ كان حزب (الويغ) يرى في (الحلف الكبير) أداة فعالة لضمان السلم الاوروبي والأمن الانكليزي في وقت واحد. كما كان معظم اعضاء حزب (التوري) يعتبرون أن (اسبانيا) هي اسفل البطن الرخو الذي يمكن توجيه الطعنة اليه من أجل هزيمة فرنسا بطريقة غير مباشرة، ومن اجل الامساك بمفاتيح التجارة (عن طريق تطوير استراتيجية المياه الزرقاء التي برهنت حتى تلك الفترة على نجاحها الرائع). وكانت فئة من حزب التوري - وليس كل زعماء هذا الحزب- قد أخذت في المطالبة بسحب قسم من قوة (مارلبورو) الموجودة في (الفلاندر) من أجل دعم الحرب البحرية في اسبانيا، لا سيما وأن شروط المعاهدة مع (البرتغال) قد تضمنت تقديم قوة (١٢) ألف مقاتل من قوات الحلفاء لوضعهم تحت قيادة (بدرو) من أجل غزو (اسبانيا). ونظراً لأن الهولانديين وبقية الدول المتحالفة لم تكن قادرة على تجاوز ما هو محدد لها من القوى، فقد وقع على (انكلترا) عبء تقديم العدد الاكبر من افراد قوة الاثني عشر الف مقاتل وإرسالهم الى (البرتغال).

انضمت (بافاريا) الى (فرنسا) في سنة (١٧٠٤ م)٠ فنشأ عن ذلك موقف خطير، وضاعف من خطورته اندلاع (الثورة الهنغارية) في تلك الفترة ذاتها، مما بات يهدد (فيينا) وظهر عندها احتمال فرض سلم منفصل على بعض دول الحلف (النمسا بصورة خاصة)

الأمر الذي دفع (مارلبورو) الى القيام بمسيرة شاقة على امتداد (نهر الدانوب) وفتح ممر إلى (شيلينبرغ) و (دونوورث) (انظر المخطط المرفق).

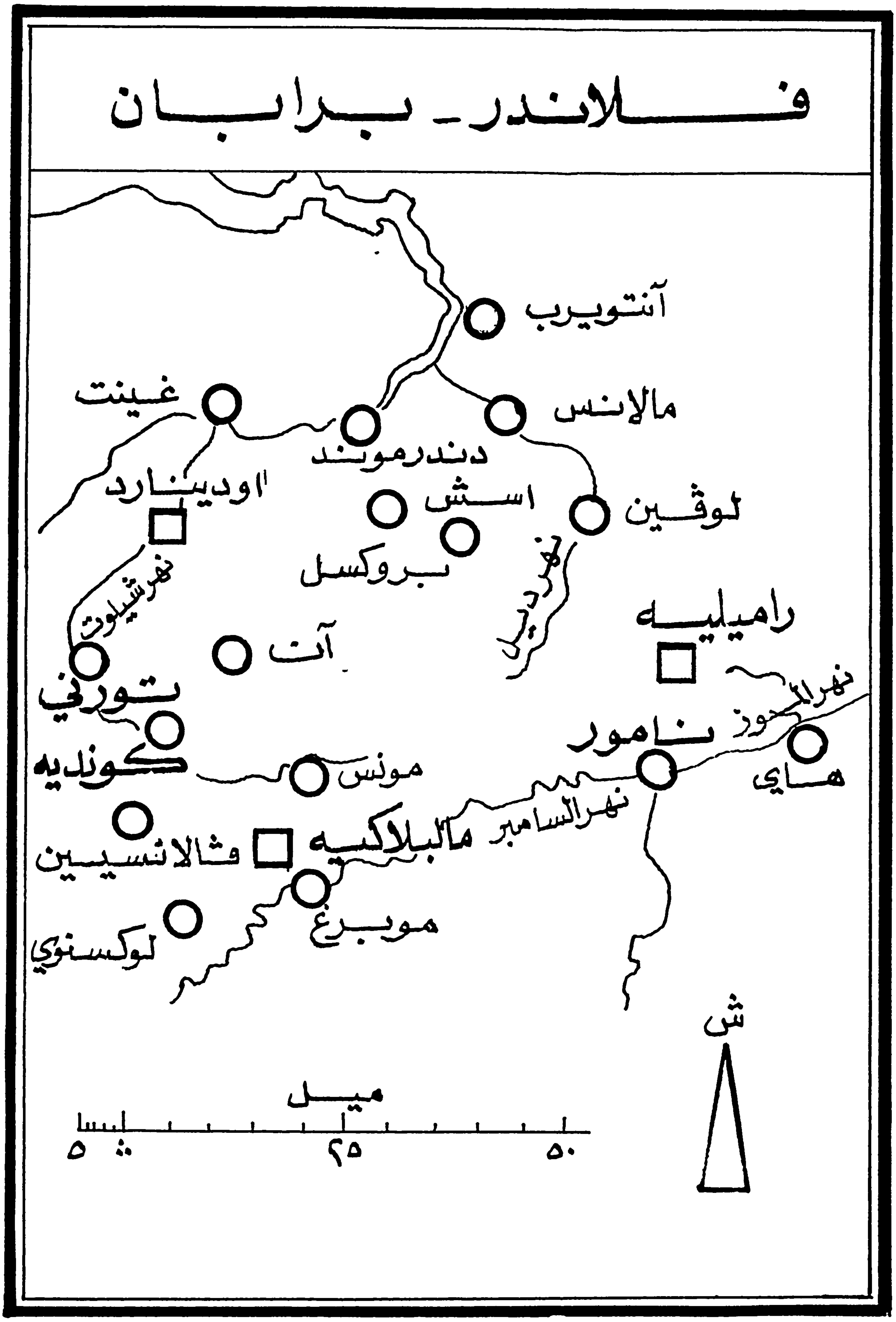

نجحت حركة (مارلبورو) في تأمين الاتصال مع الكتلة الرئيسية لقوات الحلفاء يوم ٢ تموز (يوليو) ١٧٠٤. وامكن بذلك تحقيق النصر في (بلينهايم) بفضل تعاون (مارلبورو) و (أمير سافوي- الامير اوجين) اللذين خاضا المعركة ضد الجيوش المشتركة لحاكم بافاريا (الالكتر) والمارشال الفرنسي (تالارد). وكان من نتيجة المعركة إنزال ضربة قاضية بالقوات البافارية، والقضاء على كل أمل لفرنسا بفرض هيمنتها على اوروبا. ومقابل ذلك، ضاعت الفرصة المناسبة لغزو فرنسا لأن قادة الحلفاء التزموا جانب الحذر الأمر الذي ظهر بأنه فشل (لمارلبورو)، مما أفقد كثيراً من قيمة نصر (بلينهايم).

جاءت بعد ذلك حملة سنة (١٧٠٥) لتحمل معها فشلاً مشابهاً في غزو فرنسا، بعد أن نجح (مارلبورو) في اختراق (خطوط برابان) في شهر تموز (يوليو). وقد ظن (مارلبورو)- على نحو ما تم اقناعه- بانه لا زال بالامكان كسب الحرب في اسبانيا حيث كانت قوات الحلفاء (في سنة ١٧٠٥) تتقدم نحو (مدريد) بقيادة (غالوا) و (بيتر بورو) وهي منطلقة في هجومها من (البرتغال) و (كاتالونيا). وفي (ايطاليا) استطاع (الامير اوجين) الحاق الهزيمة بالمارشال (فاندوم) في (كاسينو) خلال هجوم شهر آب (أغسطس) وأمكن بذلك انقاذ (سافوي). كما أن هذا النصر فتح المجال أمام احتمال كسب الحرب عن طريق الهجوم عبر سهول (ايطاليا الشمالية) وتوجيه ضربة الى (طولون).

أراد (مارلبورو) في حملة سنة (١٧٠٦م) الانضمام الى (الامير اوجين)، غير أن قيام المارشال (فيلار) بهجومه على المانيا قضى على مثل هذه الارادة. ورفض (الهولانديون) السماح (لمارلبورو) بمغادرة مواقعه. كما أن قدرة ملك فرنسا (لويس) على تنظيم جيوش جديدة، قد ساعد المارشال (فيللروا) بغزو الأراضي المنخفضة الاسبانية، غير أن (مارلبورو) استطاع الحاق الهزيمة (بفيللروا) في معركة (راميلييه) يوم ٢٣ أيار (مايو) ١٧٠٦، وبذلك أمكن القضاء على المحاولات الفرنسية لغزو الأراضي المنخفضة الاسبانية، وأسهم ذلك الى حد بعيد في انقاذ (المانيا) من تهديد (فيلار) الذي كان يشق طريقه من أجل ارسال امدادات الى (الفلاندر).

وفي ايطاليا، استطاع (الامير اوجين) ارسال دعم الى (تورين) في ايلول (سبتمبر)

وأدى ذلك (بالملك لويس) الى التخلي عن كل مشاريعه هناك. واكتفى الفرنسيون بعد معركة (راميلييه) بالبقاء في مواقعهم الدفاعية في (الفلاندر). وفي الوقت ذاته، سقطت (مدريد) في قبضة قوات الحلفاء، واضطر (فيليب الخامس) للفرار، ولكن عجز الحلفاء عن إرسال المزيد من الامدادات، والشعور العدائي للشعب الاسباني ضد (شارل الثالث) قد أرغما (غالوي) على الانسحاب. وكان موقف الحلفاء في شتاء سنة (١٧٠٦) يشير بصورة عامة الى انتصار الحلفاء على كافة الجبهات. غير أن الموقف بدأ بالتحول في سنة (١٧٠٧) حيث عانت (قضية الحلفاء) من انتكاسات قاسية، إذ استطاع (الدوق بيرويك) الحاق الهزيمة بالقائد الانكليزي (غالوي) في معركة (المانزا) يوم ٢٥ نيسان (إبريل) ١٧٠٧. كما فشل هجوم الحلفاء على (طولون) بسبب قلة عدد افراد قوة الهجوم. غير أن تشتت الاسطول الفرنسي في (طولون) ساعد الاسطول الانكليزي على احتلال جزيرة (مينورقة ـ في الباليئار) و (سردينيا) وذلك في سنة ١٧٠٨ م. وكانت معركة (المانزا) قد وضعت حداً نهائياً لكل احلام الحلفاء في احراز نصر في (اسبانيا). ويذكر أن البرلمان الانكليزي الذي أصبح في تلك الفترة تحت هيمنة حزب (الويغ) قد تبنى شعاراً في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٧٠٧ م.، وهو (لا سلم بدون اسبانيا) وكان هذا الخط السياسي يعني رفض المبادءات السلمية التي طرحها الملك الفرنسي (لويس الرابع عشر). واقتنع (مارلبورو) بنتيجة ذلك أن عليه تحقيق اهداف الحرب الاسبانية عن طريق تنظيم (حرب استنزاف) في (الفلاندر). فقام في سنة ١٧٠٨ م بتنظيم وشن ثلاث هجمات (من الأراضي المنخفضة والموزل والالزاس). غير أن الاستراتيجية الدفاعية الفرنسية نجحت في احباط هذه الهجمات. وحدثت الثورة في البلاد المنخفضة، وتحرك الفرنسيون في اتجاه (اودنارد) فوقعت معركة تصادمية (مجابهة) يوم ١١ تموز (يوليو) ١٧٠٨ م. وقد فتحت هذه المعركة الفرصة المناسبة أمام (مارلبورو) لغزو فرنسا، غير أن الأمير (أوجين) اراد العودة من أجل محاصرة (ليل) وبهذه الطريقة ذاتها ـ تقريباً ـ تلاشت حملة سنة (١٧٠٩ م). وذلك بعد أن تقابل (مارلبورو) مع (فيلار) في معركة (مالبلاكيه) يوم ١١ ـ أيلول (سبتمبر) ١٧٠٩ م، في الوقت الذي كان فيه القائد الفرنسي (الماريشال فيلار) يحاول الاستيلاء على (مونس). وعلى الرغم مما تكبده الحلفاء من خسائر فادحة في هذه المعركة لقاء النصر الذي حصلوا عليه، إلا ان هذه

المعركة قد ارغمت لويس على (طلب السلم) من جديد.

استمر حزب (الويغ) في عدم الاعتراف بهزائم قوات الحلفاء المتزايدة، وتمسك بمزاعمه في انه لا زال بالمستطاع احراز المزيد من الانتصارات. فاستمرت الحرب في سنتي ١٧١٠ و ١٧١١ م. واستطاع (مارلبورو) احراز بعض الانتصارات مثل اختراقه في سنة ١٧١١ للخطوط الدفاعية الفرنسية التي قال عنها الفرنسيون (بانه من المحال اختراقها) غير انه لم تكن لهذه الانتصارات علاقة بكسب الحرب أو تحقيق نصر حاسم فيها. وأصبح (مارلبورو) ذاته يتأكد يوماً بعد يوم بأن الحرب في (الفلاندر) لم تعد أكثر من أعمال حصار للمواقع الحصينة، والتي لا يمكن أن تضع نهاية لهذه الحرب.

وأدت هذه الهزائم المتتالية، مع ارتفاع (ثمن الحرب) الى تعاظم العداء لها من قبل حزب (التوري). وأخذ (الكالفينيون) و (الجمهوريون) في الظهور على مسرح الاحداث بصورة متزايدة مستثمرين في ذلك الشعور المضاد للهولانديين بصورة طبيعية، ومستفيدين من شعور المنافسة التجارية معهم وعدم اضطلاع هؤلاء- الهولانديين- بالتزاماتهم تجاه الحرب (من حيث عدم تقديم العدد المطلوب من القوات) والأمر المثير للسخرية هو إلقاء تبعات هذه النتائج السلبية على عاتق (مارلبورو) واتهامه بتهمة (المحرض على الحرب والمستثمر لها)، مع العلم أنه قد تم تعيينه في مركز لا يريده، وفرضت عليه سياسة لا يعتقد بصحتها أو يؤمن بها، واتهم ايضاً (بالاختلاس). وبالنتائج السلبية للحرب في سنة ١٧١٠. فقام المتدينون المتطرفون والسياسيون المحافظون بتظاهرات عنيفة حاصروا فيها محكمة (ساشو فريلل) وانخفضت شعبية الملكة (آن) وحزب (التوري) حتى الحضيض حيث اتهم زعيم حزب التوري (هارلي) باغتصاب السلطة، في انتخابات سنة ١٧١٠ م.

لقد كان (روبرت هارلي) في الواقع من أبرز الشخصيات السياسية في عصره، واعتبر هو وزميله منذ أيام الدراسة (سانت جون) بأن انكلترا قد ربحت الحرب. وكنتيجة لذلك، لم يبق الا استثمار النصر في وضع مصلحة انكلترا قبل كل شيء، وظهرت بعد ذلك آخر محاولة حمقاء لسياسة (لا صلح بدون اسبانيا) في تلك العمليات

التي قادها (ستانهوب) حتى وصل (مدريد) ثم اضطر الى التراجع عندما جابه الشعور العدواني للاسبانيين. (وبصورة خاصة في مدريد). وجاءت بعد ذلك وفاة الامبراطور (جوزيف) في نيسان (ابريل) ١٧١١ م لتحمل (شارل) الى العرش الامبراطوري. وذلك يعني أن (آل هبسبورغ) أصبحوا يمتلكون هيمنة على أوروبا تزيد على تلك الهيمنة التي كان يمتلكها (آل بوربون). وبذلك أصبح (آل هبسبورغ- الألمان) اكثر خطراً على اوروبا من (آل بوربون- الفرنسيين)، فتم استدعاء (مارلبورو) الذي قضى على كل آمال الفرنسيين في النصر، وذلك في كانون الاول (ديسمبر) ١٧١١، وخلف (مارلبورو) في قيادته (الدوق اورموند) الذي عمل على وضع حد لنشاط القوات الانكليزية، وأنقص من فاعلياتها. الأمر الذي ساعد الماريشال الفرنسي (فيلار) على تحقيق النصر ضد (الامير أوجين) في معركة (دنيان)يوم ٢٤ تموز (يوليو) ١٧١٢. وبدأت بعد ذلك مرحلة من المفاوضات المعقدة التي انتهت (بصلح اوتريخت) في نيسان (ابريل) ١٧١٣ م. وتابعت الامبراطورية الحرب- بدون انكلترا- الى أن تم عقد صلح (راستات) في آذار- مارس- ١٧١٤ ثم صلح (بادن) في ايلول (سبتمبر) ١٧١٤ (على نحو ما سيرد ذكره فيما بعد).

عندما تخلت انكلترا عن خطها السياسي (وهو لا صلح بدون اسبانيا) كانت قد حققت كل اهداف الحرب التي ارادتها منذ البداية، فقد ضمنت لنفسها حق الوراثة (البروتستانتية) وفصل العرش الاسباني عن العرش الفرنسي (إذ لم يعد باستطاعة فيليب توحيد العرشين في شخصه) وأقيم حاجز على الحدود الهولاندية، واستولت انكلترا على عدد من المستعمرات المنتشرة في أهم المواقع الاستراتيجية (جبل طارق وجزيرة مينورفه وجزيرة سانت كيت ونيوفوند لاند واركاديا وخليج هدسون). وقامت هذه الحرب بدور المحرض القوي لتطوير الاقتصاد الانكليزي ولا سيما في مجال (التجارة البحرية). وقد حققت معاهدة (اوتريخت) لاوروبا نوعاً من السلم والاستقرار مما لم تعرفه منذ سنة ١٦١٨ م. وأصبحت هذه المعاهدة هي حجرالاساس في السياسة الخارجية التي تبناها حزب (الويغ) بعد سنة ١٧١٤ م. وسحقت هذه المعاهدة كل الطموح الفرنسي الذي استمر لمدة تزيد على نصف قرن.

٣- الحرب وطبيعتها

ربما كان من الضروري التعرض لطبيعة الأعمال القتالية في بداية القرن الثامن عشر وذلك قبل الوصول الى استقراء هذه الأعمال القتالية التي ابرزتها - بصورة خاصة- (حرب الوراثة الاسبانية). وكانت طبيعة هذه الأعمال القتالية ثابتة لم تتغير منذ اكثر من مائة سنة، حيث بقيت خاضعة لتأثير ثلاثة عوامل: (١- **سرعة الرجل. ٢- سرعة الحصان. ٣- توافر المواد التموينية للمقاتلين والعلف لدوابهم). ثم جاء مع بداية القرن الثامن عشر عامل جديد فرض ذاته بقوة على الحرب كلها- وهو العامل الاقتصادي.**

كانت حركة الجيوش مقيدة بفصل الإقامة في المعسكرات، وهو الفصل الذي كان يمتد عادة من شهر نيسان (ابريل) وحتى شهر تشرين الأول (اكتوبر) حيث يتوافر الكلأ والطعام بكميات كبيرة. كما كانت هذه الحركة مقيدة أيضاً بالطرق القليلة والتي يمكن الافادة منها لتنقل القوات، بالاضافة الى نظام صلب وثابت للمخازن وخطوط الامداد والتموين. وكانت عوامل الطقس (المناخ) والطرق الرديئة ونقص الامدادات وساعات النهار القصيرة من العوامل التي تمنع الجيوش من القيام بأي نشاط في فصل الشتاء. أما الجيوش ذاتها فكانت صغيرة الحجم، وهي على درجة عالية في مضمار احتراف حياة الجندية. غير أن الاحتفاظ بهذه الجيوش كان يفرض ثمناً باهظاً على الاقتصاد الذي كان اقتصاداً بدائياً، بحيث يصعب ضغطه من اجل انتاج ما يكفي من الأسلحة. وكانت زيادة حجم الجيوش تنقص من القدرة الانتاجية الزراعية. ولذلك ظهرت الحاجة للاعتماد على القدرة البشرية غير المنتجة من الطبقات الاجتماعية المنحطة لاملاء شواغر الرتب العسكرية. وكان من الصعب تجنيد المقاتلين في كل الحالات، كما كان تدريب هؤلاء المجندين يتطلب وقتاً غير قصير. وكانت عملية تجنيد الرتباء من مثل هذه الطبقات الاجتماعية يتطلب فرض انضباط صارم، وكان هذا الانضباط يفرض بدوره قيوداً على تحرك القوات ومناوراتها (مثل العمليات الليلية أو ارسال الامدادات) وذلك خوفاً من فرار الجنود وهربهم. من هنا ومع الأخذ بالقيود التي سبق ذكرها، تظهر مدى الحاجة للمحافظة على الرجال المقاتلين. وتتقرر الحرب نتيجة

لذلك بما يتم انفاقه من الأموال، لا بقدر ما يتم اهراقه من الدماء، ويصبح هدف الحرب هو في تجنب المعارك، وعدم تعريض القوات لخسائر فادحة في الأرواح وذلك عن طريق حرب المناورات، واستنزاف القدرة الاقتصادية للعدو في الوقت ذاته عن طريق الاستيلاء على موارده في اطار (حرب الاستنزاف). وكان الاعتماد على امداد القوات وتموينها من أرض واحدة يشكل كارثة اقتصادية. وكان ذلك سبباً اضافياً يؤدي مع اقترانه بعدم توافر الطرق الجيدة لتفسير ظاهرة الاحتفاظ بأرتال ضخمة مخصصة لنقل المواد التموينية وتأمين الامدادات. وكانت الأعمال القتالية تتركز على انزال مثل هذه الخسائر بالعدو من أجل ارغامه على الاستسلام أو الحاق الهزيمة به. ولذلك فإنه لم يكن من اهداف القسم الاكبر من القادة خوض المعارك، حتى ان القائد لم يكن ليزج بقواته في المعركة إلا اذا كان لديه من الاسباب الكافية والمعقولة ما يضمن له كسب تلك المعركة. ونظراً لأنه من المحال ارغام العدو على خوض معركة إن لم تتوافر لديه الرغبة في خوضها، فإن حدوث المعركة كان يتطلب توافر الرغبة لدى الطرفين لخوضها، وكانت المعركة تحدث أيضاً اذا وجد أحد الجيوش نفسه في وضع يرغمه على خوض المعركة (مثل عزله عن خطوط تموينه) ونتيجة ذلك كله، أصبحت الحرب مجموعة من المسيرات والمناورات واعمال الحصار التي تعتبر الشواهد الواضحة على خضوع الاقاليم لقوات العدو. ولم تكن الاعمال القتالية للحملة السنوية بكاملها تتجاوز حدود الاستيلاء على موقع من المواقع الدفاعية، أو احتلال اقليم من الأقاليم.

كانت مناطق (الفلاندر) و (شمال ايطاليا) من أفضل المناطق لمثل هذه الأعمال القتالية، نظراً لما يتوافر فيها من انهار كثيرة وقنوات عديدة يمكن استخدامها للتحرك ولدعم شبكات الطرق الأرضية. وكانت هذه المناطق- وبصورة خاصة (الفلاندر) تمتلك في الوقت ذاته شبكة من القلاع والخطوط الدفاعية المحصنة. في حين كانت (البرتغال) و (اسبانيا) محرومتين تقريباً من هذه الميزات، علاوة على قسوة المناخ فيهما وصعوبة الاراضي ، مما جعلهما غير مناسبتين لهذا النوع من الأعمال القتالية.

أ- ادارة الحرب

لم تكن ادارة الجيوش وقيادتها في بداية القرن الثامن عشر قوية أو فعالة- على

الأغلب- ولا سيما في الجيشين البرتغالي والاسباني. وعلى كل حال، فقد كان الجيش الانكليزي مميزاً بوجود هيئات تعمل على خدمته في انكلترا (مثل أمانة سر الحرب) و (فرع المالية). أما في الميدان، فكانت ادارة الجيش تقع على عاتق (القائد العام) الذي يعاونه في مهمته عدد من القادة (الجنرالات) التابعين له والذين يتولون قيادة أجنحة الجيش وأقسامه المختلفة. وكانت المدفعية منظمة بصورة مستقلة وخاضعة لقيادة (القائد العا للتسليح). ونظراً لتولي (مارلبورو) منصب القائد العام فقد أصبحت مهمته سهلة حيث أصبح (القائد العام للتسليح) و (القائد العام الاداري) تابعين له. وكانت (هيئة اركان مارلبورو) صغيرة وتتكون بصورة اساسية من (معاون القائد العام) و (قادة الالوية) و (عناصر القيادة العامة) و (قائد الشرطة العسكرية) و (رئيس القسس)- اذ كان لكل لواء قسيسه- و (المفتش العام) و (قائد الحركة- المسؤول عن النقل) و (القاضي المنتخب عن الحكام) و (المدير المالي). وكان (مارلبورو) يعتمد في المعركة على مراسل يَقوم بنقل أوامره وتعليماته الى قادة الألوية، وكان يسند هذه المهمة أحياناً الى معاونه. غير أن قيادة (مارلبورو) كانت تجابه الإعاقة الناتجة عن وجود ممثلي قادة الميدان الهولانديين الذين عينتهم الحكومة الهولاندية والذين كان لهم حق النقض (الفيتو). غير أن منصب (مارلبورو) كقائد عام للقوات المشتركة قد ساعده على مجابهة هذه الاعاقة بقدر ما ساعده أيضاً وجود (سيدني غودولفين- لورد الثروة) على تسهيل عمل الاجهزة وانتظام عملها.

كان الملك (لويس الرابع عشر) يتولى بصورة اسمية قيادة الجيوش الفرنسية باعتباره القائد الأعلى ، غير أن القيادة الميدانية تطورت بفضل اضطلاع القادة (الماريشالات) بأعباء قياداتهم، وظهرت قائمة من هؤلاء القادة الذين مارسوا قيادة جيوش الملك لويس بصورة مستقلة عنه. وكانت (هيئة الحرب الامبراطورية) تتولى إدارة الجيوش الفرنسية وتحدد لها واجباتها الرئيسية وتشرف على مراقبتها وتأمين متطلباتها من الامدادات. غير أن (هيئة الحرب الامبراطورية) لم تكن لتفرض على الجيوش الطرائق الواجب اتباعها في ميادين القتال، وقد تولى (الامير اوجين) رئاسة (هيئة الحرب الامبراطورية) في سنة ١٧٠٣ م. وحاول إدخال اصلاحات على نظام الترفيعات

والمكافآت- الذي كان يتم استغلاله احياناً بصورة سيئة. كما عمل على وضع الأسس التي تحافظ على شرف الجيش وترفع من قيمة روحه المعنوية.

كانت الوحدة الإدارية الاساسية في الجيش هي الكتيبة أو الفوج، وكان فوج المشاة هو اكبر وحدة تنظيمية ثابتة في الجيش. وكان العقداء (الكولونيل) هم الذين يضطلعون بأعباء تنظيم افواجهم وتدريبها وتأمين متطلباتها من ألبسة وأطعمة ودفع رواتب وتأمين تجهيزات الخ.

وكان الفوج الانكليزي يتكون في سنة ١٧٠٣ م، من (١٢) سرية- واحدة منها تحمل اسم (سرية قاذفي القنابل اليدوية- وكان قد تم ادخال هذه السرايا في الجيش الانكليزي منذ سنة (١٦٧٨ م) لتضم نخبة الجنود وعناصر أفضل الوحدات من أجل تنفيذ العمليات الصعبة (كاقتحام المواقع) و(تدمير التحصينات) وما شابهها من الأعمال القتالية الخاصة. وكان يتم الحاق هذه السرايا في معظم الاحيان بالأفواج الاحتياطية للاضطلاع بتنفيذ الواجبات المتنوعة. أما رماة البواريد فقد ادخلوا الى الجيش منذ سنة (١٦٨٥ م) وكانت مهمتهم في البداية تأمين حماية (مواقع المدفعية)، وتم تسليح الوحدات الأولى بالبواريد (أو البنادق) ذات الزند المصون. وكانت سرية الرماة الانكليزية تضم (نقيب- كابتن) و(ملازمين اثنين) و(ثلاثة رقباء) و(عريفين) و(ضاربي طبل) وعدد من المقاتلين يتراوح بين (٦٠- ١٠٠) مقاتل. فكان الفوج بالتالي يضم (٥٠٠- ٧٠٠) مقاتل. وكان اللواء يتألف من ضم (٤- ٦) أفواج عادة ويتم هذا الضم من أجل خوض المعركة فقط. وكانت الدول (الكاثوليكية) تميل الى جمع افواجها في تشكيلات ثلاثية تزيد على أربعة آلاف مقاتل. وكانت انكلترا تمتلك حتى سنة ١٧٠٢ ما مجموعه (٣٩) فوجاً من الراجلين- المشاة (منها ١٠ أفواج تم تنظيمها في سنة ١٧٠٢ ذاتها) وأربعة أفواج من (حرس المشاة.) أما فرنسا، فكان لديها منذ سنة (١٦٨٨) قوة تتكون من (١١٥) فوجاً، ثم عملت على زيادة حجم قواتها حتى وصلت في سنة (١٧١٣) الى تنظيم (٢٤٣) فوجاً من أفواج المشاة.

كانت الخيالة الانكليزية مقسمة الى (خيالة خفيفة) و(خيالة ثقيلة- دراغون)، وتتكون قوة الخيالة من (حرس الفرسان) و(الحرس الخاص) و(الفرسان رماة القنابل)

و(ست كتائب من الفرسان) و (خمس كتائب من الخيول- للخدمات)و (كتيبتين من الفرسان الثقيلة تم تنظيمهما خلال حملات (مارلبورو) وارسلتا الى الميدان مباشرة). ولم تكن الكتيبة هي الوحدة المقاتلة في الفرسان، وإنما الجمهرة (السرية). وكانت السرية تتألف عادة من (٣) فصائل (وحدتها الفصيل- أو الرعيل) (ويبلغ مجموع عدد الفرسان في السرية (١٠٠- ١٥٠) فارساً. وكان عدد سرايا الفرسان في انكلترا عند اندلاع (حرب الوراثة) ما بين (٤٠ و ٦٠) سرية خفيفة ومثلها تقريباً من (سرايا الفرسان الثقيلة- دراغون). وكانت كتيبة الفرسان تتألف عادة من (٩) سرايا. وتضم الفصيلة (أو الرعيل) نقيباً (كابتن) و (ملازماً)و (بواق- نافخ في البوق). وعنصر قيادة (مراسل) وعريفين- وباقي القوة من الأفراد.

تطورت المدفعية الانكليزية تطوراً كبيراً أثناء الحرب تحت اشراف (القائد العام للتسليح). غير أنه لم تكن هناك تنظيمات ثابتة لهذا السلاح، واستمر ذلك إلى أن عمل (مارلبورو) على تكوين (كتيبة المدفعية الملكية الاولى) في سنة ١٧١٦ م. في حين كانت المدفعية الفرنسية قد قطعت شوطاً كبيراً في مجال التنظيم، فكان لدى الجيش الفرنسي (كتيبتي مدفعية) هما (كتيبة المدفعية الملكية) التي تم تنظيمها في سنة (١٦٩٥) و (كتيبة القذافة الملكية- بومبارديية) والتي كان قد تم تنظيمها منذ سنة (١٦٨٤ م). وكانت كتائب المدفعية والسرايا المستقلة الأخرى من الأسلحة المختلفة تنتظم كلها تحت اسم (فيلق المدفعية) الذي يتبع في ادارته (للقائد الاعلى للمدفعية)، وكان هذا القائد يحمل عادة رتبة (عقيد- كولونيل) ويتبع مباشرة (للملك لويس الرابع عشر).

لم تكن حياة الجيش مغرية أو مثيرة، ولهذا كانت عملية التجنيد هي المشكلة الدائمة، وقد عانت الكتائب الانكليزية التي ارسلت الى اسبانيا- بصورة خاصة- من الاضطراب، بسبب عدم توافر القدرة على ارسال مجموعات من المحبذين الى الوطن لقضاء اجازاتهم خلال فصل الشتاء، وذلك على نحو ما كان يتم تنفيذه في (الفلاندر). وفشلت عدة مشروعات قدمت الى البرلمان من أجل حل هذه المشكلة، فتم فتح مجال التطوع أمام كل راغب (حتى حثالة المجتمع والسجناء والعاطلين عن العمل)، ونتيجة لمثل هذه الصعوبات تم اتخاذ اجراء لدعم المجهود الحربي بالاعتماد على (المتعاقدين) من

محترفي الحرب والتابعين للدول الأخرى مثل (الدانمارك والهيس والهانوفريين الخ. . .) وكان يتم تقديم مبالغ محددة لقاء ذلك لقادة الاقاليم أو البلاد التي يأتي منها هؤلاء (المتعاقدون) وكفلت انكلترا ايضاً دفع رواتب الى (الهيغنوت الفرنسيين) الذين أبعدتهم فرنسا عن أراضيها، وأفادت منهم انكلترا سنة ١٧٠٤ حيث عملت على إرسالهم الى (فرنسا) لدعم اعمال التمرد التي حدثت في (كيفين). ولقد استخدم الجيش الفرنسي بدوره ايضاً (المرتزقة- أو المأجورين) وبصورة خاصة منهم (الايرلنديين والسويسريين)، . وكان لدى الجيش الهولاندي قوة خاصة أطلق عليها اسم (لواء الاستطلاع). وفي سنة (١٧٠٩) كان الجيش الانكليزي يضم (٨١) ألف مقاتل من المواطنين. أما في سنة (١٧١١ م) فقد بلغ عدد المقاتلين الذين تدفع لهم انكلترا رواتبهم يزيد على (١٨٦) ألف رجل من بينهم (٦٧) ألف مواطن انكليزي. وعلى كل حال، فقد يكون من الضروري اتخاذ الحذر من مطالعة الأرقام عن (حجم القوات) وعدم الوقوع في شبكة الخداع. إذ ان هذه الارقام تحمل تناقضات مثيرة بين حجم القوات الحقيقي وبين ما تحمله الجداول التنظيمية من أرقام عن عدد أفراد هذه القوات في الجيش الانكليزي، ويعود ذلك الى مجموعة من العوامل (مثل الاصابات والمرض والخسائر على الطرق، وبصورة خاصة في البحر، والفرار من الجيش والاجازات الممنوحة من قبل قادة الافواج - بهدف الحصول على علاوات اضافية تضاف الى النفقات- وهذا يعني وجود فارق يتراوح بين ربع وثلث حجم القوات ما بين التعداد النظري للقوات وبين القوة الفعلية اثناء تنفيذ الأعمال القتالية» ولعل أسوأ مثال يمكن الاشارة اليه هو (معركة المانزا في اسبانيا) حيث كانت الجدول التنظيمية للقوات الموضوعة تحت قيادة (غالوي) تثبت ان عدد افراد هذه القوات هو (٢٩) ألف رجل، في حين لم يتجاوز العدد الحقيقي الذي اشترك في المعركة على (٨) آلاف مقاتل. وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت القوات الانكليزية التي انتشرت على مسارح العمليات في سنة ١٧١٠، هي كالتالي: «٢٦ ألفاً رجل في الفلاندر، و (٢٩) الفاً في اسبانيا، و (١٥) ألفاً في بريطانيا. و (٤) آلاف في جبل طارق و جزيرة مينورقة، و (٣) آلاف في اسكتلنده. و (٤- ٨) آلاف في دنكرك، و (٢) ألف في الهند الغربية. علاوة على تلك المفارز والقوى البحرية التي انتشرت في عدد من المواقع مثل: شمال انكلترا وطنجة

وجزر القنال ونيويورك وبرمودا».

كان الراتب اليومي للجندي في الجيش الانكليزي محدداً بمبلغ (٨ بني) أو ما يعادل في السنة (١٢ باوند و ١٢ شلن و ٤ بني)(*) و (٢ شلن و ٦ بني) لجندي المدفعية و (شلن و ٦ بني) للفارس. غير أن هذا المبلغ كان معرضاً للتخفيض (الحسم) حيث كانت وزارة المالية تقوم باجراء استقطاعات لدفع مؤخرات (أو تعويضات). وكان المخصص اليومي للمجند على سبيل المثال مقسم الى (٦ بني) للاعاشة و (٢ بني) للنفقات الأخرى والتي يستفيد منها (المدير المالي) وقادة الأفواج والكتائب من اجل تغطية بقية النفقات. وكان سوء الاستخدام والاختلاسات هي أسوأ ما كان يعانيه الجيش الانكليزي في تلك الفترة، وكان يجب دفع ثمن الاطعام واجرة وسائط النقل على الفور. وكان من الصعب اتخاذ هذا الاجراء في اسبانيا، ولكن (مارلبورو) حل المشكلة في (الفلاندر) وأولاها كل اهتمامه من أجل تأمين متطلبات الجنود، وألقيت المسؤولية على عاتق الكتائب والافواج في الميدان وقد عمل (مارلبورو) على توقيع عقود مع يهود هولانديين أو أسبانيين من أجل تأمين (خبز الجنود) ولقي (مارلبورو) مساعدة كبرى في هذا المضمار بفضل علاقته الجيدة مع المسؤول المالي (سيدني غودولفين) وبفضل توافر عدد من الضباط الاداريين الاكفاء (من أمثال وليم كادوغان). ولم تكن هناك خدمات طبية بالمعنى الصحيح، ففي معركة (بلينهايم) على سبيل المثال كان عدد الاطباء في الجيش الانكليزي لا يزيد على (١٧) طبيباً (أي ما يعادل طبيباً واحداً لكل ستمائة مقاتل).

ب- الاساليب التعبوية (التكتيكية)

بقيت الاساليب التعبوية (التكتيكية) بسيطة ولم تتقدم كثيراً أو تتطور بالمقارنة مع ما كانت عليه في منتصف القرن السابع عشر. وكانت التشكيلات الخطية الصلبة (الأنساق) هي تلبية للحاجة للقدرة النارية الاجماعية الناتجة عن استخدام البواريد ذات المدى المجدي القصير وذات المعدل البطيء للرمي بالاضافة الى الانضباط الصارم الذي يحتاج لبقاء القوات تحت هيمنة قادتهم بصورة مباشرة. وكان بالامكان نتيجة ذلك تحويل

(*) (L 12. 12 S . 4 P)

نظام السير (الرتل) الى ترتيب القتال (نظام النسق- أو الصف). وكانت الجيوش مرغمة على السير فوق محاور الطرق ومحاور الامداد والتموين، وهي في نظام الرتل الذي كان يشكل حجماً كبيراً اثناء التحرك والمسير فكان التحول من نظام الرتل الى نظام النسق ودخول المعركة يتم بسهولة كبيرة. وكان الفرسان يتحركون على اجنحة القوات لحماية المشاة الذين يسيرون في الوسط. وكان هذا التحول لدخول المعركة يتم بايعازات يصدرها (قارعو الطبول) علاوة على قيام الرقباء باستخدام رماحهم لتوجيه القوات نحو المعركة.

طورت فرنسا البارودة (ذات الزند المصون) خلال القرن السابع عشر، وتقدمت كثيراً على تلك البارودة التي كانت تعمل (بإشعال الفتيل)، فأصبحت البارودة الجديدة اكثر قوة واكثر سهولة في الاستخدام. وفي سنة (١٧٠٠) كان القسم الاكبر من القوات قد أصبح مسلحاً بالبارودة (ذات الزند المصون) كما كانت بقية القوات في سبيلها للتسلح بهذه البارودة. أما الجيش الانكليزي فكان يستخدم (بارودة القوات الأرضية المعروفة باسم وليم الثالث) ولم يتم استخدام البارودة المعروفة باسم (براون بيس) الا في سنة (١٧٢٠). وكانت البارودة الانكليزية تبلغ من الطول (٥) أقدام وتطلق طلقة أو أثنتين في الدقيقة. أما المدى المتوسط لهذه البارودة فكان يبلغ (٢٥٠) ياردة- أربعمائة متر تقريباً- غير أن المدى المجدي والذي كان يتم الالتزام به أثناء المعركة، فكان أقل من ذلك بحيث انه لم يكن يتجاوز ستين ياردة (مائة متر تقريباً) في بعض الحالات. وقد تطور المعدل الوسطي للرمي تطوراً كبيراً حتى سنة (١٦٩٠ م) بفضل استخدام الظروف الورقية المجهزة مسبقاً. غير أن التمرين لاستخدام هذه الظروف بقي معقداً بعض الشيء. وبقي رجل المشاة- حتى تلك الفترة- رامياً للبارودة ورجل انقضاض بفضل التطور الكبير في صناعة الحراب (التي يتم تركيبها على البواريد).

وتجدر الاشارة الى ان الحراب قد ظهرت للمرة الاولى في سنة (١٦٤٠ م) وتم تسليح كتيبة طنجة بها في سنة (١٦٦٣ م) أما في فرنسا فقد تم استخدام هذه الحراب في سنة (١٦٧١ م). وأمكن تطوير سوار الحربة لتركيبها على البارودة قبل سنة (١٧٠٠ م). وقد سبقت انكلترا غيرها في هذا المضمار بفضل الجنرال (ماكي) الذي تعرضت قواته

للهزيمة في معركة (كيلليكر أنكي) بسبب عجزها عن اجراء الرمايات بكفاءة وبسرعة نظراً للاعاقة الناجمة عن تركيب الحراب. ويظهر نتيجة لذلك بأن فاعلية البارودة تتعلق بالقدرة على الرمي الاجماعي في وقت واحد (الرشق) وقد استطاع (مارلبورو) هنا الوصول بقواته الى مستوى الكمال. فكان الجيش الانكليزي يستخدم اسلوب السيطرة على النيران بأفضل مما كان يستطيعه الجيش الفرنسي، إذ كان الفوج الفرنسي يطلق نيرانه وهو على أربعة أنساق (صفوف) وبالتناوب ما بين هذه الانساق، وكان النسقان الأول والثاني يمارسان الرمي في وضع الحنو أما النسق الثالث فكان يرمي واقفاً. أما الفوج الانكليزي فكان منظماً على أساس أن يضم (١٨- أو- ٢٤) فصيلاً تمارس الرمي على ثلاثة أنساق، ويرمي النسق الأول في وضع (الحنو) - أو القرفصاء-. وهذا يعني أن ثلث قوة الفوج كانت مستعدة باستمرار للرمي. وكان يتم بذلك تأمين قدرة اكبر على الاستمرار في الرمي. وكان تأثير الرمي الانكليزي اكثر فاعلية بسبب ثقل الرصاصة التي كانت تزن (أونزه) بالنسبة لرصاصة البارودة الانكليزية في حين كانت رصاصة البارودة الفرنسية تزن ثلثي (الاونزة). وكان يتم الاحتفاظ بأحد الافواج في المؤخرة مع راياته وضباطه في المقدمة، بينما يقف مساعد قائد الفوج وبعض الرتباء على الأجنحة لتنظيم الانساق، بينما يقف بقية الضباط وصف الضباط في المؤخرة لمراقبة التنظيم ومتابعة ادارة المعركة.

حافظ سلاح الفرسان على أهميته كأقوى سلاح في الاقاليم المكشوفة (السهلية). وكان الفرسان في القارة الاوروبية قد نسوا- أو تناسوا- الدروس التي وضعها (غوستاف أدولف)[٣١] في مجال استخدام الفرسان. وكان هذا الملك السويدي قد أحدث ثورة في طرائق خوض الصراع المسلح في بداية القرن السابع عشر، فكان في جملة اصلاحاته التي ادخلها وطبقها استخدام الفرسان (كسلاح للصدمة) وكانت تشكيلات الفرسان

(٣١) غوستاف ادولف (أو غوستاف الثاني) (GUSTAVE II DADOLPHE) ملك السويد. ولد في استوكهولم (١٥٩٤- ١٦٣٢) وكان يمتلك من العبقرية ما يتناسب مع طموحه. وقد تولى الملك من سنة ١٦١١ حتى سنة ١٦٣٢. فأعاد تنظيم الجيش السويدي، ودخل في تحالف مع رئيس وزراء فرنسا (ريشيليو) لدعم البروتستانت الألمان خلال حرب (الثلاثين عاماً) وانتصر على الامبراطوريين في معركة (بريتنفيلد: BREITENFELD) في ليخ (LECH) سنة ١٦٣٢ غير أنه لقي مصرعه وهو في أوج انتصاره في (لوتزن: LUTZEN) وخلف ابنة هي (كريستين).

الاوروبيين أيام (مارلبورو) تتحرك بكتل كبيرة، تتحرك بارتال يزيد عددها أو ينقص معتمدة على الثقل بأكثر من اعتمادها على السرعة. وقد تناقصت السرعة الوسطى للتحرك لا بسبب التحرك بكتل كبيرة فقط وإنما أيضاً بسبب استخدام المسدسات والبواريد كأسلحة رئيسية للاشتباك. أما (مارلبورو) فقد اقترب في استخدام الخيالة من الأساليب التي طبقها (غوستاف أدولف) والتي استخدمها أيضاً (روبرت الرايني) واكتسب شهرته (في الحرب الأهلية الانكليزية). وكانت الخيول الانكليزية وخيالتها اكثر خفة، وتقوم بهجومها على نسقين أو ثلاثة أنساق مستخدمة السيوف كسلاح رئيسي. وعمل (مارلبورو) على السماح لقوات فرسانه بالقيام بجولتين أو ثلاثة على الأكثر في كل حملة وذلك بهدف حماية الخيول. وقد قيل بأن الفرسان الانكليز لم يقوموا بأكثر من (الخبب) بخيولهم، غير أن التقارير التي تم الكشف عنها حديثاً، وهزائم كتل الفرسان الفرنسيين الكبرى في مناسبات عديدة هي تأكيد على أن (الخبب) بالخيول لم يكن إلا لزيادة التسارع في الحركة قبل الصدمة النهائية. وكان الفرسان الانكليز شأنهم شأن الفرسان الاوروبيين قد قسموا قوة الفرسان الى نوعين (فرسان خفيفة) و (فرسان ثقيلة- دراغون). وكان قد تم تشكيل الوحدات الأولى من الفرسان الثقيلة (دراغون) في (اسكتلندا) سنة ١٦٧٨ م، حيث كانت الطرق أكثر ضيقاً من عرض الحصان، وحيث كان يتم استخدام الخيول لنقل المشاة وللقيام بحراسة القوافل، وارسال الدوريات، وتكليفها بواجبات المراكز المتقدمة والقيام باعمال الاستطلاع في بعض الاحيان. واستخدم (مارلبورو) فرسانه في كل الاعمال التي يمكن للفرسان الاضطلاع بها. أما (الامير أوجين) فكان يفضل باستمرار استخدام الفرسان الاكثر خفة من أجل القيام بالاغارات والاستطلاع واعمال الاقتحام.

عندما اندلعت (حرب الوراثة الاسبانية) كانت المدفعية لا تزال بدائية، ذات حجم كبير وحركة بطيئة وتحتاج الى قافلة كبيرة من الامداد. وكان فوج المدفعية مسلحاً بمدفعي ميدان خفيفين مجرورين. وقد اتخذ (مارلبورو) الاجراءات الضرورية لتأمين انتقال المدافع وتسهيل تحركها. وعلى الرغم من ذلك فقد قيل بأن تأثير المدفعية كان قليلاً ومحدوداً، إذ كان المدى المجدي للمدفع لا يتجاوز ستمائة ياردة (سبعمائة متر تقريباً)

للمدافع من عيار (٩ رطل) وكانت المدافع (نصف القديمة) تزن (٣) طن وهي من عيار (٢٤) رطل. وكان الاستخدام الاساسي للمدافع هو من اجل اعمال الحصار حيث كانت المدافع المستخدمة اكثر ثقلاً ومن عيارات اكبر. . وكان لاعمال الحصار اساليبها المميزة حيث يتم استخدام المدفعية مِن قبل الطرفين المتصارعين بصورة متقابلة ومتبادلة مع استخدام الخنادق والقصف المدفعي الى أن يتم احداث ثغرة في التحصينات، وما ان تظهر مثل هذه الثغرة بشكل واضح حتى تهرع القوات الخاضعة للحصار للاستسلام - عادة - من اجل الاقتصاد في الضحايا البشرية. وتسير الحامية وهي مبتعدة عن حصونها الدفاعية وهي تؤدي عادة كل المراسم المعتادة للحرب (مراسم الشرف). وكانت التنظيمات الدفاعية في هذه الفترة خاضعة للتنظيم العلمي الذي أوجده الفرنسي (فوبان)(*)

ج- الألبسة العسكرية: كانت الثياب العسكرية متشابهة تقريباً في معظم دول العالم، وتتكون من سترة طويلة الارداف (جاكيت طويل) وبنطال قصير مثبت بنطاق، وجوارب طويلة وقبعة ثلاثية الزوايا. وقد أخذت الجيوش في تلك الفترة بتوحيد الوان البسة جنودها (في كل جيش من الجيوش الوطنية تبعاً لما تختاره من الوان) وقد ظهر ذلك بصورة تدريجية مع اجراء تمييز بالألوان ما بين كتيبة واخرى عند اطراف الأكمام وياقات القمصان واطراف السترة (الجاكيت) وبطائن السترة.

كانت المشاة الانكليزية مميزة بارتداء السترة الحمراء ذات الثنيات الكثيرة مع سترة قصيرة (صدارة) حمراء اللون ايضاً وياقة بيضاء وقبعة سوداء ثلاثية الزوايا. وكان صف

(*) ڤوبان: VAUBAN. (المركيز سيباستيان لوبريستر :MARQUIS DE SEBASTIEN LE PRESTERÉ) مهندس عسكري وماريشال فرنسا، من مواليد (سانت ليجير دوفوجريه) (في نيفر) (١٦٣٣- ١٧٠٧) وقد ولد فقيراً، ووصل بجهده وامكاناته الى أرفع المناصب، واشتهر بكفاءته وسلوكه المستقيم خلال عمليات الحصار التي نظمها وقادها والتي بلغ عددها (٥٣) عملية. وقد عمل على إقامة المواقع المحصنة على امتداد الحدود الفرنسية. فأقام (٣٣) قلعة قوية محصنة، وأصلح اكثر من ثلاثمائة موقع دفاعي. ومع اقتراب (فوبان) من نهاية حياته نشر مؤلفه الذي اطلق عليه اسم (المشروع الملكي للضرائب) والذي طالب فيه بتحقيق المساواة والعدالة في فرض الضرائب على المواطنين. وقد تم نشر هذا المشروع في سنة (١٧٠٧ م) وكان ذلك سبباً في فقدان (فوبان) لحظوته ومكانته عند الملك لويس الرابع عشر. غير أن (فوبان) لم يعمر طويلاً بعد ذلك.

الضباط يتميزون بقبعاتهم العريضة كما كان الرقباء يتميزون بحملهم للرماح. وتميزت ثياب الضباط بأنها اكثر تزييناً مع قبعات أثمن ونطاق وسط عريض كما كان الضباط يحملون رماحاً قصيرة. وكانت ثياب (قاذفي القنابل- غروناديه) مشابهة لألبسة المشاة، ومميزة عنها بالقبعات الصلبة الموشاة بالتطريز وهي القبعات التي حلت محل قبعات الفرو التي استخدمت في البداية لتمييز رماة القنابل عن سواهم من جند المشاة. وكانت الكتائب تتمايز فيما بينها بحسب الوان اردان الاكمام والياقات واطراف السترات أو المعاطف. أما قارعو الطبول فيتميزون عادة بارتداء السترات ذات الألوان المضادة لألوان القمصان التي يتم ارتداؤها تحتها.

كان الفرسان الانكليز (خيالة) يرتدون الاردية (الجاكيت) ذات اللون القرمزي والقبعات ثلاثية الألوان وكانت قبعات الضباط مميزة بالريش الذي يزينها. وكانت الدروع (ستائر الزرد) قد ألغيت من سلاح الفرسان في سنة (١٦٩٨ م) ثم إعيد ارتداؤها في سنة (١٧٠٧ م) ولكن مع ارتدائها تحت الاردية (الجاكيت). ويكتمل لباس جندي الفرسان بالحذاء المرتفع (حتى الركبة) والواسع مع نطاق متصالب على الصدر. وكان فرسان (الدراغون) يركبون خيولاً أقصر (ويختارون ثياباً ذات ألوان تختلف بصورة عامة عن ألوان الخيول السوداء) غير أن هذه الثياب تتشابه مع البسة الفرسان مع احذية اكثر خفة وبدون ارتداء دروع الفرسان. أما ضباط المدفعية فكانوا يرتدون الاردية الزرقاء في حين كان جنودهم يرتدون الاردية ذات اللون الأحمر.

بقي اللون الرمادي هو اللون المهيمن على البسة جند المشاة من الفرنسيين بالاضافة الى لوني الأصفر البرتقالي والابيض مع بعض الفوارق المميزة بين الكتائب في الوان التوابع (اطراف الاكمام وياقات الاردية واردانها الخ...)

وكانت الكتائب الملكية مميزة بارتداء الالبسة (الاردية) ذات الألوان الزرقاء او الحمراء. وكان جند المشاة من الأوروبيين يفضلون لبس الجوارب السميكة والمرتفعة الساق للميدان في حين كان جند المشاة الانكليز يرتدون الجوارب الاكثر خفة في الميدان. أما فرسان (الدراغون) الفرنسيون فكانوا يضعون على ارجلهم كاسيات الساق الجلدية، كما كان الفرسان (الفرنسيون) يتمايزون بالألوان المختلفة لأرديتهم. ويرتدي

رجال الحرس الملكي من الفرسان رداء اضافياً ازرق اللون فوق ثيابهم (أو أرديتهم) ذات اللون الأحمر.

كان اللون الوطني لثياب الجند البافاريين هو اللون الازرق- السماوي مع اردان بيضاء (على اطراف الاردية وياقاتها، وشريط بلون أزرق وأبيض يزين القبعات ثلاثية الزوايا. وكان الفرسان البافاريون يرتدون الاردية الزرقاء، ويلبسون في الميدان واقيات الساق ذات اللون الرمادي والاردية (الجواكيت) ذات اللون الأزرق، وقد احتفظ فرسانهم الدارعون بخوذهم المعدنية ذات النماذج القديمة بالاضافة الى الدروع فوق اردينهم الخضراء اللون.

اختار الهولانديون اللون الرمادي لأردية جنودهم. وكان حرسهم يلبسون الأردية ذات اللون الأزرق مع تزيين الاردان واطراف الاكمام باللون البرتقالي. وكان الهولانديون يزينون قبعاتهم بأشرطة خضراء يتم ربطها على شكل (عسلوج) وهي ذات الشارة المميزة للوحدات الامبراطورية. وكانت هذه الوحدات الامبراطورية ذاتها تتمايز فيما بينها بألوان ثيابها، غير انها وحدت ثيابها في سنة (١٧٠٨ م) فاختارت اللون الرمادي مع بنطال جلدي في الشتاء. وكان الجنود يحملون دائماً شارات الميدان الامبراطورية، مع الأشرطة الخضراء التي تزين القبعات.

حافظ الجنود الدانماركيون على الوان ثيابهم (أرديتهم) الخضراء والرمادية او الزرقاء منذ سنة (١٦٩٠ م) مع السراويل القصيرة (البنطال حتى الركبة) والجوارب الطويلة والقبعات الثلاثية الزوايا ذات اللون الوردي والتي هي من لون اردان السترة ذاتها والمميزة فيما بين الكتائب. غير أن لون السترة قد تم تبديله اعتباراً من سنة (١٧١١ م) حيث تم اختيار اللون الأحمر للاردية.

واختارت جيوش الدول الاخرى الواناً مختلفة لثياب جنودها، فكان منها اللون الابيض «للفرسان الهانوفريين- مع ارتداء السراويل القصيرة أي البنطال حتى ما تحت الركبة من الجلد وسترة داخلية- صدرية» وارتدى مشاة (سافوي) الاردية ذات اللون الرمادي الفاتح، أما فرسانهم الحرس فكانوا يرتدون الاردية ذات اللون الأزرق.

وكانت الألوان المميزة (للساكسون) هي الأحمر والأبيض. وارتدت الكتائب السويسرية في فرنسا الاردية ذات الالوان الزرقاء، أما الاسكتلنديون العاملون في هولاندا فقد تميزوا بثيابهم ذات الألوان الحمراء مع اختيار اللون الأصفر لتمييز الاردان وأطراف الاكمام.

د- قادة الحرب:

* الجيش الافرنسي.

«لويس فرانسوا دوبوفلر، ماركيز ودوق دو بوفلر، ١٦٤٦- ١٧١١ م»(*)

انضم (بوفلر) الى الجيش، والتحق بالكلية الحربية سنة (١٦٦٢ م) وخدم في الفلاندر سنة (١٦٦٧ م) وأصبح قائداً للواء (فرسان الدراغون) سنة (١٦٧٣)وعميداً قائداً عاماً لفرسان الدراغون سنة (١٦٧٨) وخدم تحت قيادة (تورين) في (الفلاندر) وفي (الراين). وأصيب بجراح أثناء حصار (مونسس) سنة (١٦٩١) وأصبح برتبة فريق (ليوتنان جنرال) في السنة ذاتها، وحضر معركة (ستينكيرك) سنة ١٦٩٢ ورفع الى رتبة (مارشال فرنسا) سنة ١٦٩٣ . وكانت مهمته اخراج الهولانديين من حامياتهم وطردهم من مواقعهم الدفاعية في الأراضي المنخفضة الاسبانية سنة (١٧٠٠ م). وتسلم قيادة حامية (ليل) سنة (١٧٠٨ م). واكتسب (بوفلر) احترام جيوش الحلفاء بفضل دفاعه الحازم عن الاقليم. وعندما بلغ من العمر (٦٧) عاماً ، خدم متطوعاً تحت قيادة المارشال (فيلار) في معركة (مالبلاكيه) فقام بقيادة القوات الفرنسية أثناء عملية انسحابها وتراجعها.

«فرديناند مارسان، كونت دو مارسان، ١٦٥٦- ١٧٠٦»(*)(*)

من مواليد مدينة (لييج). واحترف حياة الجندية حتى أصبح قائد لواء الخيالة سنة (١٦٨٨) وقائداً للدرك (الجندرمة) في المانيا سنة (١٦٨٩ م) وأصيب بجراح في معركة

(*) LOUÍS FRANÇOIS DE BOUFFLERS , MARQUIS AND DUC DE BOUFFLER.

(*) (*) FERDINAND. MARSIN , COMTE DE MARSIN (OÚ MARCHIN)

(فلوروس) سنة (١٦٩٠ م). وخدم في ايطاليا سنة (١٦٩٥) وأصبح برتبة فريق سنة (١٧٠١ م)، وعمل بعد ذلك في واجبات السفارة في اسبانيا، ليعود بعدها الى الخدمة في ايطاليا، وحضر معركة (لوزارا) سنة (١٧٠٢ م)، وأصبح (ماريشال) سنة (١٧٠٣ م)، واحتل (مارسان) مكانة (المارشال (فيلار) في قيادة الجيش الفرنسي في (بافاريا) في نهاية هذه السنة، وبعد أن شارك الفرنسيين هزيمتهم في معركة (بلينهايم)، انتقل الى الخدمة في (الراين)) سنة (١٧٠٥ م) حيث أصيب بجراح قاتلة أثناء حصار (تورين) ولم يلبث أن توفي على اثرها. ولم يتميز (ماراسان)بكفاءة قيادية عالية.

«مارشال تالارد، دوق هستون، ومركيز بوم ١٦٥٢- ١٧٢٨»(*)

كان (المارشال تالارد) ابن عم (المارشال فيللروا) وقد انضم الى الدرك (الجندرمة) سنة (١٦٦٧) واستدعي للخدمة في (هولاندا) خلال الفترة (١٦٧٢- ١٦٧٨) وأصبح قائداً للواء الخيالة - برتبة لواء- سنة (١٦٧٨ م)، حيث خدم في (الفلاندر) و (المانيا) طوال فترة السنوات (١٦٨٤- ١٦٨٨ م) وأصبح (تالارد) برتبة فريق سنة (١٦٩٣ م). وعمل سفيراً لملك فرنسا خلال فترة المفاوضات التي انتهت (بمعاهدات التقسيم). وأصبح برتبة مارشال على اثر انتصاراته المبكرة في سنة (١٧٠٣ م). غير أنه وقع أسيراً في قبضة (مارلبورو) اثناء معركة (بلينهايم) حيث نقل الى (انكلترا) وبقي فيها حتى سنة (١٧١١ م). وعرف عن (تالارد) أنه كان رجلاً طموحاً جداً. وقد عين فيها بعد عضواً في مجلس الوصاية في المرحلة المبكرة من حكم الملك (لويس الخامس عشر) باعتبار ان هذا الملك كان صغيراً عندما أصبح ملكاً.

«لويس جوزيف، دوق دو فاندوم، (١٦٥٤- ١٧١٢)(*)(*)

هو الابن الاصغر للدوق قيصر فاندوم، وقد ولد لويس جوزيف في (باريس)، واحترف الجندية وعاش حياة الحرس الملكي سنة (١٦٧٢) وخدم تحت قيادة (تورين) في المانيا والالزاس، وتم ترفيعه الى رتبة لواء في سنة (١٦٧٧ م). وقد استدعي للخدمة تحت قيادة (دوق لوكسمبرغ) في سنة (١٦٨٨ م) بعد أن تم ترفيعه الى رتبة فريق حيث

(*) MARSHAL TALLARD. DUC D'HOSTUN AND MARQUIS DE LA (BAUME)

(*) (*) LOUIS JOSEPH . DUC DE VENDÔME

أمضى فترة من خدمته في ايطاليا. وكان تكاسله وانصرافه الى ملذاته الخاصة سبباً في حرمانه من ممارسة قيادة مستقلة حتى سنة (١٦٩٥ م) حيث كان يخدم في (كاتالونيا-اسبانيا)، فانصرف من جديد الى حياة الملذات ليعيش حياته الخاصة، غير أنه تم استدعاؤه ليحل محل (المارشال فيللروا) في ايطاليا (سنة ١٧٠٢ م). وتعرض للهزيمة في (لوزارا) سنة (١٧٠٢ م) ولحقت به هزيمة اخرى في (كاسينو) سنة (١٧٠٥ م). وكان افراطه على نفسه سبباً في تدهور صحته وفي تقويمه للأمور. وقد استدعي من جديد للخدمة في سنة (١٧٠٦ م) واستعاد قيادته غير أنه تعرض للهزيمة ايضاً في (اودنارد) سنة (١٧٠٨ م) واستعاد بعضاً من مكانته على اثر انتصاره على (ستانفون) في اسبانيا أثناء معركة (بريهوغا) في كانون الأول- ديسمبر- (١٧١٠م)، وأصبح أميراً للدم الملكي، غيرأنه لم يلبث أن توفي بعد شهر من العربدة والمجون، وأصيب بالتخمة فمات سنة(١٧١٢م).

«شارل لويس هيكتور، دوق دو فيلار، ١٦٥٣- ١٧٣٤ م»(*)

فيلار- كلود- من مواليد مدينة (مولان). انضم متطوعاً الى الجيش الفرنسي في الحملة الهولاندية سنة (١٦٧٢ م) وخدم تحت قيادة (تورين)(٣٢) ثم تحت قيادة (لوكسمبرغ). وترفع الى رتبة عقيد في الفرسان سنة (١٦٧٤ م) وعمل (ديبلوماسياً) في

(*) CHARLES LOUIS HECTOR, DUC DE VILLARS

(٣٢) فيكونت دو تورين، هنري دولاتور، دوفيرن (١٦١١- ١٦٧٥ م) من مواليد (سيدان). (VICOMTE DE TURENNE, HENRI DE LA TOUR D'AUVERGNE, (B. SEDAN) قائد في الجيش الألماني، احتل الراين من (فيليبورغ: PHILIPPSBOURG) حتى (ماينس MAYENCE) ضد القائد (كونديه: CONDE) وانتصر في (نورد لينجن) سنة (١٦٤٥ م) وانتصر ايضاً في معركة (سومرهوزن SOMMERSHAUSEN) سنة (١٦٤٧) وكان لهذا النصر دور كبير في توقيع معاهدة صلح (ويستفاليا). وعندما اندلعت الحرب الاهلية (LA FONDE) في فرنسا (١٦٤٨- ١٦٤٩) بسبب السياسة المالية لرئيس الوزراء- مازاران- استطاعت (الدوقة آن لونغفيل DUCHESSE DE LONGUE VILLE) واسمها ANNE - GENVÊVE) شقيقة (كونديه العظيم) والتي كانت من اعداء- مازاران هي وشقيقها، استطاعت أن تؤثر على (تورين) لفترة قصيرة وان تجذبه الى المعسكر المضاد لمازاران. غير أنه بعد أن تعرض للهزيمة على ايدي الماريشال (هوكينكورت: HOCQUINCOURT) في معركة (ريتل: RETHEL) عاد فانضم الى البلاط، وانتصر على (كونديه) في (ضاحية سانت انطوان) سنة ١٦٥٢ م. وكانت انتصاراته في معركة (دون: DUNES) سبباً في توقيع معاهدة (البيرنيه) سنة ١٦٥٩ م. وقاد الجيش الفرنسي أثناء حرب استعادة ملكية الأراضي (سنة ١٦٦٧) وأثناء الحرب الهولاندية (١٦٧٢). وفتح (الالزاس) سنة (١٦٧٥). وقتل في (سالزباخ) وهو في ذروة انتصاره في معركة (مونتكوكولي). تميز (تورين) بالبساطة في حياته وبالتواضع الكبير. ووضع كتابه (مذكرات) ضمنها وجهات نظره العسكرية.

الفترة ما بين سنة (١٦٧٨ م) وحتى سنة (١٦٨٨ م) في بلاط (بافاريا) بصورة أساسية. وتم تعيينه في سنة (١٦٨٨ م) مفتشاً عاماً للخيالة (الفرسان) وتولى قيادة الفرسان الفرنسيين في (الفلاندر) وفي (ايطاليا) وفي (الراين) من سنة (١٦٨٨ م) حتى سنة (١٦٩٧ م) وعاد بعدها لممارسة العمل الديبلوماسي (١٦٩٧- ١٧٠١ م) وكان مركز نشاطه هذه المرة في (فيينا). ثم عاد للخدمة في الجيش فعمل لفترة قصيرة في ايطاليا تحت قيادة (فيللروا) حيث تم تسليمه بعد ذلك قيادة مستقلة في ألمانيا (سنة ١٧٠٢ م). غير أن هذه القيادة بترت بصورة حادة ومباغتة بسبب النزاع الذي نشب بين (فيلار) وبين حاكم بافاريا (الالكتر) الذي رفض الأخذ برأي (فيلار) للسير نحو (فيينا). فعاد (فيلار) الى فرنسا في سنة (١٧٠٤ م) وترك قيادته للقائد (مارسان). وتولى قيادة حملة للقضاء على ثورة البروتستانتيين الفرنسيين (الجزويت) في (سيفين). ، وبعد القضاء على هذه الثورة، رجع (فيلار) الى المانيا حيث احرز انتصارات حاسمة ضد الجيوش الامبراطورية هناك. وفي سنة (١٧٠٩ م) تمت توليته لقيادة الحرب في(الفلاندر)غير أنه لم يلبث أن أصيب بجراح بالغة في معركة (مالبلاكيه) بحيث أنه لم يبرأ منها حتى سنة (١٧١١ م). فعاد الى الميدان في سنة (١٧١٢ م) واستطاع الانتصار على (الأمير أوجين) في معركة (دينايين) بعد أن كان الجيش الانكليزي قد انسحب من مسارح العمليات. وأصبح بعد ذلك عضواً (في مجلس الوصاية) ورئيساً (لمجلس الحرب) ثم وزيراً للدولة سنة (١٧٢٣ م) واستمر في ذلك الى أن سقطت عنه الحظوة في البلاط. ثم استدعي ليتولى منصب القائد العام في سنة (١٧٣٢ م) ومات في سنة (١٧٣٤) أثناء قيادته للحملة على (تورين). وقد كان (فيلار) من اكثر القادة الفرنسيين كفاءة، كان يتخذ قراراته بصورة فورية وكان ماهراً في اختيار الطرائق التعبوية (التكتيكية) المناسبة. متغطرس غير أنه شجاع، وقد استطاع احياء الروح المعنوية في الجيش الفرنسي سنة (١٧٠٩ م).

«فرانسوا دو نوفغيلل، دوق دو فيللروا» (١٦٤٤- ١٧٣٠)(*)(*)(*)(*)(*)(*)(*)(*)

ولد فرانسوا فيللروا (ابن نيقولا فيللروا) في مدينة باريس. ودخل الجيش،

(*) FRANCOIS DE NEUF VILLE. DUC DE VILLEROI

وأصبح عقيداً وقائداً لكتيبة (ليون) سنة (١٦٦٤ م.) وخاض الحرب ضد الاتراك العثمانيين في (هنغاريا) وأصيب بجراح في معركة (سانت غوتارد). وقد خدم تحت قيادة (تورين) و (كونديه) في (الفلاندر). وتم ترفيعه الى رتبة فريق في سنة (١٦٧٧ م) وعرف (فيللروا) بغروره وسطحية تفكيره مع طموحه الكبير اعتماداً منه على ما كان يعتقده في نفسه من الامكانات والكفاءات المبالغ فيها حتى بات يطمح للوصول الى منصب القائد الأعلى للقوات الفرنسية. وقد حل محل (لوكسمبرغ) كقائد عام في (الفلاندر) سنة (١٦٩٥ م.) ولكنه أضاع (نامور) التي كانت من ممتلكات الملك (وليم الثالث). وانتهت قيادته في ايطاليا سنة (١٧٠٢) بكارثة. واستطاع (مارلبورو) طرده بسهولة أثناء مسيرته الى الدانوب. وحرم بعد ذلك (فيللروا) من إعطائه أي منصب قيادي بعد هزيمته في معركة (راميلييه) سنة (١٧٠٦ م). وأصبح وزيراً للدولة سنة (١٧١٤ م) وعضواً في (مجلس الوصاية). غير أنه تم اعتقاله في سنة (١٧٢٢) وفرضت عليه الإقامة الاجبارية في منزله حتى نهاية حياته.

*- *- الجيش الامبراطوري:

«الامير اوجين، امير سافوي» (١٦٦٣- ١٧٣٦)(*)

ولد الامير (اوجين) في فرنسا وهو ابن اخت القائد الفرنسي العظيم (كونديه)(٣٣) ونذر للكنيسة، ثم نقل الى البلاط الملكي الفرنسي، غير أن إقدام الملك لويس الرابع عشر على (نفي أمه وإبعادها) دفعه الى ترك فرنسا والانضمام الى الجيش الامبراطوري الذي كان يتولى قيادته أمير اللورين (شارل). وقد بدأ احترافه لحياة الجندية في سنة (١٦٨٣م.) وأظهر كفاءة عالية أثناء حربه ضد الاتراك العثمانيين. الذين كانوا يحاصرون (فيينا). وأصبح يحمل رتبة عقيد (كولونيل) وهو لم يتجاوز العشرين من عمره. وفي سنة

(*) PRINCE EUGÉNE OF SAVOY

(٣٣) كونديه العظيم: PRINCE DE CONDÉ (LOUIS II) DIT LE GRAND CONDÉ واسمه الامير كونديه- او لويس الثاني- وهو من مواليد باريس (١٦٢١- ١٦٨٨ م) وتميز منذ نعومة اظفاره بكفاءة عالية، حيث حقق وهو لا يزال صغيراً انتصارات ضخمة في (روكروا: ROCROI) و (فريبورغ) و (نوردينجن) و (لنس). واضطلع بعد ذلك بدور كبير في ثورة (فونديه) التي قادها ضد (مازاران) حيث تحالف مع الاسبانيين لفترة قصيرة. وقد اعيد الى قيادته بعد توقيع معاهدة (البيرنيه) مع الاسبانيين، فأظهر كفاءته العالية أثناء حرب (الفلاندر) و (هولاندا) وعاش حياته نموذجاً فريداً في عصره.

(١٦٩١ م) تولى قيادة الجيش الامبراطوري في (بييمونت). وعاد الى يوغوسلافيا حيث استطاع الحاق الهزيمة بالجيش العثماني في معركة(زينتا)في ايلول (سبتمبر) سنة (١٦٩٧ م). وكانت هذه المعركة من وجهة نظر الافرنج (الصليبيين) من اعظم معارك العصر. وتولى قيادة الحرب في ايطاليا (١٧٠١- ١٧٠٢) ضد (الماريشال كاتينا) و (فيللروا) و (فاندوم). واستطاع الحاق الهزيمة (بفاندوم) في معركة (لوزارا) في آب (أغسطس) سنة (١٧٠٢ م)؛ ، وأصبح (أوجين) على اثر ذلك رئيساً (لمجلس الحرب الامبراطوري) في سنة (١٧٠٣). فاشترك مع (مارلبورو) في معركة (بلينهايم) سنة (١٧٠٤ م). وانتصر في معركة (كاسينو) في آب (أغسطس (سنة ١٧٠٥ م). ففتح بذلك المجال أمام الحلفاء للانتصار في ايطاليا. وتوافرت فرصة لنصر جديد أمام (اوجين) عندما استولى على تورين في (ايلول- سبتمبر- ١٧٠٦ م) غير أنه فشل أمام طولون سنة (١٧٠٧) وعاد ليمارس دوراً حاسماً في معركتي (اودينارد) و (مالبلاكيه). وبعد انسحاب القوات الانكليزية من الحرب، لحقت بالامير(اوجين) هزيمة على ايدي القائد الفرنسي (فيلار) في معركة (دينابن) في تموز (يوليو) سنة (١٧١٢) وقاد (اوجين) من جديد الجيش الامبراطوري ضد الاتراك العثمانيين في سنة (١٧١٦ م) حيث حقق انتصاراً آخر في معركة (بلغراد) في آب (أغسطس) سنة (١٧١٧ م). وأنهى بذلك التهديد التركي لاوروبا الغربية. واستدعي (الامير اوجين) لقيادة الجيش الامبراطوري في (حرب الوراثة البولونية) سنة (١٧٣٥ م). ومات (اوجين) فور عودته في نيسان (ابريل) سنة (١٧٣٦ م).

لقد كان الامير(اوجين) جندياً كاملاً، ونجح في قيادة جيش غريب عنه، وليس فيه إلا قلة ممن يفهمون لغته. وتوافرت فيه القدرة على اتخاذ القرارات الجريئة والمباغتة وعاش حياته على الحرب ومن أجل الحرب.

* - * - * الجيش الانكليزي:

«وليم كادوغان، لورد كادوغان الأول» (١٦٧٥- ١٧٢٦ م)(*)

ظهر اسم (وليم كادوغان) للمرة الاولى عندما اشترك في معركة (بواين) في

(*) WILLIAM CADOGAN . FIRST - EARL CADOGAN

ايرلندا (بين وليم أوف اورانج وجيمس الثاني). ثم عندما قاد كتيبة (الايرلنديين الملكية الخامسة)ـ المعروفة بكتيبة الدراغون الخامسةـ في (الفلاندر). وكان في سنة (١٧٠١) يحمل رتبة رائد، ويعمل في القيادة العامة بمهمة نقل الوحدات من (ايرلندا) الى (هولانده). وأصبح في سنة (١٧٠٢) في هيئة اركان القيادة العامة لمارلبورو، وقائداً لكتيبته مع ترفيعه لرتبة عقيد. وكان مسؤولاً الى حد كبير عن تنظيم التحرك الى (الدانوب) وقد امكن له تنفيذ هذه المهمة بفاعلية ونجاح. وقد قتل حصانه من تحته في معركة (شيلنبرغ). وتم ترفيعه الى رتبة عميد في ٢٥ آب (أغسطس) سنة ١٧٠٤ م بسبب الدور الذي قام به في معركة (بلينهايم). وحضر معركة (راميلييه) ومعركة (اودينارد) حيث تولى قيادة التقدم لقوات حرس الحلفاء. ووقع في الأسر سنة (١٧٠٦ م) عندما كان يقود زمرة الاقتحام. ولكن أطلق سراحه بعد ثلاثة أيام فقط، وتم ترفيعه الى رتبة فريق سنة (١٧٠٩ م) واشترك في معركة (مالبلاكيه)، ثم عزل عن قيادته بسبب علاقته الحميمة وصداقته (لمارلبورو). غير أن (كادوغان) لم يلبث أن استعاد مكانته، فتم تعيينه سنة (١٧١٧ م) بمنصب قائد أعلى للمشاة. كما منح رتبة (أميرـ ايرل) في سنة (١٧١٨ م). وأصبح في سنة (١٧٢٢) قائداً للحرس الملكي وخلف (مارلبورو) في منصب (سيد البلاط)، وأصبح (كادوغان) بعد ذلك نائباً في البرلمان عن (ايرلندا) حيث انتخب اربع مرات عن (وودستوك)ـ وكانت المرة الأولى التي تم انتخابه كعضو في البرلمان (في سنة ١٧٠٧ م).

«جون كاتس، بارون كاتس الأول ، ١٦٦١- ١٧٠٧ م»(*)

تميز (جون كاتس) بالخفة والعبث والسطحية في التفكير. ومارس خدمته في البداية مع دوق اللورين (شارل) أثناء الحرب ضد الاتراك العثمانيين في (هنغاريا). ونجح في القيام بدور بارز أثناء حصار (بودا) سنة (١٦٨٦) وأصبح معاوناً عاماً للملك (شارل). وجاء (كاتس) الى انكلترا مع (وليم الثالث) سنة (١٦٨٨) برتبة عقيد وفي قيادة الكتيبة التي لم تلبث أن حلت وتمزقت.

(*) JOHN CUTTS, FIRST BARON - CUTTS.

وخاض الحرب في (ايرلندا) حيث اشترك في معركة (بوايين) ومنح لقب (بارون) سنة (١٦٩٠ م) وكان برتبة عميد أثناء معركة (ستينكيرك) حيث أصيب بجراح فيها، وتمزق اللواء الذي يقوده شر تمزيق. وأطلق عليه أثناء حصار (نامور) لقب (ضفدع السمندر) بسبب ضعفه وخوره. غير أنه عرف دائماً بجمعه النقيضين (الشجاعة وعدم التفكير) وكان (كاتس) هو الرجل الثالث في التسلسل القيادي أثناء معركة (بلينهايم) وتولى قيادة الهجوم فيها. وأصبح نائباً في البرلمان عن (نيو بورت) في الفترة (١٧٠٢- ١٧٠٧ م) وأصبح قائداً عاماً في(ايرلندا) سنة (١٧٠٥)ومات في (دوبلن)سنة (١٧٠٧م)

«لورد جورج هاميلتون، ايرل اوركني، ١٦٦٦- ١٧٣٦ م»(*)

أصبح (جورج هاميلتون) نقيباً في كتيبة المشاة الاولى التي كان يتولى قيادتها عمه وذلك في سنة (١٦٨٤ م) وخاض معارك الحملة الايرلندية كلها، ورفع لرتبة عقيد، وتولى قيادة (كتيبة المشاة الأولى) سنة (١٦٩٢ م). واشترك في قوات (شارل الثالث) أثناء حملة الفلاندر، ومنح لقب (أمير- ايرل اوركني) في سنة (١٦٩٦)- ثم رفع لرتبة عميد سنة (١٧٠٢ م) والى رتبة فريق (سنة ١٧٠٤ م) وتولى قيادة احد الالوية في معركة (بلينهايم) وقام بحصار - مينين- سنة (١٧٠٦ م). وقاد الفرسان للمطاردة في معركة (راميلييه) ثم حاصر مدينة (ليل) بسنة (١٧٠٧ م) وحاصر (اودنارد). وتولى في معركة (مالبلاكيه) قيادة الهجوم الرئيسي لاختراق الخطوط الفرنسية. وتم تعيينه قائداً للمشاة في سنة (١٧١٠ م)، وقائداً للواء حرس المشاة الأول سنة (١٧١٢ م). وخدم تحت قيادة (الدوق اورموند) الذي خلف (مارلبورو)، وأصبح حاكماً عاماً (لفرجينيا) سنة (١٧١٤ م) ثم مشيراً(فيلد مارشال) سنة (١٧٣٦).

(*) LORD GEORGES HAMILTON. EARL OF ORKNEY

الفصـــــل الثـــالـــث

مارلبورو- وحرب الوراثة الاسبانية

(١٧٠٢- ١٧١٤ م)

١- المراحل الاولى من الحرب (١٧٠٢- ١٧٠٤)
٢- معركة (حملة) بلينهايم (١٧٠٤)
٣- معركة (حملة) راميلييه (١٧٠٦).
٤- معركة (حملة) أودينارد (١٧٠٨).
٥- معركة (حملة) مالبلاكيه (١٧٠٩).
٦- نهاية حرب الوراثة الاسبانية في اوروبا (١٧١٠- ١٧١٣).
٧- حرب الوراثة الاسبانية في اسبانيا والبحر.
٨- الصفحة الاخيرة من حياة (مارلبورو)

١- المراحل الاولى من الحرب

لم يكن القادة الذين سبق ذكرهم- في الفصل السابق- هم كل قادة حرب الوراثة الاسبانية أو أكثرهم كفاءة، فقد كان هناك عدد كبير من القادة الذين لم تتح لهم الفرصة لإظهار امكاناتهم وقدراتهم، على نحو ما يحدث عادة في كل الحروب بالنسبة لاولئك الذين يجانبهم الحظ فيدفعهم بعيداً عن المجد والشهرة على الرغم مما يتوافر لهم من الكفاءة. ولم تكن (حرب الوراثة الاسبانية) معزولة عن الحروب المستمرة التي سبقتها أو تلك التي جاءت بعدها، فقد كانت اوروبا في تلك الحقبة التاريخية تعيش حقبة تكونها للانتقال من انظمة قديمة الى انظمة اكثر تقدماً واكثر تطوراً. وكان للجيوش المتحاربة دورها في ذلك التطور الذي لم تقف مؤثراته عند حدود تطور (فن الحرب) ذاته. وإنما تجاوزته الى تطوير الانظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتطوير الشعوب قبل كل شيء. المهم في الأمر هو أن (حرب الوراثة الاسبانية)، قد بدأت منذ مراحلها المبكرة بإظهار كل النوايا والأهداف التي دفعت قادة أوروبا لاختيار طرائق الصراع المسلح من اجل بلوغ الاهداف السياسية.

أخذت فرنسا (المبادأة) عند اندلاع الحرب، فأطلقت جيوشها في آذار (مارس) ١٧٠١ من اجل حماية القلاع والاقاليم التي كانت تابعة لاسبانيا- وبصورة خاصة ما كان منها في الأراضي المنخفضة والفلاندر. ومن ثم، فقد اخذت انكلترا وهولاندا استعداداتهما للحرب في وقت واحد- على نحو ما سبقت الاشارة اليه، غير أن النجاح لم يحالف احداهما في هذه السنة لحشد جيوشهما وزجها في ميدان القتال، إذ كان جيش انكلترا ضعيفاً وعلى غير استعداد لمجابهة التفوق الفرنسي في القوات البرية. ولم تجد (هولاندا) في نفسها القدرة لزج قواتها وخوض الحرب وحدها، غير أن هذا الموقف لم يمنع (الأمير أوجين) من الامساك بالمبادأة على المسرح الايطالي، فقاد جيشه (النمساوي) للاستيلاء على الممتلكات الاسبانية في شبه الجزيرة الايطالية. وأمكن له حشد القوى في

التيرول مع بداية فصل الصيف. واستطاع الجيش الفرنسي بقيادة (كاتينا)(٣٤) تشكيل سد أمام زحف (الجيش النمساوي. ولكن (الأمير أوجين) لجأ الى استخدام الدروب الضيقة والممرات الجبلية الصعبة ما بين (روفيريدو)(٣٥) و (فيسنزا) حيث المقاطعة البعيدة عن حدود امارة (فينيتيان)(٣٦) وفي ٢٧ أيار- (مايو) ١٧٠١ م، اتخذ (الامير اوجين) تدابير الحيطة الضرورية ونظم اجراءات الأمن للتقدم، بعد أن أقنع السلطات المسؤولة في (امارة فينيتيان) بعدم التعرض لقواته أو مقاومتها أثناء عبورها أراضي الامارة، طالما أنها لن ترتكب أية مخالفة، وطالما أنها لن تتخذ أي موقف عدواني ضد السكان. ثم انطلق (الامير أوجين) في مسيرته الشاقة عبر الدروب التي لم يسلكها جيش منذ أيام (شارلكان)، ووصل الجيش النمساوي الى السهول يوم ٢٨ حزيران (يونيو) سنة (١٧٠١ م) ثم انتشر على مساحة واسعة حتى وصل الى (لينياغو)(٣٧) ثم تجاوزها في محاولة للبحث عن طريق يعبر منه (نهر أديج) الأسفل. وقد بوغت القائد الافرنسي (كاتينا) مباغتة تامة بظهور (الأمير اوجين) وجيشه في السهل، لأنه كان يعتمد في تنظيم دفاعه اعتماداً كاملاً على حياد (فينيتيان)، كما ارتكب هذا القائد الفرنسي خطيئة كبرى عندما افترض أن الجيش النمساوي مصمم على غزو الممتلكات الاسبانية جنوبي (نهر البو)(٣٨) فعمل على نشر قواته بشكل ستارة ضعيفة، وتنظيم خطوط دفاعية رقيقة حتى

---

(٣٤) كاتينا- نيقولا: (NICOLAS DE CATINAT) مارشال فرنسا، من مواليد مدينة (باريس) (١٦٣٧-١٧١٢ م) وهو من أفضل قادة ملك فرنسا (لويس الرابع عشر). انتصر على (دوق سافوي) في معركة (ستافارد: STAFFARDE) ١٦٩٠ م. وانتصر في (مارسايل: MARSAILLE) سنة (١٦٩٣ م) ومن ثم فقد أظهر كفاءته في مجال العمل الديبلوماسي (في المباحثات والمفاوضات. وكان جنوده يطلقون عليه - تحبباً- لقب (أبو الأفكار). وقد كتب مؤلفاً حمل اسم (مذكرات).

(٣٥) روفيريدو: (ROVEREDO - ROVERETO) مدينة ايطالية في اقليم (فينيتي: VENÉTIE) تقع على نهر أديج.

(٣٦) فينيتيان: (VÊNETIAN) بالنسبة لشعب (الفينيتي VENÉTÈS) وهو من الشعوب الغاليه. كان ينتشر في الشمال الشرقي من ايطاليا، وتقع امارته على حدود فينيسيا القديمة وتم الحاق هذه الامارة بايطاليا سنة (١٨٦٦ م).

(٣٧) لينياغو: (LEGNAGO) قلعة ايطالية في اقليم (فيرون) تقع على نهر (اديج: ADIGE) الذي ينبع من جبال الألب، ويجتاز التيرول الشمالية وامارة فينيتي ثم يصب في الادرياتيكي وطوله (٤١٠ ك. م.)

(٣٨) نهر البو: (R. PO) في إيطاليا، وكان اسمه قديماً نهر (ايريدان: ERIDAN) ينبع من جبل (فيزو ؛ VISO) ويمر في اقاليم (تورين TURIN) وكاسال وبليزانس وكريمون وكوستالا وترفده انهار تيسان وادا واوغليو ومينكيو وتريبيا الخ.. ويشكل دلتا قبل أن يصب في الادرياتيكي- وطوله (٦٥٠ ك. م.).

يستطيع تغطية الجبهة الطويلة الممتدة مع امتداد (نهر أديج). وعثر (الامير أوجين) على منطقة لا تحرسها القوات الفرنسية، فتحرك بحذر، وأمكن له عبور نهر (أديج الأسفل) في ليل ٨- ٩ تموز (يوليو)، وعندها جمع القائد الافرنسي (كاتينا) قواته على الفور وحشدها خلف النهر الايطالي (مينسيو) أو (مينكيو) أحد روافد نهر (البو). في الوقت الذي كان يعمل فيه (أوجين) على القيام باستدارة نحو الشمال في محاولة لتأمين الاتصال بخطوط امداداته الاساسية في (روفيردو- ريفولي). وتعرض (الامير اوجين) في هذه الفترة لصعوبات كبيرة من أجل تأمين امداداته نظراً لامتناع (إمارة فينيتيان) عن السماح للامير (اوجين) باستخدام أراضيها لنقل الامدادات والتموين، وأخيراً قرر (أوجين) حسم الموقف باللجوء الى الصراع المسلح، فاتخذ استعداداته لاختراق نهر (مينسيو) قريباً من بحيرة (بيشييرا)[٣٩] وعلى مسافة اكثر بعداً من الجناح الأيسر لجيش (كاتينا). ونفذ (اوجين) عمليته في ليل ٢٨ تموز (يوليو). وتراجع (كاتينا) بنظام وهدوء الى (اوليو)[٤٠] ولكن هذا التراجع أثار نقمة القوات الافرنسية، لا سيما وأن القوات النمساوية كانت أصغر بكثير من حجم القوات الافرنسية، وقام خصم (كاتينا) وهو القائد (تيسيه) بنقل هذا الموقف الى (باريس) التي ارسلت المارشال (فيللروا) المقرب من الملك (لويس الرابع عشر) وكان القائد الجديد أقل كفاءة من كل الضباط الأعوان الافرنسيين، فعمل فور تسلمه القيادة من (كاتينا) على شن هجوم ضد القوات النمساوية التي أصبحت تحتل مواقع دفاعية جيدة في (شياري) وذلك في اليوم الأول من أيلول (سبتمبر). وأسفر هذا الهجوم عن هزيمة كاملة للقوات الافرنسية. وفي الشتاء، قام (الامير أوجين) بهجوم مباغت على (كريمونا) في ليل اليوم الأول من شباط (فبراير) ١٧٠٢. وبعد قتال في ظروف غامضة ومعقدة، انسحب (الامير أوجين) ومعه القائد الافرنسي (فيلار) كأسير حرب. في حين كانت بقية الجيش الفرنسي تتراجع عن

---

(٣٩) بيسشييرا: (PESCHIERA) مدينة حصينة ايطالية (في فينيتي) وتشكل احدى زوايا المربع المشهور (المربع اللومباردي QUADRILATÈRE LOMBARD وتقع على نهر مينسيو، وبحيرة الحرس LAC DEGARDE ونظراً لشهرة المدينة فقد طغى اسمها على البحيرة التي حملت اسمها.

(٤٠) اوغليو: (OGLIO) نهر في ايطاليا (لومبارديا) يرفد نهر (بو).

مواقعها. وعاد الأمير (أوجين) لقضاء فصل الشتاء في مقر قيادته، واستئناف حصار (مانتوا)[٤١]

كان بعض مستشاري الملك لويس الرابع عشر، قد اقترحوا عليه العمل على تركيز الجهد للدفاع عن الراين والدانوب على اعتبار أن هذه المنطقة هي مركز الثقل ونقطة التوازن في التحالف المضاد لفرنسا. ولكن الملك الافرنسي لم يستجب لنصح مستشاريه، وزج القسم الاكبر من الجيش الافرنسي على ضفة نهر الموز، وترك جبهة الراين تحت حراسة قوات ضعيفة كلفت بواجب الدفاع. وقد تم هذا التوزيع بالقوى وتحديد الواجبات القتالية بتأثير عوامل سياسية. أما في مسرح عمليات ايطاليا فقد بقي ميزان القوى ثابتاً، ولم يطرأ عليه أي تغيير باستثناء ارسال قائد هو من أفضل قادة الملك لويس (وهو الجنرال فاندوم) ليحل محل القائد الأسير (فيلار). وفي البلاد المنخفضة، كلف (جينكل) بممارسة القيادة المؤقتة لقوات الحلفاء (الانكليز والألمان وبعض الامارات الجرمانية الصغرى). وكان (جينكل) في بداية احباط مناورات القائد الافرنسي (بوفلر)، وكان التهديد الافرنسي المؤقت بالغزو قد ترك أثراً قوياً في السلطات الألمانية التي باتت تتخذ المواقف المتخاذلة مما كان له اكبر الأثر في احباط أفضل المخططات التي وضعها (مارلبورو) وحتى أصبح مرغماً على الخضوع لعطالتها ورفضها. وعلاوة على ذلك، فإن هذه العقبات لم تكن المصدر الوحيد لمتاعب (مارلبورو) الذي كان عليه أيضاً أن يضع في حسابه باستمرار موقف كبار قادته وصراعهم فيما بينهم على السلطة والتحزب ورسم المؤامرات على انكلترا، علاوة على ما كان يجب عليه اتخاذه لدفع عوامل الحسد والجبن والتهاون والتمرد والرفض بين دول الحلف التي قدمت فرقها العسكرية لجيشه المختلط.

بمثل هذه الصورة الكئيبة بدأ القرن الثامن عشر (بحرب الوراثة الاسبانية). وأمكن تنفيذ الأعمال القتالية بواسطة جيش غريب التكوين، شديد التعقيد. سواء في تنظيمه أو في قيادته، بحيث لم يكن هناك قائد آخر في اوروبا يستطيع المحافظة على قدرة

---

(٤١) مانتوا: (MANTUA - MANTOUE) مدينة ايطالية في (لومبارديا) تحيط بها البحيرات الثلاث التي يشكلها نهر (مينسيو)

هذا الجيش وقيادته كقوة واحدة سوى (مارلبورو).

تعاون الافرنسيون مع الحاميات الاسبانية التي كانت منتشرة في الفلاندر والبلاد المنخفضة. فنظموا خطاً دفاعياً من التحصينات يزيد طوله على مائة كيلومتر. ويمتد من (انتويرب) في الشمال حتى (هاي)[٤٢] بالاضافة الى خط آخر اكثر طولاً، ولكنه أقل أهمية في قوته وقدرته الدفاعية يمتد من (أنتويرب) أيضاً ويسير حتى (شيلدت - ليس) ليصل الى (اير)[٤٣] في فرنسا. والى جانب ذلك كانت هناك خطوط (برابان) التي احتلها (بوفلر) كما احتل جميع قلاع (الموز) الواقعة تحت (هاي) باستثناء (ماستريتش). ومقابل ذلك، فقد حشد (مارلبورو) قوة من ستين ألف مقاتل (منهم- ١٢- ألف انكليزي فقط) في المنطقة المحيطة بمدينة (نيمجين)[٤٤] وذلك في شهري حزيران وتموز (يونيو ويوليو) ١٧٠٢ م.

عندما انهى «مارلبورو) استعداداته تقدم مباشرة حتى (دييست) المدينة البلجيكية، مما حمل (بوفلر) على التراجع بسرعة للوصول الى خطوط (برابان) والاستناد الى تحصيناتها. واستطاع (مارلبورو) كسب السباق، وتوقف في انتظار وصول جيش (بوفلر) ليضربه ضربة تصيبه بالشلل وتقعده عن العمل وهو لا يزال متعباً، من المسير الطويل، ولكن وفي اللحظة الحرجة، رفض النواب الألمان الاستمرار في المعركة، واكتفوا من النصر برؤية الجيش الذي كان يهدد هولاندا بالغزو وهو ينسحب الى مسافة الأمن بدون اهراق قطرة دم واحدة، وذلك في يوم ٢٢ تموز (يوليو) ١٧٠٢ ونتيجة لهذه التجربة المريرة، قرر (مارلبورو) اتخاذ جانب الحذر تجاه سلبية الأمراء الألمان، والعمل على تطويق قلاع نهر الموز وتحصيناته، والتي لم تلبث أن بدأت بالسقوط تباعاً وبسرعة في قبضة قوات (مارلبورو) في شهري ايلول وتشرين الأول (سبتمبر واكتوبر) وتراجع (بوفلر) الى حدود المنطقة التي يدافع عنها من (خطوط برابان). وتوقفت الاشتباكات عند سقوط (لييج) في قبضة الحلفاء بتاريخ ١٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٠٢ م. وعاد

---

(٤٢) هاي: (HUY) وفي اللغة الفلامنكية (HOEI) مدينة بلجيكية (لييج) على نهر الموز.

(٤٣) اير: (AIRE) مقاطعة في (مونت دو مارسان MONT DE MARSAN) على (الادور: ADOUR)

(٤٤) نليمجين: (NIMÈGUE -OU- NIJMEGEN) مدينة في البلاد المنخفضة على نهر الوول WAAL

(مارلبورو) بعدها الى (لندن) حيث منح لقب (دوق) في تشرين الثاني (نوفمبر) . وعند عودة (مارلبورو) الى مسرح عمليات اوروبا، لم يكن ميزان القوى لصالح الحلفاء، وكان التفوق العددي لصالح الافرنسيين (٩٠ ألفاً مقابل ٥٠ ألفاً)، وعلى الرغم من ذلك، فقد قرر (مارلبورو) الوصول قبل خصمه الى ساحة المعركة. وبدأ عملياته بالاستيلاء على (بون) في أيار (مايو) ١٧٠٣ . ثم وضع مخططه لاختراق الخطوط الدفاعية الطويلة على الجبهة الواسعة للافرنسيين وحلفائهم من الاسبانيين والاستيلاء على (انتويرب)[٤٥] . وتنفيذاً لهذا المخطط، كان على فيلق الماني التجمع في أقليم (سلوزي- هولست) بينما يتجمع فيلق ألماني آخر في (بيرغن- اوب- زوم)[٤٦] وخلال ذلك يقوم (مارلبورو) بتنفيذ مناورته خارج الطرقات للانضمام الى جيش الاميرين الالمانيين (قائدي الفيلقين) أمام التحصينات الافرنسية في (انتويرب). ونفذ (مارلبورو) نصيبه من المخطط، وقاد تحرك قواته بكفاءة، غير أن عدم تدخل القائدين الالمانيين في المعركة ساعد القوات الافرنسية على الخروج من المناورة بانتصار ضخم.

كانت القيادة الافرنسية قد وضعت مشروعاً ضخماً للاستيلاء على (فيينا) بمجهود جيش مشترك (إفرنسي- بافاري- هنغاري)، وقد أصر الأمير البافاري- تنفيذاً لهذا المشروع- على أن يقوم (فيلار)- الذي أطلق سراحه وعاد الى قيادة القوات- بعبور الغابة السوداء في وقت مبكر من بداية سنة ١٧٠٣ ، غير أن (فيلار) لم يكن قادراً على اجراء هذا التحرك في تلك الفترة بسبب اقتراب موعد تسريح ثلثي قوة ضباطه (كالعادة)، ونتيجة لذلك، وبسبب توافر عوامل اخرى دفعت بقية القوات الى التأخر في تحركها، قرر (تالارد) العمل وحده، فانطلق في نهاية (نيسان- ابريل- ١٧٠٣ م) للدفاع عن الالزاس ضد الحاكم العسكري لمدينة (بادن). كما زج (فيلار) قواته في مضائق الغابة السوداء ودروبها، وانضم في يوم ٨ أيار (مايو) الى قوات الامير الالماني (الاليكتور) في (ايبينجن) وكانت كل الظروف مناسبة للتقدم الى (فيينا). ولكن، وفي اللحظة الأخيرة، ندم الأمير

---

(٤٥) انتويرب: (ANTWERPEN) الاسم الفلامنكي لمدينة (انفر: ANVERS) وهي مدينة بلجيكية.

(٤٦) بيرغن- اوب- زوم: (BERGEN - OP -ZOOM) مدينة في البلاد ألمنخفضة، تقع على نهر الاسكوت: (ESCOT) أو (ESCAUT) واستولى عليها الافرنسيون في سنة (١٧٤٧) ثم استولوا عليها مرة اخرى سنة (١٧٩٥).

الالماني على تحالفه مع الافرنسيين (اعداء الجرمان) وتقدم بعرض بديل وهو التوجه الى (التيرول)(*) بدلاً من التوجه الى (فيينا) بهدف الاتصال مع (فاندوم) في ايطاليا. غير أن هذا العرض لم يحقق شيئاً، فقد أشعل (التيروليون) نار الثورة بسبب السلوك الشائن للجنود البافاريين وتصرفاتهم الحمقاء الناجمة عما عرف عنهم من قلة الانضباط. أما (فاندوم) الذي كان راغباً في (اللوكسمبرغ) فإنه كان عملاقاً في ميدان القتال، ولكنه كان كسولاً متراخياً في المعسكر، ولهذا فإنه لم يتمكن من التحرك أو القيام بأي عمل إيجابي.

نظم (فيلار) المراكز الدفاعية في (اولم)، وترك فيها جيش المقاطعة تحت قيادة حاكمها العسكري (المارغراف) حتى عودته اليه، وقام هذا الجيش بالاشتباك مع قوات الحلفاء يوم ٣١ تموز (يوليو) ١٧٠٣ في (ماندركينجن) ليعود بعدها الى (الراين) تنفيذاً لأوامر الملك (لويس الرابع عشر). ومضت خمسة أسابيع عاد بعدها جيش مقاطعة (اولم) وهو بكامل قوته، وتحرك مع الضفة اليمنى لنهر الدانوب حتى وصل (اوغسبورغ)(٤٧) في يوم ٦ أيلول (سبتمبر). وخلال هذه الفترة، رجع امير المقاطعة الألماني من حملته الفاشلة في (التيرول) وانضم فوراً الى (فيلار) في (ديللينجن)(٤٨) وقد شجعه (الماريشال فيلار) على مهاجمة الجيش النمساوي الذي كان يغطي (فيينا) وذلك قبل أن يتمكن القائدان من ضم قواتهما. وكانت النتيجة حدوث معركة (هوشست)(٤٩) في ٢٠ أيلول (سبتمبر) (١٧٠٣) والتي انتهت بتحقيق نصر كبير لصالح الامير الالماني و (فيلار) بخسارة ألف قتيل، وتعتبر هذه النتيجة اكبر نصر حققته حروب القرن الثامن عشر، لا سيما وأنها أنهت الحرب بمعركة واحدة. وعلى الرغم من ذلك، فإن (فيلار) ذاته

(*) التيرول: (TYROL) أو (TIROL) بلاد البية (في جبال الالب) تقاسمتها (سويسرا والنمسا وايطاليا) ويتألف التيرول الايطالي من البلاد الواقعة عند أعلى نهر (اديج) ويتكلم أهل التيرول اللغة الالمانية والايطالية.

(٤٧) اوغسبورغ: (AUGUSBOURG) وبالالمانية (AUGUSBURG) مدينة المانية في بافاريا.

(٤٨) ديللينجن: (DILLINGEN) مدينة تقع على حدود السار.

(٤٩) هوشست: (HŒCHSTAEDT) مدينة المانية في (بافاريا) تقع على نهر (الدانوب) انتصر فيها (فيلار) على (النمساويين) سنة (١٧٠٣). وانتصر فيها (مارلبورو) و (الامير اوجين) على الافرنسيين في معركة (بلينهايم) سنة (١٧٠٤) كما انتصر فيها (مورو: MOREAU) على النمساويين سنة ١٨٠٠ (في الحروب النابوليونية).

لم يفكر باستثمار هذا النصر الكبير الذي ضمن له الاتصال بدون أي عائق أو عقبة مع جيش (تالارد) فمضى لقضاء فصل الشتاء في (فيرتمبورغ)[٥٠] وهكذا فإن مشروع التقدم الكبير حتى (فيينا) لم ينته الى نتيجة حاسمة. ونجح الافرنسيون نجاحاً كبيراً بتنظيم جيش (بافاريا)

أما في (إيطاليا) فإن (فاندوم) لم يحقق شيئاً من المنجزات، على الرغم من أن (الأمير أوجين) لم يحاول إبداء أية مقاومة جديدة.

يظهر من خلال العرض السابق أن (الامبراطورية المقدسة قد تعرضت خلال سنتي (١٧٠٢ و١٧٠٣) لضغوط قوية. وجاء الهجوم الافرنسي العام على المانيا وايطاليا مقترناً بالثورة الهنغارية، مما خلق أزمة حادة أمام الحلفاء الذين لم يعد باستطاعتهم ايجاد حل لها إلا بواسطة دعم قوي يتم تقديمه للدول المتحالفة، وأن يتم ارسال هذا الدعم عن طريق الفلاندر. وبدأ سفير الحلفاء في لندن (فراتيسلو) بالالحاح على (مارلبورو) منذ بداية شهر شباط (فبراير) ١٧٠٣، من أجل ارسال وحدات الى الدانوب. ويظهر ذلك أن جذور حملة (بلينهايم) قد تطورت في انكلترا طوال سنتي (١٧٠٣ و ١٧٠٤) من خلال مشاورات كثيرة وابحاث مستفيضة أسهم في تطورها الموقف المتدهور على الجبهة الاوروبية.

٢ـ معركة (حملة) بلينهايم:

أبحر (مارلبورو) في أبرد يوم من أيام الشتاء ـ في كانون الثاني (يناير) ١٧٠٤ م، متوجهاً من (انكلترا) الى هولاندا (الهاغ) ليعلم حكومتها والثقة تملؤه بأنه سيقوم بغزو فرنسا عبر وادي (الموزل) غير أن هذا الاعلام أذهلهم، وشعروا أنه ليس باستطاعتهم تأييد هذه المغامرة وزج جيوشهم في الوقت الذي تتعرض فيه حدودهم لخطر التهديد الافرنسي، وواجب هذه الجيوش هو حماية الحدود قبل كل شيء.

---

(٥٠) فيرتمبورغ: (WURTEMBERG) اقليم الماني قديم شكل دولة في الجنوب الغربي من المانيا عاصمتها (شتوتغارت: STUTTGART) تطورت من كونتية الى دوقية الى مملكة الى جمهورية (سنة ١٩١٨). ثم قسمت سنة ١٩٤٥ الى قسمين.

وشعر (مارلبورو) بالاحباط، فكتب الى زوجته (سارة) من (الهاغ) في شهر شباط (فبراير)[٥١] وهو في حالة يائسة:

«أشعر تجاه هذه الحملة بأمل ضعيف في كسب النصر، وهذا ما يمزق قلبي. فليفعل الله ما يشاء. لقد كانت لديّ في كل الحملات الاخرى فكرة عن القيام بعمل ناجح من أجل القضية المشتركة. ولكن في هذه المرة ليس لي إلا الأمل في ظهور حادث يساعدني على القيام بعمل جيد».

وقد جاء هذا الحادث، وقام (مارلبورو) بعمل رائع. ولكن قبل متابعة البحث قد يكون من المناسب التوقف لحظة أمام مسيرة تيار الاحداث.

كان حاكم المانيا (بافاريا)- الالكتر أو المستشار- (واسمه ماكس أمانويل) قد انضم الى الافرنسيين في سنة (١٧٠٣) بسبب تجاوزه من قبل الحلفاء وعدم تعيينه قائداً أعلى للقوات، وتعيين حاكم (بادن)- المارغراف- بدلاً عنه. وفي الحقيقة فان تسرع حاكم بافاريا قد حرمه مما كان يتم اعداده له من أجل تعيينه قائداً عاماً لقوات الحلفاء في ايطاليا. المهم في الأمر هو أن انضمام (بافاريا) الى جانب فرنسا قد أفسح المجال أمام ظهور احتمال قيام فرنسا بفرض سلم على (الامبراطورية النمساوية)، مما يعزل انكلترا، ويضعها أمام مأزق صعب، ويعيد لفرنسا هيمنتها على اوروبا كلها. وكان ذلك هو العامل الحاسم الذي وضعه (مارلبورو) عندما جابه المواقف السلبية لقادة حلفائه (الهولانديين والالمان)

أ- مسير (مارلبورو) الى الدانوب

كان لا بد (لمارلبورو) من العودة لانكلترا لاجراء بعض الاستشارات واكمال بعض الترتيبات من اجل مجابهة مواقف حلفاء انكلترا، وفي يوم ١٩ نيسان (ابريل) ١٧٠٤، ركب البحر من ميناء (هارويك) متوجهاً الى (الهاغ) وبرفقته شقيقه الجنرال (شارل تشرشل) وكونت (فراتيسلو) و (ايزل اوركني) وعدد من الضباط الآخرين.

---

(٥١) الهاغ: (LA HAGUE) عاصمة الشمال الشرقي لكوتنتان (COTENTIN) وهو الاسم الذي تحمل اليوم مقاطعة (النورماندي)- القسم المتقدم في بحر المانش والذي يمثل شبه جزيرة.

وأسرعت (سارة) زوجة (مارلبورو) فاستقلت عربة تنقلها الى (هارويك) لوداع زوجها، فكان وداعاً لا مثيل له فيما تركه من أثر محبط للهمة ومثبط للعزيمة. فقبل أربعة عشر شهراً كان ابنهما الوحيد ـ لورد بلاندفورد ـ قد مات بسبب إصابته بمرض الجدري ولما يتجاوز السابعة عشرة من عمره. وكانت (سارة) قد بلغت من العمر في حينها الرابعة والأربعين سنة وهي لا زالت بالرغم من ذلك تأمل في أن ترزق صبياً وريثاً ـ (وكان لديهما من الاولاد أربع بنات) ـ غير أن هذا الأمل كان مشوباً بالشكوك لا في نفسها فقط بل بإخلاص زوجها. فاتهمته بالخيانة الزوجية مع امرأة لم تذكر له حتى اسمها. (ومن المعتقد الآن بأن هذه المرأة هي الليدي ساوثويل). وكان (مارلبورو) كلما ازداد انكاراً للتهمة واستنكاراً لها كلما ازدادات بعداً عن تصديقه. وعلى رصيف الميناء، وقبل أن ينطلق (مارلبورو) لخوض أغرب مغامرة في حياته، سلمته (سارة) رسالة تطفح باتهاماتها له، وتفيض بأقسى عبارات التأنيب واكثرها مرارة وعنفاً بحيث ان (مارلبورو) قال بعد قراءتها: «**لم يعد يهمني أن أعيش أو أموت. فقد استوت الأمور**».

ولحسن حظ (مارلبورو) فقد غيرت (سارة) موقفها بمجرد ابتعاد زوجها، لقد حدث شيء ما حملها على تغيير رأيها، فأرسلت له رسالة عاجلة يختلف مضمونها تماماً عن الرسالة السابقة، بل انها ذهبت الى ما هو أبعد من ذلك، إذ طلبت إليه أن تلتحق بحملته. وأجابها (مارلبورو) برسالة بعث بها من (الهاغ) وجاء فيها: «**احبك في هذه الدقيقة بأكثر مما أحببتك من قبل. ويسعدني جداً أن تحضري وفقاً لما جاء في اقتراحك في رسالتك التي بعثتها اليّ، ولو أنه لن يكون باستطاعتي زيارتك ـ أو رؤيتك ـ في كثير من الأحيان. . . إذ أنني متوجه الآن الى المانيا، حيث سيكون من المحال عليك اللحاق بي. ولكن استمري في حبك لي كما أحببتني الآن، ولن يلحق بي ضرر أو أذى. لقد أعدت الى نفسي السكينة والهدوء بما تضمنته رسالتك من الرقة والوداعة، فأعدت لي حياتي، وقد كنت قبل وصول رسالتك إنساناً مختلفاً تماماً حتى انني لم اكن اهتم بما قد يحدث لي. وإنني في عجلة من امري لانجاز هذا العمل، ونقل الجيش الى المانيا بهدف ترك اسم جيد يعيش من بعدي. ولا أتمنى الآن شيئاً قدر أمنيتي بتحقيق نجاح رائع، يقترن بحياة طويلة أعيشها معك بسعادة**».

لقد كانت كل مشاغل (مارلبورو) وهمومه مركزة في تلك الفترة على قضية نقل

الجيش الى المانيا خلال فصل الشتاء، ولكن كيف له بإقناع الهولانديين حتى يسمحوا له بسحب جيشه حتى لو كان ذلك الى وادي (الموزل)؟ وكيف سيكون الأمر لو اعلمهم بعزمه على التوغل حتى - الدانوب-؟ ثم كيف سيكون موقفه هو بالذات إذا ما قام الفرنسيون بغزو الهولانديين ووجهوا تهديداً مباشراً الى مؤخرة قواته؟ مهما كان عليه الموقف، فقد اتخذ (مارلبورو) قراره، وأبلغه بلهجة حازمة للهولانديين في الأول من آذار (مارس). حيث أعلمهم أنه سيقود قواته الانكليزية الى وادي (الموزل). وأنه سيترك مع (الماريشال أوفركيرك) قوات كافية للدفاع عن الاقليم. وعلاوة على ذلك، فقد وعد (مارلبورو) الهولانديين بقيادة قواته والعودة فور ظهور احتمال قيام الافرنسيين بالهجوم (تحت قيادة فيللروا). وكان الهولانديون لا يزالون يعتقدون بأن الوقت لا يزال مبكراً جداً للقيام بمثل هذا المسير. إذ ان فصل الشتاء لا يزال في قسوته والعشب لا يزال غضاً. وعلى كل، فقد استطاع (مارلبورو) اقناع الحلفاء بفائدة تحركه فأظهروا حماستهم للتعاون معه.

وطالما أنه استطاع اقناعهم بتحركه الى وادي (الموزل)، فلم يعد هناك ما يعيقه عن تطوير تحركه للوصول الى (الدانوب) غير أنه أبقى نواياه بعزمه على التوجه الى الدانوب في صدره، ولم يطلع عليها أحداً إلا زوجته وبعض المقربين جداً ممن يستطيع ائتمانهم على اسراره، ويثق بقدرتهم على حفظها. وكان على (مارلبورو) أن يصطحب في مسيرته القوات التي تتقاضى رواتبها من الخزانة الانكليزية فقط. وكانت هذه القوات تضم «٢١ ألف مقاتل منظمين في ٣١ فوجاً و ٦٦ كوكبة من الفرسان (اسكادرون) وكان نصف قوة المشاة وثلث قوة الفرسان فقط من الانكليز»[٥٢] على أن تنضم اليه القوات

(٥٢) جاء في كتاب (حملات مارلبورو) لمؤلفه (بيكيت) ص ٢٨. ان التحرك بهذه القوات قد بدأ يوم ١٩ أيار (مايو) ١٧١٤. في حين ذكر (دافيد غرين) في كتابه (بلينهايم) أن التحرك بالكتلة الرئيسية لهذه القوات قد بدأ يوم ١٢- أيار (مايو). وذكر أيضاً ان حجم القوات كان كالتالي: (لقد كانت القوات تزيد على ٤٠ ألف مقاتل، وهي منظمة في أربعين فوجاً من المشاة، وثمانين كوكبة من الفرسان) ويظهر ان الاختلاف في تقدير حجم القوات يعود الى اختلاف التاريخ بين انضمام القوات الالمانية الى (مارلبورو)، وبين تحرك (مارلبورو) قبل ذلك. وعلى كل حال فتجدر الاشارة الى أن عدد افراد الفوج في هذه الفترة كان (٧٠٠) مقاتل. أما الكوكبة فكان عدد افراد فرسانها (١٥٠) فارساً هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فلم يكن عدد افراد الفوج يزيدون على (٥٠٠) جندي مشاة و (١٢٠) فارساً في كوكبة الفرسان. وكان التحرك قد نظم للمسير بالارتال. وكانت المدفعية تسير في الوسط، أما الامدادات ففي المؤخرة، وقد اصطحب (مارلبورو) رتلاً ضخماً من عربات الامداد بلغ عددها (١٧٠٠) عربة خصص لجرها (٥) آلاف حصان.

المسير إلى الدانوب

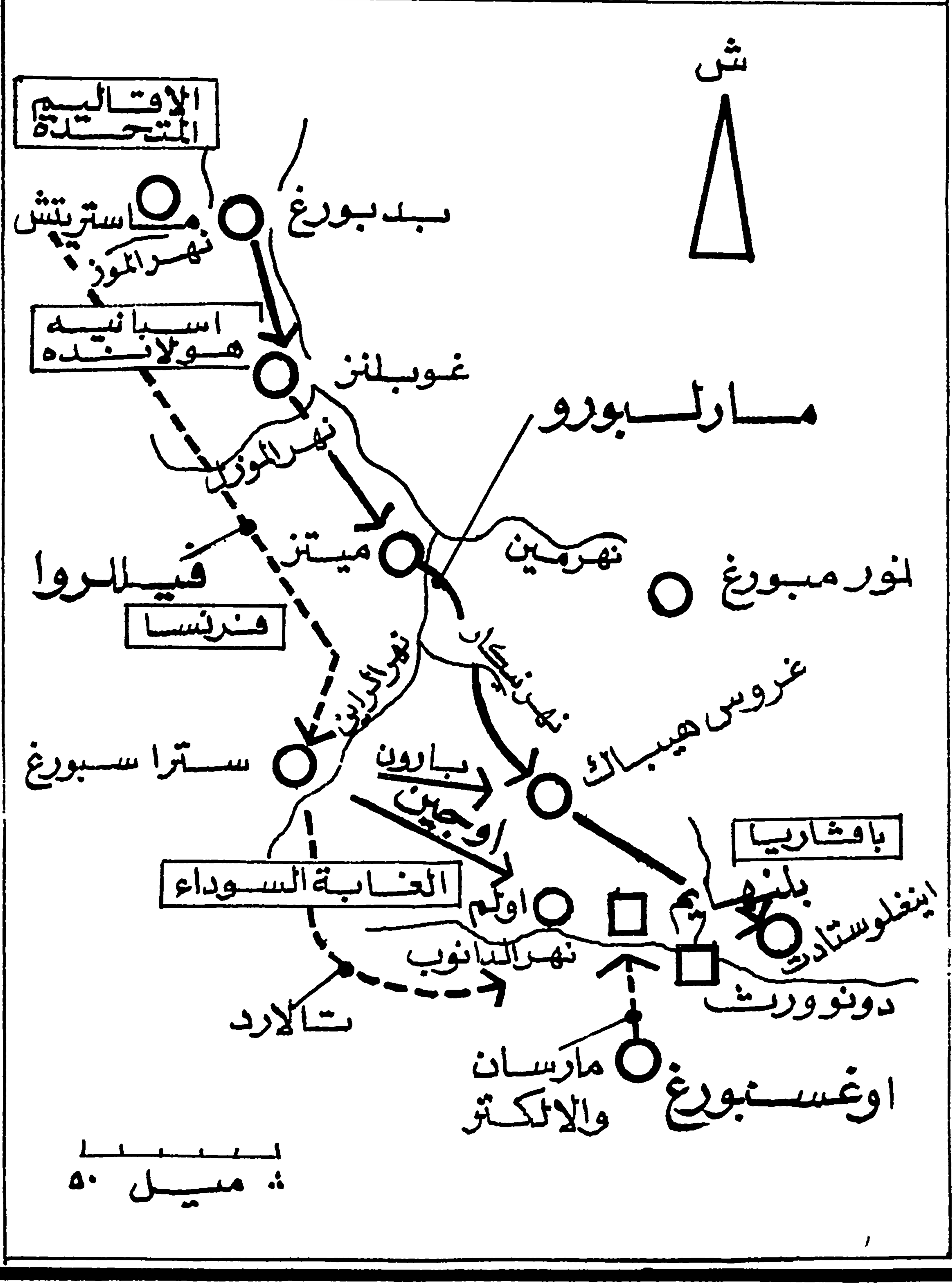

الالمانية خلال مسيرته نحو الدانوب.

كان المخطط الافرنسي لحملة سنة (١٧٠٤) يتضمن تمركز (٣٠٠) فوج من المشاة و (١٠٠) كوكبة من الفرسان في المواقع الدفاعية المنتشرة في (الفلاندر) بقيادة الماريشال (فيللروا)، في حين كان على الماريشال (تالارد) قيادة (٣٠) فوجاً من المشاة و (١٠٠) كوكبة من الفرسان لغزو ألمانيا. وكان على الماريشال (تالارد) أن ينضم خلال مسيرته الى الجيش الافرنسي المكون من (٥٠) فوجاً من أفواج المشاة و (٦٠) كوكبة من الفرسان كان يتولى قيادتهم الماريشال (مارسان)، بالاضافة الى الجيش (البافاري) الذي كان يضم (٣٥) فوجاً من المشاة و (٤٥) كوكبة من الفرسان. وعند ذلك يصبح باستطاعة هذه القوات التوجه الى (فيينا) حيث تكون هذه القوات قد بلغت (١١٥) فوجاً من المشاة و (٢٠٥) كوكبة من الفرسان، أي متفوقة بمعدل الضعف تقريباً على قوات الحلفاء التي يقودها (مارلبورو). أما في (ايطاليا) فكان على (الماريشال فاندوم) قيادة القوات الامبراطورية للتقدم في (سافوي). وكانت المشكلة الرئيسية التي تواجه (تالارد) هي دفع قواته الى (بافاريا) عبر (الغابة السوداء) والتي كان يعمل على حراستها (حاكم بادن۔ المارغراف). وفي الحقيقة، فقد كان (تالارد) قادراً على ارسال (١٠) آلاف رجل من خلال (بافاريا) للوصول الى (بادن) في شهر ايار (مايو) ١٧٠٤ من اجل الاتصال بجيش (مارسان). غير أن العدد الاكبر من أفراد هذه الفرقة تشتت خلال الطريق وهرب من الخدمة. والتقطت القوات الافرنسية بعض هؤلاء الفارين، وعلموا منهم بأنهم عرفوا بتحرك القوات المعادية عبر (الموزل). ووقفت القيادة الفرنسية حائرة لا تعرف الى أين سيصل (مارلبورو) في تحركه؟ وهل هو يقصد (ستراسبورغ) أم سيتوجه الى (اللاندو)؟ واعتقد (فيللروا) للوهلة الاولى بأن (مارلبورو) لن يقوم بعبور الراين، إذ انه سيعرض خطوط إمداداته للخطر وذلك بسبب طول هذه الخطوط، وعلاوة على ذلك، فقد كان على (مارلبورو) اختراق جبهة جيشين افرنسيين. واستدعي (فيللروا) الى قصر (فرساي) حيث طرح الموقف أمام الملك (لويس الرابع عشر) الذي اتخذ قراره على الفور وأبلغه للماريشال (فيللروا): **«اذا سار ـ مارلبورو ـ الى الموزل، فيجب عليك المسير أيضاً الى الموزل»**.

قدر (مارلبورو) موقفه، فوجد أن الفرنسيين سيحشدون المزيد من قواتهم مع كل تقدم له نحو الراين وذلك لمنعه من العبور، عوضاً عن قيامهم أنفسهم بالعبور للانضمام الى (حليفهم الألماني) والى (جيش مارسان). وعلى هذا فإن باستطاعته قيادة حملته للوصول الى وادي (نيكار) بدون أن يثير الشكوك حول اهداف تحركه الحقيقية. وعند الوصول الى هناك، فإن باستطاعته الاختفاء عن مراقبة الافرنسيين وقواتهم المدافعة عن الراين، ليعاود الظهور من جديد على الدانوب، حيث لا يتوقع احد ظهوره هناك.

وغادر (مارلبورو) مدينة (بيدبورغ) وعبر نهر (الماس) عند (يرموند) يوم ١٩ أيار (مايو) ١٧٠٤ م، وسار (فيللروا) في اثره. وفي يوم (٢٣) أيار (مايو) وصل (بون) ثم وصل (مينز) يوم ٢٩ أيار (مايو). وفي اليوم الأول من حزيران (يونيو) لوحظ أن الافرنسيين المرتبكين والمضطربين يحاولون إقامة جسر على (الراين) عند (فيليسبورغ)[٥٣] غير أن (مارلبورو) غير اتجاهه بصورة مباغتة، واتجه الى الدانوب حيث وصل الى نهر (نيكار)[٥٤] يوم ٣ حزيران (يونيو). حيث تم تحقيق الاتصال مع امير سافوي (الأمير اوجين) يوم ١٠ حزيران (يونيو) في (موندلشيم). ولم يلبث (امير بادن-المارغراف) أن انضم اليهما في (غروس هيباك) يوم ١٤ حزيران (يونيو). واستغرقت مرحلة المسير الشاقة هذه مدة خمسة اسابيع امكن خلالها تجاوز مسافة مائتين وخمسين ميلاً. وقد كان هذا الانجاز عملاً رائعاً يؤكد الكفاءة الادارية العالية التي تميز بها (مارلبورو). وقد لا تكون هذه المسيرة في المانيا خلال فترة اعتدال المناخ الصيفي اكثر صعوبة من تلك المسيرة الشاقة فوق الأراضي الاسبانية، أو حتى بدرجة الصعوبة التي تعرضت لها قوات (تالارد) أثناء مسيرتها عبر (الغابة السوداء). وتعتبر مسافة (٢٥٠) ميلاً هي مسافة مناسبة. غير أن ما تميزت به مسيرة (مارلبورو) هي تلك الاستعدادات المسبقة بداية من تنظيم المستودعات وتأمين الامدادات، ونهاية بتنظيم مخيمات الاقامة خلال مرحلة المسير. ولقد سهل ذلك كثيراً من مهمة (مارلبورو) الذي فرض على قادته

---

(٥٣) فيليبسبورغ: (PHILIPPSBOURG) مدينة المانية في (باد) قريبة من نهر الراين. وقد تعرضت المدينة للحصار مرات عديدة (كان ذلك سنة ١٦٧٥ وفي سنة ١٦٨٨ وفي سنة ١٧٣٤ م).

(٥٤) نيكار (NECKAR) نهر الماني يمر من توينجن وهيلبرن وهيدلبرغ ثم يصب في الراين.

احترام السكان وعدم التعرض لهم، ودفع ثمن كل ما يتم شراؤه فوراً (بالعملة الذهبية) وفرض على جنوده تدابير انضباطية صارمة، فأقام بذلك أفضل العلاقات مع سكان البلاد الذين اخذوا بدورهم في تقديم كل مساعدة (لجيش مارلبورو)(٥٥).

ومن الشواهد التاريخية المعروفة عن حسن التنظيم الاداري (لمارلبورو) هو أنه يوم وصوله الى (غوبلنز) في ٢٦ أيار (مايو)، كان الإمداد الاداري مؤمناً ومتوافراً للجميع. وعندما انضمت اليه قوات البافاريين البالغة (٥) آلاف مقاتل ثم انضمت اليه القوات البروسية، لم يحدث أي اضطراب في تأمين الامدادات. ليس ذلك فحسب، بل ان (مارلبورو) أعد مسبقاً المتطلبات الضرورية للتحرك في كل مرحلة من المراحل. فعندما عبرت القوات نهر الموزل، ثم عبرت نهر الراين يوم ٢٧ أيار (مايو) كان هناك جسران من القوارب قد اعدا مسبقاً ونظما لتأمين عملية العبور. وفي (مينز) أقام (مارلبورو) جسراً حتى تعبر عليه القوات الألمانية عند انضمامها اليه. وقد أذهل ذلك الحاكم الألماني (الالكتر)، وزاد من حيرته رؤيته للجنود (الانكليز)وهم يتميزون بأناقة في ثيابهم مما هو غير معهود في ميادين القتال. وهناك تقرير ابرز هذه النقطة بالذات وجاء فيه: «**وعندما وصل سموه لاستعراض فوج حرس صاحبة الجلالة، والمكون من (٧٠٠) رجل، اخذ سموه في تأمل كل فرد من الافراد، من قمة رأسه وحتى أخمص قدمه، ولم تقف ملاحظاته عند حدود نظامهم الرائع ونظافة ثيابهم، وإنما تجاوزتها الى ملاحظة نظافة أسلحتهم، وعندما انتهى من استعراض القوات قال بلهجة فرنسية: «بامكان هؤلاء السادة يقيناً القيام بحفل راقص او الاشتراك فيه- بمثل هذه الثياب الجميلة-**». أما فيما يتعلق بطريقة التحرك فهناك يوميات النقيب- كابتن- (روبرت باركر) والتي جاء في واحدة منها:

---

(٥٥) جاء في كتاب (بلينهايم) - دافيد غرين- ص ٣٠ ما يلي: «كانت كل الجيوش تقيم بعيداً عن المدن عندما تعمل في اوروبا- حتى لا تسيء الى العلاقات مع السكان سواء كان هؤلاء من معسكر الاصدقاء أو الأعداء. وجاء (مارلبورو) فغير هذه القاعدة. وكلف قائد كل سرية بابلاغ كل جندي من جنوده بأن حكم الاعدام هو العقاب لكل جندي يسرق من الفلاحين ولو بيضة واحدة. وشكلت محكمة عسكرية ميدانية لإصدار الاحكام وتنفيذها فوراً. ولم تحدث أية سرقة باستثناء خطأ ارتكبه اثنان من الجنود اعتقدا بأن ما يحملانه من احدى المزارع قد خصص لقوتهم. وتمت إعادة المواد فوراً مع الاعتذار لصاحب المزرعة».

« عندما تجاوزنا نهر الراين، كان الدوق- مارلبورو- يسبقنا بمسيرة يوم لاستطلاع الطرق ومعه بعض الفرسان، تاركاً المشاة وبقية القوة تحت قيادة اخيه الجنرال تشرشل. وكنا نسير عادة ثلاثة أيام أو أربعة ايام متتالية قبل أن نتوقف يوماً واحداً للاستراحة. وكنا نبدأ مسيرنا اليومي عادة في الساعة الثالثة صباحاً حتى نصل بعد أربعة مراحل في الساعة التاسعة الى المكان المحدد للتوقف. ونظراً لأننا كنا نسير في بلاد صديقة، فقد تم تعيين عدد من المفوضين مهمتهم تأمين متطلبات القوات من الأطعمة، وتأمين العلف للخيول، ونقل تلك المتطلبات الى المنطقة المحددة للتوقف قبل وصول القوات اليها، وليس على الجنود بعد ذلك إلا نصب خيامهم، والاهتمام بنظافتهم والاستراحة، ولم يحدث من قبل بالتأكيد ظهور مثل هذا التنظيم الذي يضمن للقوات وخيولها الراحة التامة»(*)

بذلك ، انتهت المرحلة الاولى من التحرك بنجاح . وحقق (مارلبورو) هدفه وهو تحقيق الاتصال مع (الامير اوجين) الذي أصبح صديقاً مخلصاً (لمارلبورو) منذ اللقاء الأول. غير أن وصول (امير بادن) قد أثار (مارلبورو والامير اوجين) في وقت واحد، ، وذلك بسبب تصميم امير (بادن) غلى ممارسة حقه- النظري- في القيادة، مما دفع (الامير اوجين) الى كتابة تقرير فوري ارسله مباشرة الى الامبراطور (ليوبولد). وعلى كل حال فقد تم الاتفاق بين القادة الثلاثة على ان يتوجه (اوجين) نحو الراين بهدف مجابهة احتمال تحرك القائدين الافرنسيين (تالارد وفيللروا). في حين يقوم (مارلبورو وبادن) بغزو (بافاريا) لارغام حاكمها (الالكتر) على التخلي عن ولائه للملك الافرنسي (لويس الرابع عشر). وغادر (الامير اوجين) معسكر (مارلبورو وبادن) في نهاية شهر حزيران (يونيو) ومعه (٣٠) ألف مقاتل. في حين بقي مع (مارلبورو وبادن) جيش يضم (٧٠) ألف مقاتل في منطقة الدانوب. وفي الوقت ذاته، لم يبق الافرنسيون في حالة من العطالة بعد أن تأكد لهم- منذ منتصف حزيران (يونيو) - بأن (مارلبورو) قد وضع الهجوم على (بافاريا) هدفاً له. وفي يوم (٢٣) حزيران (يونيو) . أصدر الملك لويس أوامره الى (تالارد) بالتوجه ومعه (٣٠) ألف مقاتل لدعم (مارسان) و (الالكتر) اللذين كانا خلال

(*) (بلينهايم- دافيد غرين- ص ٢٨- ٢٩).

هذه الفترة في (اولم) ومعها (٦٠) ألف مقاتل. وكان على (فيللروا) واجب تغطية اقليم الالزاس ومعه اكثر من (٦٠) ألف مقاتل. أما المارشال (كوايني) فكان عليه قيادة الكتائب السويسرية التابعة للملك الافرنسي، والتوجه بها الى (استراسبورغ).

كان الهدف الاول الذي وضعه (مارلبورو) ووافق عليه (الامير اوجين) وأيده بحماسة فاترة (الامير بادن) هو الوصول الى (دونوورث) حيث يتصل نهر (الدانوب) بنهر (فيرنيتز)، فإذا ما أمكن (لمارلبورو) الاستيلاء على (القلعة) فإنه يكتسب رأس جسر له أهميته الكبرى. ويصبح بإمكانه فتح خطوط مواصلاته لتعمل بكل طاقتها على امتداد نهر (مين) وعبر (نورمبرغ) وحتى شمال (دونوورث). وكان (الالكتر) بطيئاً في تحركه، ولم يدرك الخطر المحدق به، ولهذا فإنه لم يعمل على ارسال قوة من (١٥) ألف مقاتل فقط لحماية هذا الاقليم، إلا في (٣٠) حزيران (يونيو). وقد كان احتمال قيام قوات الحلفاء بالعبور من هنا متوقعاً من قبل (المارشال فيلار). غير أن انسحاب (فيلار) بعد نزاعه مع (الالكتر الالماني) بسبب رفض هذا السير الى (فيينا)، واستبدال (فيلار) (بمارسان) قد جاء في غير مصلحة الافرنسيين- على نحو ما سبقت الاشارة اليه-

ب- شلنبرغ- دونوورث

٢- تموز (يوليو) ١٧٠٤

كانت تلال (شلنبرغ) ترتفع بأكثر من ثلاثمائة قدم عن القلعة القديمة في مدينة (دونوورث). ولهذا فقد كانت تلك التلال تتحكم بالقلعة وتسيطر عليها. وكانت الغابات الكثيفة تغطي تلك التلال من جهة الشمال. وكانت هناك ثغرة تمتد لمسافة ألف ياردة تفصل ما بين جدران البلدة وبين الغابة وكانت هذه الثغرة بدورها مقسمة بواسطة (قلعة غوستافوس) التي كانت تترك مسافة تتراوح بين (٣٠٠- ٤٠٠ م) ما بين (غابات دونوورث والقلعة). وكان القائد الالماني (داركو) الذي أرسله الحاكم الالماني (الالكتر) للدفاع عن (شلنبرغ) مشغولاً بتنظيم الدفاع عن هذه الثغرة وتأمين حمايتها بواسطة القوات التي أحضرها معه لهذه المهمة، والمكونة من (١٤) ألف جندي مشاة (٥ أفواج افرنسية و ١٦ فوجاً بافارياً) بالاضافة الى ٩- ١٥ كوكبة فرسان و ١٦ مدفعاً. وكان

شلنبرغ - دونوورث
٢ تموز (يوليو) ١٧٠٤

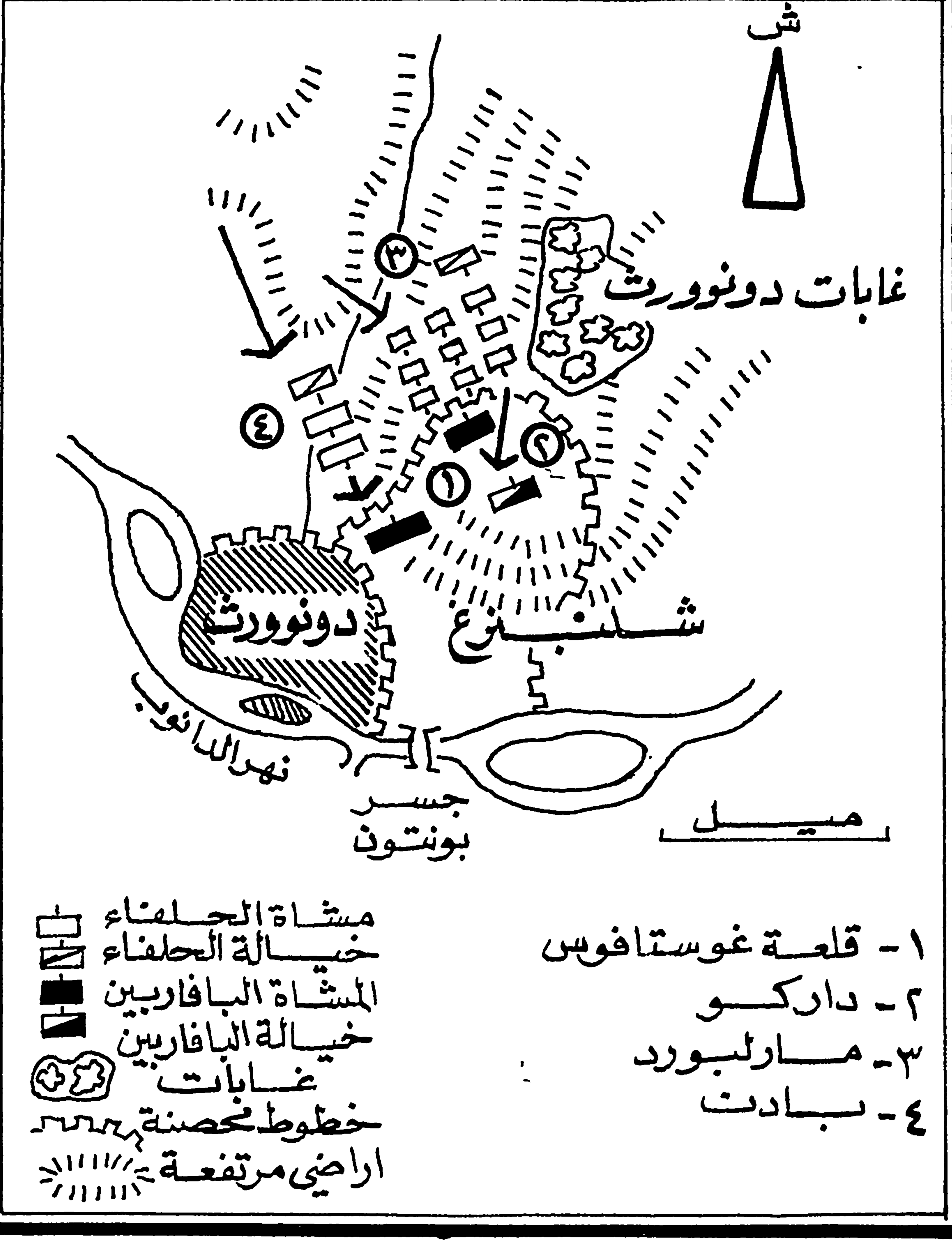

(الكونت داركو) على ثقة تامة يوم ٢ تموز (يوليو) بان (مارلبورو) لا يزال بعيداً مسافة (١٥) ميلاً على الأقل. وعلى هذا، فإن ظهور (مارلبورو) في الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم، لم يستثر اهتمام القوات الافرنسية التي كانت مشغولة على ما يظهر بإعداد المعسكر وتنظيمه. وقرر (مارلبورو) الاستيلاء على (شلنبرغ) في يوم ٢ تموز (يوليو) ذاته. وذلك قبل أن يتمكن (الالكتر الالماني) المقيم في (اولم) من ارسال النجدات لدعم القوات التي كان يقودها (الكونت داركو). وكان (مارلبورو) قد عمل في اليوم السابق على انتقاء (١٣٠) رجلاً من كل فوج من أفواجه، فتجمع لديه (٦) آلاف رجل نظمهم في قوة واحدة واجبها اقتحام المواقع المحصنة وتعاونها قوة استطلاع ومهندسين و (٣٥) كوكبة من الفرسان و (٣) افواج مدفعية تم سحبها من جيش (بادن). ولقد تقدمت هذه القوة فسبقت الكتلة الرئيسية للجيش، ووصلت في الصباح المبكر الى (فيرنيتز)، فأرسلت (٣) عوامات في الساعة (٨٠٠) لتكوين جسر من اجل عبور النهر. ولم يكن (الكونت داركو) يتوقع الهجوم، وكان الوقت متأخراً لاتخاذ أي اجراء عندما بدأت قوات الحلفاء في فترة بعد الظهر بالاقتراب من خطوطه الدفاعية. وفي هذه الفترة كانت قوة الاقتحام (التي نظمها مارلبورو) قد أصبحت مدعمة بالفرسان وبقوة (١٦) فوجاً من المشاة. ووصلت لمسافة (٤٠٠) ياردة من الثغرة. في حين كان (بادن) يقود جيشه في اتجاه الخطوط الدفاعية المنظمة الى الجنوب من قلعة (غوستافوس)ـ انظر المخطط المرفقـ

كان طريق الاقتراب الصاعد الى (شلنبرغ) معرضاً لنيران المدفعية التي لم تتوقف. بحيث ان قوات الهجوم التي كان يقودها الفريق (غور) لم تصل الى الخطوط الدفاعية حتى الساعة (١٨٠٠) ، وكان فوج الحرس الأول وفوج المشاة الأول وفوج المشاة (٢٣) وفوج المشاة (٣٧) تعمل كمقدمة لقوات الهجوم. وقد استطاعت الحامية التي يقودها الكونت (داركو) ان تحبط الهجوم الأول، وترد القوات على اعقابها، وتقتل قائد هجوم النسق الاول (الفريق غور). وكان جنود انقضاض النسق الأول يحملون معهم حزماً من الأخشاب لإقامة جسور فوق الخنادق، غير أن هذه الحزم تطايرت عبر الاخاديد عندما اندحر جند المشاة، ولم يتمكنوا من استخدامها لعبور الخنادق التي لم تكن بعيدة عنهم بأكثر من خمسين ياردة. وقام الجنود (البافاريون) بهجوم مضاد، غير أن

(فوج الحرس) تمكن من إيقافهم. وتبع ذلك قيام قوات (مارلبورو) بهجوم جديد تحت قيادة (الفريق الكونت ستيروم) غير أن نصيب هذا الهجوم من الفشل كان كنصيب سابقه. وكان مصير قائده مماثلاً لمصير قائد الهجوم الأول. اذ لقي (الكونت ستيروم) مصرعه فوق أرض المعركة.

في هذا الوقت ذاته، وفي الساعة (١٩٠٠) على وجه التحديد، كان (بادن) قد بدأ باختراق الخطوط الدفاعية الرقيقة في الجنوب ، وأرسل (مارلبورو) قوة من (٨) أفواج لمساندته ودعمه، وقتل حصان (بادن) من تحته، غير أن جنود مشاته كانوا قد اخترقوا الثغرة، وشرعوا في تمزيق الحامية المدافعة عنها، وردوا (فرسان الكونت داركو) الذين قاموا بهجوم مضاد لسد الثغرة. وقام (بادن) بقيادة قواته نحو (جناح الحامية) المتمركزة في مواجهة (مارلبورو) الذي كان قد دفع بقواته في الساعة (١٩١٥) للقيام بهجوم ثالث امكن له في هذه المرة اختراق المواقع الدفاعية. وكان هذا «الهجوم قد دعم بكتيبة (الدراغون) الثانية التي قامت بالانقضاض كمشاة عادية. بعد أن تركت خيولها في الخلف.

وانهارت الخطوط الدفاعية التي نظمها (الكونت داركو) واخذت افواجه في الانسحاب نحو الدانوب تطاردها قوات الفرسان بكاملها (٣٥ كتيبة). وحاولت قوات (داركو) عبور النهر بواسطة جسر، غير أن قوات الحلفاء دمرته ، فتمزقت قوات (داركو) شر ممزق. وانتهت المعركة في الساعة (١٩٣٠). وسقطت (دونوورث) في قبضة (مارلبورو) مع كل ما كانت تحتويه من مستودعات ضخمة.

كانت خسائر المعركة فادحة. فلم ينج من قوات (الكونت داركو) اكثر من (٥) آلاف رجل التحقوا بجيش الالكتر (في أولم). وخسر (مارلبورو) من قواته (١٥٠٠ قتيل) و (٤) آلاف جريح خلال (٩٠) دقيقة فقط. وكانت اصابات القوات الانكليزية ألف اصابة من أصل الخسائر السابقة. وأصبحت الروح المعنوية لقوات الحلفاء مرتفعة جداً بهذا النصر. وفي انكلترا، أظهر الحزبان (التوري والويغ) اهتمامها الكبير بحجم هذه الخسائر التي سقطت في اوروبا- واشيع بان (مارلبورو) قد أضاع جيشه.

ج- معركة بلينهايم.

١٣- آب (أغسطس) ١٧٠٤.

انسحب (الماريشال مارسان) و (الالكتر الالماني) الى (اوغسبورغ) بعد تلك الكارثة التي نزلت بقواتها في (شلنبرغ). أما (مارلبورو) و (بادن) فقد قاما باجتياح (بافاريا) واطلقا لقواتها العنان من اجل احراق المحاصيل وتدمير الاقليم تدميراً تاماً لإرغام (الالكتر الالماني) على دخول المفاوضات مع الحلفاء وفصل تحالفه مع فرنسا. وقد انتقد (الامير اوجين) هذه السياسة، لمعرفته بأن (الالكتر الالماني) يدرك تماماً موقف الحلفاء المحرومين من مدفعية الحصار، بقدر إدراكه ايضاً من اقتراب (تالارد) بقواته للانضمام اليه والى (مارسان). وقد جاءت النتائج فأكدت صحة وجهة نظر (الامير اوجين)، إذ امتنع (الالكتر الالماني) عن القتال بقدر امتناعه عن دخول المفاوضات مع الحلفاء. وأما (تالارد) فانه اخترق الغابة السوداء في يوم ١٦ تموز (يوليو) وتقدم الى (اولم) فوصلها يوم ٢٩ (تموز- يوليو) ولم يتمكن (الامير اوجين) من التصدي له أو ايقافه نظراً لما كانت عليه قواته من الضعف. وفي الوقت ذاته، صدرت الأوامر الى (الماريشال فيللروا) بقيادة قواته للحاق بالماريشال (تالارد)، غير أن (الامير اوجين) خدعه بمناوراته وتحركاته وحمله على الاعتقاد بأنه- أي أوجين- لا يزال في الراين. ونتيجة لذلك، فقد بقي (فيللروا) في (استراسبورغ) وحصل على موافقة الملك (لويس الرابع عشر) للبقاء في المراكز التي يقيم فيها.

انضم (تالارد) الى (الالكتر ومارسان) يوم ٥ آب (أغسطس) في (اوغسبورغ) وأصبحت الجيوش الثلاثة تضم اكثر من (٦٠) ألف مقاتل. وفي الوقت ذاته، استطاع (مارلبورو) اقناع (بادن) بقيادة (١٥) ألف مقاتل والتوجه بهم لحصار (اينغولستادت)[٥٦] التي كانت تبعد مسافة أربعين ميلاً. وقدر (مارلبورو) و (الامير اوجين) بأن إبعاد (بادن) عن مسرح عملياتها يساوي أكثر من (١٥) ألف مقاتل.

---

(٥٦) اينغولستادت: (INGOLSTADT) مدينة ألمانية في بافاريا العليا- على الدانوب.

وتحرك الجيش (الافرنسي- البافاري) المشترك في اتجاه الشمال، وعبر نهر الدانوب يوم (١٠) آب (أغسطس) مشكلاً بذلك تهديداً لخطوط مواصلات (مارلبورو)، ومعتقداً بأنه يستطيع ارغام قوات الحلفاء على التراجع نحو الشمال ، غير أن ذلك لم يحدث ، إذ أسرع (مارلبورو) والامير (اوجين) الى حشد قواتهما وتركيزها في (دونوورث) يوم ١١ آب (أغسطس) . وتقدم (تالارد) في هذا اليوم ذاته نحو (هوشستادت) و (بلينهايم) وأقام معسكره معتقداً بأن الحلفاء سيعملون على الانسحاب - بمجرد تقدمه - .

أمام هذا الموقف اتخذ (مارلبورو) و (الأمير اوجين) قرارهما يوم ١٢ آب (أغسطس) بالهجوم على مواقع (تالارد) اعتقاداً منهما بأنه من المحال رفع التهديد الذي تتعرض له (فيينا) ما لم يتم انزال هزيمة حاسمة بالقوات الافرنسية.

كانت المسافة الفاصلة بين الجيوش المتحاربة لا تزيد على ستة أميال. فغادرت قوات الحلفاء معسكرها في الساعة الثانية من فجر يوم ١٣ آب (أغسطس) ١٧٠٤، وفي الساعة السابعة صباحاً بوغت (الماريشال تالارد) مباغتة أذهلته وهو يرى من خلال الضباب الذي لم ينقشع بعد، تسعة ارتال من القوات وهي تتقدم نحو مواقعه.

كان (تالارد) قد احتل مواقع دفاعية حصينة نسبياً، فجناحه الأيمن يستند الى (نهر الدانوب) حيث تقع مدينة (بلينهايم)، أما جناحه الأيسر والذي كانت تتمركز عنده قوات (مارسان والالكتر) فقد كانت تغطيه التلال المكسوة بالشجيرات الصغيرة التي تنتهي عند بلدة (لوتزنجن). أما مركز قواته فكان محمياً في مواجهته بجدول (نهر نبيل) المستنقعي الذي ترتفع الأرض بعده ارتفاعاً خفيفاً مشكلة منحدراً يميل نحو الجدول. وكانت جبهة القوات بكاملها تمتد لمسافة اربعة أميال (بما في ذلك مدينتا بلينهايم واوبرغلو)- أي ميلين فقط الى الشمال الغربي- من (بلينهايم) و ١,٥ ميل حتى (لوتزنجن). وكانت مواقع هذه القوات حصينة، زاد من قوتها اعتمادها على جدران القرى (المدن) وحدائقها واسوارها. وكان مجموع قوات (مارسان وتالارد) يبلغ (٥٦) ألف مقاتل قد نظموا في (٨٠) فوجاً و (١٣٠- ١٥٠) كوكبة فرسان. بالاضافة الى (٩) أفواج و (٤) كوكبات من فرسان (الدراغون) الذين تم تحويلهم الى مشاة واسندت قيادتهم الى (المركيز دو كلير امبولت) بمهمة استخدام العربات لسد الثغرات الواقعة بين

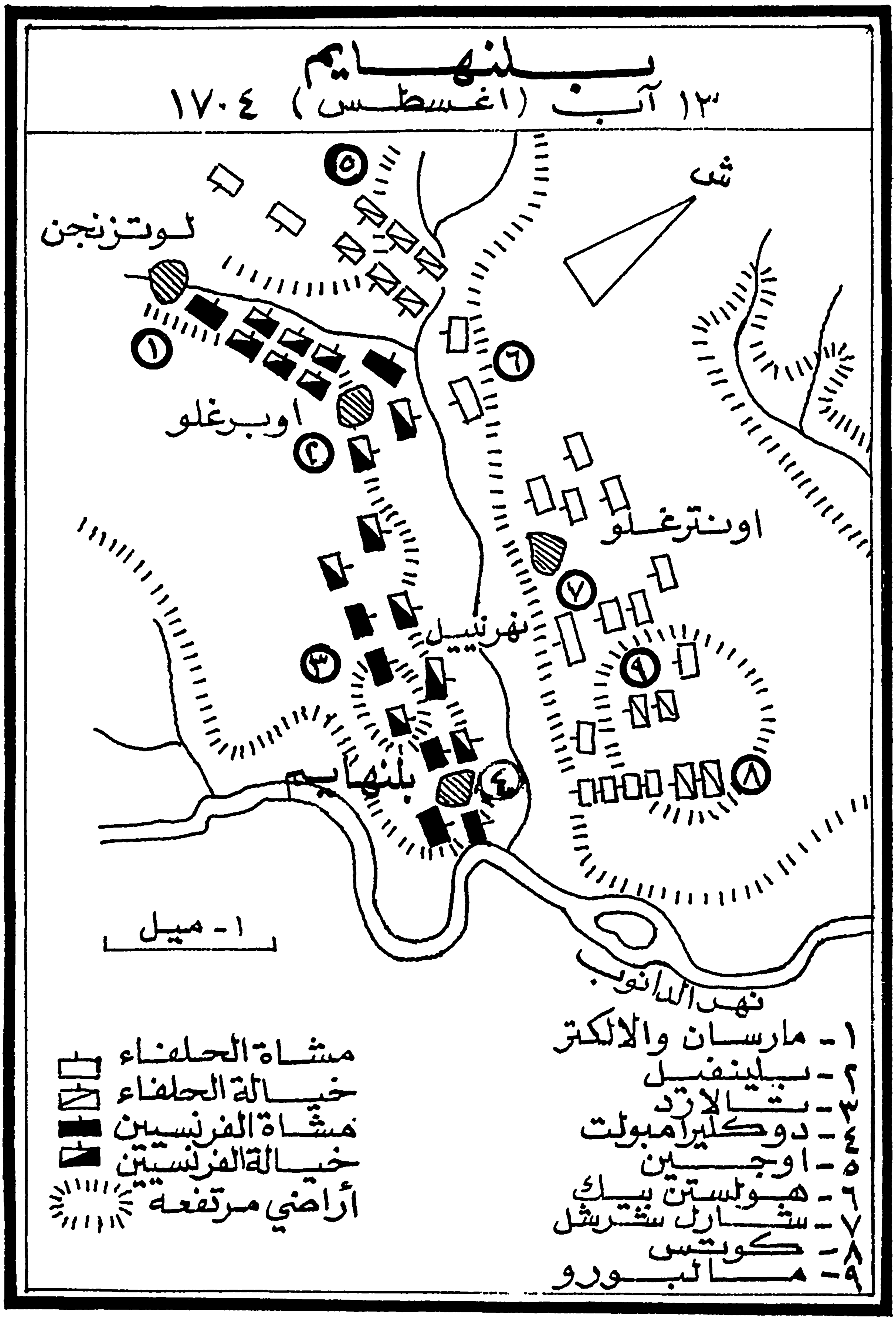
بلنهايم
١٣ آب (اغسطس) ١٧٠٤
ش
لوتزنجن
اوبرغلو
اونترغلو
نهر نبيل
بلنهايم
١ - ميل
نهر الدانوب
مشاة الحلفاء
خيالة الحلفاء
مشاة الفرنسيين
خيالة الفرنسيين
أراضي مرتفعة
١ - مارسان والالكتر
٢ - بلينفيل
٣ - تالارد
٤ - دوكليرامبولت
٥ - اوجين
٦ - هولستن بيك
٧ - شارل تشرشل
٨ - كوتس
٩ - مالبورو

المنازل (داخل بلينهايم) والتي كان يبلغ عددها (٣٠٠) منزل. وتم الاحتفاظ بقوة (١٨) فوجاً في الاحتياط، ولتأمين الدعم المباشر. وقد انتشرت هذه القوات على الأرض كالتالي: حشد (تالارد) قوة (٦٨) كوكبة فرسان و (٩) أفواج مشاة وتولى قيادتها بنفسه للدفاع عن المنطقة المكشوفة ما بين (بلينهايم واوبرغلو). وتولى (المركيز بلينفيل) مهمة الدفاع عن (اوبرغلو) ذاتها بقوة (١٤) فوجاً- بما فيها اللواء الايرلندي- وانتشرت كتلة جيش (الالكتر) الالماني من (اوبرغلو) حتى (لوتزنجن) التي كلف بالدفاع عنها- عن لوتزنجن- (الكونت داركو) ومعه (١٢) فوجاً. وكان مع (مارسان) و (الالكتر) (٦٧) كوكبة من الفرسان للعمل ما بين البلدتين. (انظر توزيع القوات على المخطط المرفق- بلينهايم)

كان أمل (تالارد) معلقاً بامكانات نجاحه في خداع جيش (مارلبورو) وحمله على عبور (نهر نييل) حيث تستطيع القوتان المتمركزتان في (بلينهايم) و (اوبرغلو) توجيه ضرباتها الى اجنحة قوات الحلفاء أثناء عبور النهر. ثم تنقض قوة الفرسان (الافرنسية) عبر المنحدر لتقضي تماماً على جيش الحلفاء الذي يقوده (مارلبورو واوجين).

لقد اعتمد (تالارد) في مخططه على تقديرات خاطئة. إذ لم تكن المواقع التي احتلها الجيش الافرنسي منيعة أو قوية الى الدرجة التي ظنها (تالارد)، كما كانت القوات الافرنسية مفتقرة الى الخبرة ومستنزفة بسبب المسيرة الشاقة التي سبقت المعركة، وكانت خيول الفرسان مريضة في معظمها، كما ان (حاجز نهر نييل) لم يكن ليبطئ من سرعة الهجوم. وكانت قوة الفرسان تبعد ايضاً عن خط المعركة باكثر من ثمانمائة ياردة. وبالاضافة الى ذلك كله، فقد كان الدفاع عن مركز الخطوط الدفاعية بقوة الفرسان و (٩) أفواج فقط من المشاة يشكل نقطة ضعف خطيرة جداً في التنظيم الدفاعي بكامله. لا سيما وأن القيادة الافرنسية كانت تخوض المعركة بجيشين منفصلين تماماً، وكانت نقطة التمفصل هي النقطة القاتلة.

كانت قوات مارلبورو (و (الامير اوجين) مكونة من (٥٢) ألف مقاتل تم تنظيمهم في (٦٦) فوجاً للمشاة و (١٦٠- ١٧٠) كوكبة للفرسان، ولم يكن لدى هذه القوة ما يدعمها إلا (٥٢) مدفعاً (في حين كان لدى - تالارد- ٩٠ مدفعاً). وقد لاحظ

(مارلبورو)منذ البداية مركز الضعف في التنظيم الدفاعي، فصمم على وضع المخطط الذي يسمح له بتطوير المعركة وذلك بالهجوم على امتداد الجبهة، وتنفيذاً لهذا المخطط، وحتى يستطيع (مارلبورو) وخز (الافرنسيين) في مركز قوتهم- لا في نقطة ضعفهم- مما يسمح له بالفرصة للهجوم عبر نهر (نبيل) قام (الأمير اوجين) بقيادة قوة من (١٦) ألف مقاتل (١٣ فوجاً للمشاة و ٧٤ كوكبة للفرسان ثلثاهم من البروسيين والثلث الباقي من الدانماركيين)، وتوجه بهم نحو الجناح الأيمن للافرنسيين.

أما (مارلبورو) فقد عمل على نشر بقية القوة (المكونة من ٣٦ ألف رجل) في مواجهة (نهر نبيل). وكان يقف في مواجهة (الأمير أوجين) نحو من (٢٣) ألف رجل من الافرنسيين والبافاريين، في حين كانت بقية القوة (٣٢) ألف رجل تقريباً تنتشر في مواجهة (مارلبورو). وصمم هذا على خوض المعركة مباشرة والهجوم من الحركة بدون أي توقف، فوصل جنوده الى (نهر نبيل) في الساعة (١٠٠٠) العاشرة صباحاً. وفي هذه الفترة، كان تقدم (الامير اوجين) قد توقف بسبب صعوبة الأرض بحيث انه لم يكن قادراً على الاستعداد للهجوم قبل الساعة (١٢٫٣٠)، وفي هذه الفترة كان (تالارد) قد أفاق من ذهول الصدمة المباغتة، فأخذ في توجيه نيران مدفعيته ضد مدفعية (مارلبورو)، وأثناء تبادل القصف المدفعي، نجح (مارلبورو) في إقامة جسر فوق نهر (نبيل) بالاضافة الى خمسة جسور تم صنعها من الأطواف (الزوارق).

قام (اللورد كلوتس) في الساعة (١٢٫٣٠) بقيادة قوة من (١٦ فوجاً) نظمها على أربعة خطوط (أنساق) وهاجم بها (بلينهايم) عند أقصى الجناح الأيمن لتنظيم الافرنسيين الدفاعي. وكان النسق الأول من قوات (كوتس) يعمل بقيادة (اللواء رو) ويضم لواء الحرس الأول وافواج المشاة (الأول) و (الخامس عشر) و (الواحد والعشرين) و (الثالث والعشرين) و (الرابع والعشرين). وقد نظم اللواء (رو) تقدمه على أربعة أنساق حتى يسمح لقواته باستخدام نيران بواردها دفعة واحدة. وأعطى أوامره بعدم فتح النيران إلا بعد أن يلمس بسيفه حاجز السياج عند الخط الدفاعي للافرنسيين. وفشل انقضاض النسق الأول وقتل قائده (الجنرال رو). وقامت ثلاث كوكبات من فرسان الدرك (الجندرمة) الافرنسيين بهجوم مضاد على النسق الأول أثناء تراجعه، واستولت على علم

(الفوج ٢١). غير أن (كوتس) كان قد بدأ في هذه اللحظة بقيادة النسق الثاني للهجوم (بقوات لواء هولزن) فاستعاد علم (الفوج ٢١) وضم هجوم النسق الثاني اليه بقية قوات النسق الأول علاوة على لواء مشاة الفريق (فرغسون) وافواج المشاة (الأول والثامن والسادس عشر والسادس والعشرين)، غير أن هجوم هذا النسق قد فشل بدوره، أيضاً، ولم يتمكن من التوغل في عمق الدفاعات الافرنسية. وهنا قرر (دوكلير امبولت) زج قوة (٢٧) فوجاً بكاملها في القرية (بلينهايم) والتي كانت تضم (١٢) ألف مقاتل. وفي هذه الاثناء كان (كوتس) يستعد لقيادة (اللواء الهانوفري) وهو آخر قوة بقيت لديه، وذلك في الساعة (١٢٫٣٠). غير أن أمراً وصله من (مارلبورو) في هذه اللحظة، يطلب اليه التوقف، ويعلمه أنه قد حقق هدفه بازعاج الافرنسيين على هذا الجناح. وأن (١٦) فوجاً للحلفاء هي قوة كافية لمواجهة (٢٧) فوجاً افرنسياً وتثبيتها. وفي هذه الفترة ذاتها كانت بقية كتلة القوة الرئيسية التي تولى قيادتها شقيق (مارلبورو)- اللورد شارل تشرشل- قد اخذت في التعامل مع (نهر نبيل)، وفي منتصف النهار تقريباً (الساعة ١٢٫٠٠) دفع (تالارد) قوة من (٨) كوكبات من فرسان الدرك (الجندرمة) لضرب الجناح الأيسر لقوات (تشرشل)، غير أن قوة من (٥) كوكبات انكليزية من (فرسان الدراغون) نجحت في صد هجوم فرسان الدرك الافرنسيين، وتمكنت من احباطه. كما تمكنت بعض كوكبات فرسان (الهانوفريين- والداناركيين) من احباط هجوم آخر قامت به قوة صغيرة من الفرسان الافرنسيين). ويظهر أن تطورات المعركة حتى الآن لم تكن لمصلحة الحلفاء، لا سيما وأن (الأمير أوجين) كان يخوض صراعاً مريراً ضد قوات (مارسان والالكتر) وقد نجح هذان في احباط هجومين على التوالي قام بهما (اوجين) ضد مواقعهما. وهنا تولى الامير (هولستن بيك) قيادة أحد عشر فوجاً هانوفرياً للهجوم على (بلينفيل) في بلدة (اوبرغلو) ولكن القوات الافرنسية- ومعها اللواء الايرلندي- صدت هذا الهجوم وأسرت (الامير هولستن بيك) الذي أصيب بجراح مميتة. وكان ذلك يعني أنه أصبح باستطاعة (مارسان) دفع خيالته (فرسانه) عبر الثغرة نحو الجناح الايمن لمشاة (مارلبورو) الذين كانوا يخوضون صراعاً مريراً عند (نهر نبيل). ولهذا قام (مارلبورو) بقيادة ثلاثة أفواج من (الهانوفريين) بنفسه لرد (الايرلنديين) على اعقابهم واحباط هجومهم. وفي الوقت ذاته، أرسل طلباً عاجلاً الى (الامير اوجين) لارسال احتياط الخيالة الثقيلة (لواء

كويراسييه الذي يقوده فوغر). وعلى الرغم من الموقف اليائس الذي كان يتعرض له (الامير اوجين) فقد أرسل (فوغر) على الفور. فوصل في الساعة (١٤,١٥) أي في ذات الوقت الذي كان فيه (مارسان) يقوم بسحب خيالته (فرسانه) من (اوبرغلو) وما يجاورها. وفي الساعة (١٥,٠٠) تمت عملية اخراج (بلينفيل) من (اوبرغلو). وباستيلاء قوات الحلفاء على البلدتين، زال الخطر عن (مارلبورو) وأصبح باستطاعته العمل بحرية في مركز ثقل الهجوم.

أعقبت ذلك فترة من الهدوء النسبي- هدوء ما قبل العاصفة- حيث انصرف قادة الطرفين المتصارعين لاعادة تنظيم قواتها. وقاد (مارلبورو) فرسانه ومشاته عبر (نهر نيبل). وفي الساعة (١٦,٣٠) كان الخط (النسق) المتقدم لقوات (مارلبورو) يزحف الى الامام وهو يضم (٢٣) فوجاً من المشاة و (٨٠) كوكبة من الفرسان علاوة على مدفعية الدعم. وفي هذه الفترة لم يكن مع (تالارد) اكثر من (٩) أفواج من المشاة و (٦٠) كوكبة من الفرسان تقف وراء النهر. وكان الامير (اوجين) قد زج الوحدات الدنماركية عند الجناح الايمن حيث انتقل الصراع الى (لوتزنجن). ولهذا رفض (مارسان) ارسال أي دعم الى (تالارد) الذي كان أحوج ما يكون لهذا الدعم من اجل مجابهة المأزق الذي يتعرض له. وزج (تالارد) بقوة فرسانه في المعركة لتخوض صراعاً مريراً ضد القوات المتفوقة للحلفاء، وقد استمر هذا الصراع لمدة ساعة من الزمن. وانتهى (مارلبورو) من إعادة تنظيم قوة فرسانه في الساعة (١٧,٣٠) وأمرها بالقيام بانقضاض جديد. وتطايرت كوكبات الفرسان الافرنسيين. كما تمزقت افواج المشاة التسعة الافرنسية، وتعرض معظمها للدمار والفناء وهي في مواقعها.

حاولت قوة من الفرسان الافرنسيين (تم تقديرها بثلاثين كوكبة) الانسحاب نحو نهر (الدانوب) غير أن فرسان (مارلبورو) من الانكليز اسرعت للمطاردة ومعها الفرسان البروسيين، وأمكن تمزيق معظم قوة الفرسان الافرنسية. وفي الساعة (١٨,٠٠) وعلى الرغم من احباط الهجوم الثالث الذي شنه (الاميراوجين)،غير أن (مارسان) و (الالكتر) أصبحا على قناعة تامة مما انتهى اليه موقف قواتها، وعرفا مبلغ الخطر الذي بات محدقاً بهما، فأخذا بالانسحاب بسرعة وبنظام تام، ولم يبق الا تصفية الحامية المدافعة عن (بلينهايم) بقيادة (دو كلير امبولت)

توجه (تالارد) بما لديه من قوة الى (بلينهايم) التي باتت محاصرة، غير أنه وقع في أسر (الحلفاء) ولم يتمكن من الوصول الى هدفه. أما (دو كلير امبولت) فقد ابتلعته مياه (الدانوب) بعد أن هرب من ميدان المعركة.

ولكن المقاومة استمرت في (بلينهايم) على الرغم من استخذاء القادة وتخاذلهم، وعلى الرغم أيضاً من الحصار الذي احكم على البلدة (منذ الساعة ١٩٫٠٠) ولم تتوقف المقاومة الا في الساعة (٢١٫٠٠) حيث استطاع (اللورد اوركني) اقناع الحامية بالاستسلام. وقام افراد الكتيبة (النافارية) وهم في حالة يائسة باحراق علمهم حتى لا يقع في الأسر.

بلغت خسائر الحلفاء (٤٥٠٠) قتيلاً ـ منهم (٦٧٠) انكليزياً ـ بالاضافة الى (٧٥٠٠) جريحاً ـ منهم (١٥٠٠) جريحاً انكليزياً ـ وخسر الافرنسيون (١٠ ـ ١٥) ألف قتيل وزاد عدد جرحاهم على مثل هذا العدد، علاوة على وقوع (٢٤) ألف أسير في قبضة الحلفاء، بحيث بلغ المجموع الكامل لخسارة الافرنسيين (٣٨) ألف مقاتل تقريباً. وتبع ذلك سقوط (بافاريا) بسرعة في قبضة الحلفاء، فخرجت بذلك من الحرب، وأرغم حاكمها (الالكتر) على مغادرة الاقليم، وفي الوقت ذاته ارتفع الخطر الذي كان يتهدد (فيينا) باستمرار، ولم تلبث الثورة (الهنغارية) أن أخمدت بعد فترة قصيرة. وكانت تلك هي ابرز النتائج الاستراتيجية التي تحققت بانتصار الحلفاء في (بلينهايم). واكتسب (مارلبورو) قدراً من الشهرة يتناسب ـ أو يزيد ـ على تلك الثقة التي أولاه اياها الملك (وليم الثالث) سنة (١٧٠٢) وقد ابرزت معركة (بلينهايم) تلك الأهمية الناجمة عن العلاقة الرائعة بين (مارلبورو) و (الأمير اوجين) مما ساعد على تنسيق التعاون الجيد فيما بينهما خلال أصعب ظروف المعركة. ويقابل ذلك تماماً انعدام تنسيق التعاون فيما بين (تالارد) و (مارسان) الذي امتنع عن ارسال الدعم الذي كان يحتاجه (تالارد) خلال المرحلة الحرجة من الصراع المسلح. كما تظهر كفاءة (مارلبورو) في ارغام العدو على زج قواته الاحتياطية، ومن ثم توجيه الضربة الحاسمة الى النقطة الضعيفة في التنظيم الدفاعي للعدو. ويبقى العامل الاكثر اهمية في معركة (بلينهايم) هو تدمير هيبة (الجيش الافرنسي) مما ترك اثراً عميقاً في مسيرة الحرب وتطوراتها.

١ ـ مارلبورو يكتب رسالة انتصاره في (بلينهايم) بعد ان أمضى سبع عشرة ساعة على سرج جواده

٣- حملة (معركة) راميلييه.

٢٣- أيار (مايو) ١٧٠٦.

لم يبق أمام (مارلبورو) ما يفعله بعد معركة (بلينهايم) لا سيما وأن موسم الشتاء، قد أقبل حاملاً معه العطالة المطلقة للمقاتلين، فرجع الى البلاد المنخفضة. أما القائد الافرنسي (فيللروا) فقد انسحب بقواته حتى خطوط (برابان)[٥٧] واستعاد السيطرة على (هاي) وأصبح معه الآن دوق بافاريا (الالكتر). وجاءت السنة التالية (١٧٠٥) وبدأ (موسم الأعمال القتالية) وكان حصاد هذا الموسم خالياً من الإثارة ومن العنف. فقد كان الطرفان المتصارعان في حاجة (للنقاهة).ولو أن حاجة الافرنسيين كانت أكبر، إذ قام (مارلبورو) بمجموعة من المناورات والمسيرات التي صممت بصورة رائعة ونفذت بصورة دقيقة. فقادت قوات (مارلبورو) الى خطوط (برابان) التي تم اختراقها يوم ١٨ تموز (يوليو) عند نهر (اليسيم) قريباً من (تيرلو مونت)[٥٨] ولكن، وعلى الرغم من الانتصار الذي احرزه (مارلبورو) في (بلينهايم)، وعلى الرغم أيضاً من زوال كل تهديد حقيقي لدول الحلف، فإن (مارلبورو) فشل في استثارة حماسة حلفائه من القادة الألمان. ولم ينجح في حملهم على اطلاق يده في ادارة الحرب، أو يرغمهم على الانقياد لمخططاته. وفي الوقت ذاته، كان الملك لويس الرابع عشر قادراً على دعم (فيللروا) بسرعة، وتقوية جيش (اللورين) في الوقت المناسب، ونتيجة لذلك لم تؤد مناورة (مارلبورو) الى نتيجة تتجاوز حدود تدمير المواقع الافرنسية التي استولت عليها قواته، ثم الانسحاب بعدها. وفي (اللورين) قاد (فيللروا) هجوماً بقوات ضعيفة في عددها متدهورة في روحها المعنوية، بهدف اخضاع (المارغراف لويس) غير أن هذا الهجوم لم يحقق النتيجة المرجوة.

أما في أيطاليا فقد حدثت اشتباكات عنيفة ومعارك ضارية عندما اندفع جيش

---

(٥٧) برابان: (BRABANT) اقليم بلجيكي عاصمته (بروكسل) اما برابان الشمالية: - BRABANT SEPTENTIONALE فهي اقليم من اقاليم مملكة البلاد المنخفضة (هولاندا).

(٥٨) تيرلو مونت: (TIRLEMONT) وفي اللغة الفلامنكية (تيينين: TIENEN) وهي مدينة بلجيكية في اقليم (برابان).

٢ ـ النصب التذكاري (لمارلبورو) في ساحة (بلينهايم)

(فاندوم) في محاولة لإخضاع (فيكتور أمادوس) دوق (سافوا). وكان هجومه ناجاً بحيث اضطر (دوق سافوا) الى الاسراع بطلب دعم من (امبراطور النمسا). فأرسل (الأمير اوجين) ومعه قوات دعم جديدة لمجابهة القوات التي كانت بقيادة (فيليب- وهو أخو فاندوم) وكان (فيليب) هذا كسولاً متراخياً محباً للفنون ولا يصلح للحرب، ولهذا ترك نفسه حتى وقع فريسة للمباغتة التي أوقعه بها (الأمير أوجين) بهجومه العنيف على خط (أدا). ومع هذا فقد أمكن تصحيح الموقف في آخر النهار، وأمكن الحاق الهزيمة بالنمساويين، بفضل وصول (فاندوم) في الوقت المناسب. وبفضل شجاعة الابن الاكبر لملك فرنسا (الدوفين) وبذلك انتهت معركة (كاسينو) في ١٦ آب (أغسطس) وعادت العطالة لتهيمن من جديد على ميادين القتال.

تلك هي صورة الموقف بعد معركة (بلينهايم) وقبل معركة (راميلييه).

أقبل موسم الحملة السنوية من العام (١٧٠٦) وأصبحت صورة الموقف الاستراتيجي الشامل واضحة كل الوضوح في عقل (مارلبورو) الذي وضع نصب عينيه تنفيذ واحد من مشروعين: أولهما- الانضمام الى حاكم (بادن- المارغراف) في (السار) والثاني- وهو الذي كان يفضله (مارلبورو) ويتلخص بالانضمام الى (الأمير اوجين) في (ايطاليا) بهدف توجيه ضربة حاسمة الى الافرنسيين انتقاماً لما ألحقوه (بالامير اوجين) من هزائم في السنة السابقة (١٧٠٥). وفي الوقت ذاته، فإن ارغام القوات الافرنسية على الجلاء الكامل عن (سافوي) سيحقق اهداف الحلف التي خاضت الدول الأوروبية من أجلها الحرب وذلك بامتلاك الامبراطورية النمساوية لايطاليا. وعلى كل حال، فقد اتخذ ملك فرنسا (لويس) من الاجراءات ما قلب هذين المخططين رأساً على عقب، وذلك عندما دفع قواته للقيام بهجوم جديد وشامل في ألمانيا بهدف ارغام دول الحلف على اجراء مفاوضات تحقق السلم. وكلف الماريشال (فيلار) بقيادة الهجوم الرئيسي على محور الراين، بينما يتولى الماريشال (مارسان) قيادة الهجوم على محور نهر (الموزل). ونجح القائدان (فيلار ومارسان) بدحر حاكم (بادن) المارغراف (في أيار- مايو- ١٧٠٦) وأرغماه على التراجع في اتجاه (الراين). وقلب ذلك مخططات (مارلبورو) إذ ان الهولانديين رفضوا بحزم السماح له بأي تحرك نحو ايطاليا بسبب تعرض بلادهم

للتهديد الافرنسي. وأصبح أمل (مارلبورو) معلقاً بقدرته على اغراء الجيش الافرنسي في (الفلاندر) والذي كان يقوده (الماريشال فيللروا) للخروج من مواقعه والاشتباك معه في معركة حاسمة. وقد واتاه الحظ في ذلك حيث كان الملك الافرنسي (لويس الرابع عشر) قد صمم على اجراء معركة حاسمة يتم تنفيذها في (الفلاندر) وأصدر أوامره الى (فيللروا) بمغادرة مواقعه والتقدم الى ما وراء نهر (دايل) لمجابهة (مارلبورو). وتحرك (فيللروا) على الفور، ولم ينتظر حتى ينضم اليه (مارسان) وجيشه من (الراين). وقد كان لهذا التقدم المباغت للجيش الافرنسي عبر (دايل) وفي اتجاه (نامور) دوره في ارغام (مارلبورو) على التحرك بسرعة لحشد جيشه وتركيز قواته. ، ثم اخذ باجراء مناورة حول منطقة (خطوط برابان) لخداع (فيللروا)، ثم نظم قواته على شكل أربعة أرتال ضخمة وتوجه بها نحو سهل (راميلييه). وكان (مارلبورو) يعتزم إقامة معسكره في (راميلييه) للاستراحة خلال تلك الليلة، فأرسل (وليم كادوغان) ليسبقه (في صباح ٢٣ أيار- مايو- ١٧٠٦) بمهمة تنظيم المعسكر (الرائده) واتخاذ الترتيبات الضرورية للإقامة.

وصل (وليم كادوغان) الى (راميلييه) في الصباح المبكر، وعندما بدأ الضباب الكثيف في الارتفاع تدريجياً حوالي الساعة الثامنة صباحاً، شاهد (كادوغان) قوة من الافرنسيين قدرها بستين ألف مقاتل وهي تنتشر حول (راميلييه). وكان تقدير (كادوغان) لحجم القوات صحيحاً، إذ كان جيش (فيللروا) يضم (٦٠) ألف جندي تم تنظيمهم في (٧٠- ٧٤) فوجاً من افواج المشاة، و (١٢٨- ١٣٢) كوكبة من كوكبات الفرسان بالاضافة الى (٨٠) مدفعاً. أما (مارلبورو) فلم تكن قوته تزيد على (٦٢) ألف مقاتل تم تنظيمهم في (٧٢- ٧٤) فوجاً من أفواج المشاة (منها ١٥ فوجاً انكليزياً و (١٢٣) كوكبة من الفرسان و (١٢٠) مدفعاً تقريباً.

احتل (فيللروا) مواقعه الدفاعية فوق مرتفعات خفيفة الانحدار تقع وراء غدير مستنقعي يحمل اسم (ليتل غيت) ويتدفق هذا الغدير منحرفاً في اتجاه الشمال الغربي، وقد استند (فيللروا) بجناحه الأيسر على قرية (اوترايغليز)، أما في المركز (الوسط) فكان يغطيه جزئياً غدير (ليتل غيت) ويرتكز الى قريتي (راميلييه) و (اوفوس). وبقي الجناح الأيمن للتنظيم الدفاعي الافرنسي مستنداً الى قرية (تافيير) القائمة على ضفة نهر

(ميهاين) الذي كانت تتدفق مياهه وهي متجهة الى الشرق. وكانت عناصر الجناح الأيمن الافرنسي تنتشر قليلاً الى ما وراء (تافيير) حيث تصل حتى (فرانكويني) وكان خط الدفاع الافرنسي بكامله يمتد لمسافة أربعة أميال وبشكل ما يشبه الهلال الذي يتقدم طرفاه عن وسطه بمسافة نصف ميل تقريباً (انظر مخطط راميلييه).

نشر (فيللروا) قواته، فوضع (٨٢) كوكبة فرسان يدعمها المشاة للدفاع عن القطاع ما بين (تافيير) و (راميلييه) التي كلف بالدفاع عنها اللواء الايرلندي. ووضع (٥٠) كوكبة فرسان الى الخلف من (اوترايغليز) حددت مهمتها بحماية الجناح الأيسر للقوات. وقد نظمت القوات هنا على شكل مجموعات متباعدة لإعاقة كل تقدم عبر مستنقعات (ليتل غيت).

نتيجة لذلك، كان خط انتشار القوات الافرنسية سيئاً جداً ويشكل نقطة ضعف خطيرة بسبب انحنائه (تقوسه) مما يعيق عملية نقل القوات من جناح الى جناح آخر وفقاً لما قد يفرضه الموقف.

قاد (مارلبورو) جيشه عبر أقصر الطرق، وأسند قيادة جناحه الأيمن الى (اللورد اوركني) الذي كان يواجه في تقدمه ثنية أرضية ستكون لها أهميتها الكبرى عند تطور المعركة في آخر النهار. وتولى (الماريشال الهولاندي اوفركيرك) قيادة القسم الاكبر من قوة الفرسان الهولانديين والدانماركيين (٦٩ كوكبة) وتوجه بها نحو الجناح الايسر المقابل لقرية (تافيير).

لقد ضمن هذا التنظيم (لمارلبورو) ميزة كبيرة، فعلى الرغم من احتلال (فيللروا) للمواقع القوية ظاهرياً، إلا أن (مارلبورو) كان اكثر قدرة على اختيار الخط الأقصر للهجوم، كما كان باستطاعته نقل قواته من الجناح الأيسر الى الوسط والى الجناح الأيمن بسهولة تامة، والافادة في ذلك من ثنايا الأرض. وصمم مناورته على اساس القيام بهجوم جبهي مباشر ضد مواقع (فيللروا) واضعاً في اعتباره تركيز الهجوم ليكون ضعيفاً على الجناح الايسر للافرنسيين (وخداعياً) بهدف اجتذاب القوات الاحتياطية للافرنسيين، مما يفتح المجال لتوجيه ضربةحاسمة ضد مركز القوات الافرنسية في الوسط أو على جناحها الأيمن.

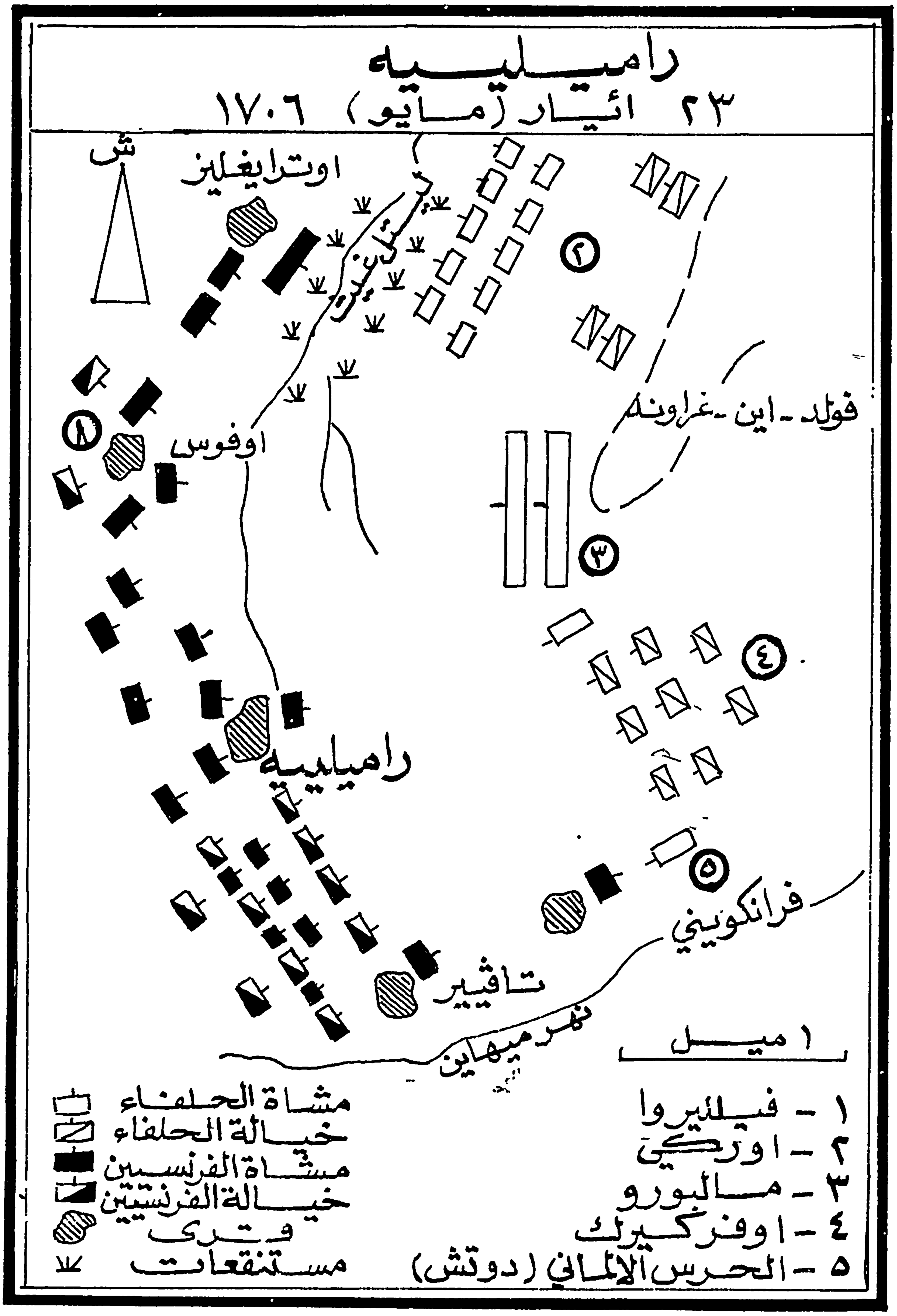
رامـيـلـيـيـه
٢٣ ائيار (مايو) ١٧٠٦
ش
اوترايغليز
٢
اوفوس
١
فولد - اين - غراونه
٣
٤
رامييلييه
٥
فرانكويني
تافيير
نهر ميهاين
١ ميل
مشاة الحلفاء
خيالة الحلفاء
مشاة الفرنسيين
خيالة الفرنسيين
قرى
مستنقعات
١ - فيلليروا
٢ - اوركي
٣ - مالبورو
٤ - اوفركيرك
٥ - الحرس الالماني (دوتش)

بدأت المعركة بتمهيد من المدفعية قبل فترة كافية من اقدام (مارلبورو) على نشر قواته واتخاذها التشكيل المفتوح للهجوم، وقامت هذه القوات بهجومها في الساعة (١٤٣٠) عندما توقفت نيران المدفعية. وكان الهجوم شاملاً على امتداد الجبهة. وقام (اوركني) بالهجوم على (اوترايغليز) بواسطة قوات المشاة الانكليزية، في حين كان (اوفركيرك) يقود أربعة أفواج من الحرس الهولانديين في اتجاه (فرانكويني وتافيير) واستطاع هجوم (اوركني) عبر (ليتل غيت) أن يجتذب اليه انتباه (فيللروا) واهتمامه لا سيما وان الملك (لويس الرابع عشر) كان قد حذره بضرورة الانتباه الى المشاة الانكليز عند توجههم الى نقطة الصدمة، فبدأ (فيللروا) بنقل احتياطياته الى جناحه الأيسر (بما في ذلك افواج الحرس الافرنسي والأفواج السويسرية). وانتقل هو ذاته للاشراف على المعركة في هذا القطاع من الجبهة. وقد ساعد ذلك (اوفركيرك) على احتلال (تافيير) بدعم من مدفعين خفيفين من (مدافع الميدان) وذلك في الساعة (١٥١٥)، ووجد (فيللروا) نفسه مرغماً على ارسال المزيد من القوات الاحتياطية الى هناك لإيقاف تقدم القوات الانكليزية، وللقضاء على ظاهرة الهلع التي انتشرت بين الجنود الافرنسيين. كما أصدر (فيللروا) أوامره الى قوة مكونة من الفوجين السويسريين و (١٤) كوكبة من كوكبات فرسان الدراغون المترجلين ولواء المشاة البافاري، للقيام بالهجوم المضاد وانتزاع قرية (تافيير) من قبضة الهولانديين. غير أن هؤلاء استطاعوا احباط الهجوم المضاد، وساعدهم الفرسان الدانماركيون الذين اوقفوا تقدم القوات الافرنسية.

تناقصت قوة الفرسان الافرنسيين الآن الى (٦٨) كوكبة بسبب زج قوة (الدراغون) كقوة راجلة في الهجوم الكثيف على (اوفركيرك). ودارت على ذلك مذبحة رهيبة في القوات الهولاندية والدانماركية (٤٨ و ٢١ كوكبة تقريباً) وأمكن دفعهم الى الخلف وردهم على اعقابهم، مما أفسح المجال أمام الافرنسيين للقيام بهجوم جانبي ضد الكتلة الرئيسية من قوات الحلفاء (من المشاة) والتي كانت تقف في مواجهة (راميلييه). وظهر الموقف الخطير الذي فرض على (مارلبورو) التدخل مباشرة لانقاذه فتولى بنفسه قيادة (١٨) كوكبة، ثم أتبعها بقوة (٢١) كوكبة فرسان أيضاً نقلها من الجناح الأيمن للقيام بالهجوم المضاد، وقد أضعفت هذه العملية ـ في الحقيقة ـ من حجم القوة التي بقيت

تحت قيادة (مارلبورو) مباشرة، حتى لم يبق معه إلا الفرسان، المتمركزين خلف (اوترايغليز). وخلال عملية الفرسان هذه، قدر عدد افراد القوة التي زجها (مارلبورو) من رجال الفرسان بحوالي (٢٥) ألف مقاتل. وانعزل (مارلبورو) لفترة قصيرة عن قواته، وعندما كان يعود اليها سقط في خندق من الخنادق، ثم اشتبك وحده مع أحد فرسان العدو أثناء تراجعه قريباً من فوج مشاة للحلفاء.

وفي هذه الاثناء نجح الهولانديون والدانماركيون في صد هجوم الافرنسيين والاستيلاء على مقر القيادة الافرنسية (منزل الملك). وانسحب مشاة الافرنسيين وفرسانهم.

أصبح باستطاعة (مارلبورو) الآن الافادة حتى ابعد الحدود من تضاريس الأرض وثناياها عند جناحه الأيمن. فتم ايقاف هجوم (اوركني) على (اوترايغليز). ولو أن هذا الايقاف تطلب تدخل (كادوغان) شخصياً من اجل اقناع (اوركني) بأن أمر ايقاف الهجوم قد جاء من (دوق مارلبورو) ذاته. وتم سحب مشاة (اوركني) وتوجيههم عبر خط تبدل الانحدار، مع الابقاء على نصف قوة الافواج وكل الاعلام والرايات في اماكنها تحت انظار العدو. وسارت بقية القوة نحو مركز ثقل الهجوم في الوسط، وكان الهجوم الرئيسي على (راميلييه) و (اوفوس) يتطلب الاستمرار في الضغط بثبات على القوات الافرنسية في الوسط، وهو الضغط الذي لم يتوقف منذ بداية المعركة. وها هما (مارلبورو) و (اوفركيرك) يعيدان تنظيم قوة الفرسان الى الجنوب من (راميلييه) لتنسيق جهدها مع جهد الهجوم الرئيسي للمشاة. ورأى (فيللروا) بأن جناحه الأيمن قد أخذ في التمزق، فحاول إعادة تنظيم خط دفاعي جديد يشكل زاوية قائمة مع خطوطه الدفاعية السابقة؛ معتمداً في ذلك على بقايا فرسانه الذين انسحبوا من الجناح الأيمن (من تافير وراميلييه) غير أن نصيب هذه المحاولة كان الفشل، لا بسبب هجوم قوات الحلفاء، وإنما بسبب تدخل الوحدات الافرنسية ذاتها والتي اصبحت محاصرة بين (راميلييه) وبين معسكرات متاعها الواقعة الى الخلف من (راميلييه). ولم يلبث الحلفاء أن شنوا هجومهم الأخير، وأسرع فرسان (فيللروا) بالابتعاد عن ميدان المعركة، ونظراً لانهيار الخطوط الدفاعية الافرنسية، فقد أسرع (مارلبورو) لزج الفرسان الانكليز الذين كانوا مستعدين

للمعركة ولم يشتبكوا بعد في القتال، واخترق هؤلاء مواقع الافرنسيين ومتجاوزين خطوطهم مما وضع خطوط انسحاب القوات الافرنسية تحت رحمة الفرسان الانكليز. واسرعت (قوة فرسان الدراغون الملكية الانكليزية والفرسان الاسكتلنديون بالقضاء على فوج من اللواء الملكي الافرنسي، وبدأت المطاردة واستثمار النصر. وأمكن للفرسان الانكليز جمع أكثر من ألفي أسير افرنسي وصلوا في فرارهم حتى ١٥ ميلاً بعيداً عن ميدان المعركة، ولم تتوقف هذه المطاردة قبل الساعة الثانية من صباح ٢٤ أيار (مايو) ١٧٠٦. وبذلك انتهت معركة (راميلييه) فأضافت نصراً جديداً الى امجاد (مارلبورو). وليست هناك تقديرات ثابتة لحجم الخسائر، فكانت التقديرات تشير الى أن الافرنسيين قد خسروا في هذه المعركة (٨- ١٢) ألف قتيل وجريح و (٦) آلاف أسير، بحيث يبلغ المجموع الكامل لخسائر الافرنسيين (١٥) ألف مقاتل، كما خسر الافرنسيون (فيللروا) ما بين (٤٠- ٥٦) مدفعاً و (٨٠- ١٢٠) علماً من اعلام القطعات وراياتها.

ومقابل ذلك، كانت خسائر (مارلبورو) تتراوح بين (٢٥٠٠) و (٥٠٠٠) قتيل وجريح، وكانت خسائر القوات الانكليزية من أصل هذه الخسائر قليلة ومحدودة.

كانت النتيجة المباشرة لمعركة (راميلييه) هي سقوط معظم الأراضي الاسبانية في البلاد المنخفضة تحت قبضة (مارلبورو) ومنها بروكسل ولوفين وانتويرب وغينت وبروغس ومينان وأث ودونكرك ودندموند واوستند. ولم يبق في قبضة فرنسا إلا موطىء قدم- عندما انتهت الاعمال القتالية لهذه السنة- ومنها: مونس ونامور واللوكسمبرغ وشارلروا. أما النتائج الاستراتيجية فكانت أكثر اهمية، فقد اضطر (فيلار) لإيقاف اعماله الهجومية في المانيا وذلك لإرسال دعم عاجل الى (الفلاندر). واستدعي (فاندوم) من ايطاليا ليحل محل (فيللروا) واتخذ الافرنسيون الموقف الدفاعي في (الفلاندر). واستولى الامير اوجين على (تورين) في ايلول (سبتمبر) ١٧٠٦. واضطر الملك لويس (مرغماً) على التخلي عن اهدافه في ايطاليا. وتفاهم مع امبراطور النمسا على سحب قواته من هناك.

لم يتخل الملك لويس عن ايطاليا بسهولة، وفي الواقع فقد حدثت تحولات مثيرة على هذا المسرح من مسارح العمليات في إثر معركة (راميلييه) قد يجدر التوقف عندها

قليلاً. فقد استمر الصراع هنا على نحو ما كان عليه من قبل، وأخذ الصراع ابعاده في فرعين أو اتجاهين، صراع من جهة بهدف السيطرة على (بييدمونت) وصراع من جهة أخرى بين الافرنسيين والجيش النمساوي الثاني في (لومبارديا). وكان من المفروض أن ينضم هذا الجيش النمساوي الى (فيكتور أمادوس)[٥٩] و (ستارلمبرغ). وقد نجح (فاندوم) في دفع (ستارلمبرغ) عن (كاسينو) وإرغامه على الانسحاب الى (بريسكيا)[٦٠] وبحيرة (غاردا)[٦١]. ثم تبعه (فاندوم) مستفيداً من غياب (الأمير أوجين) المؤقت لتنظيم هجوم على المعسكرات النمساوية، (وذلك في شهر نيسان- ابريل- ١٧٠٦) وقد نجح (فاندوم) في اختراق المواقع الدفاعية النمساوية وتدميرها تدميراً تاماً في معركة (كالاناتو) يوم ١٩ نيسان (ابريل) وطرد بقايا الجيش النمساوي وارغامها على التراجع حتى الجبال. حيث جابه (الأمير اوجين) اكبر الصعوبات من أجل اللحاق بها وجمعها وإعادة تنظيمها. واستطاع (فاندوم) حتى منتصف حزيران (يونيو) إعادة (الامير اوجين) واحباط جميع محاولاته للتسلل بين صفوفه للوصول الى (بييد مونت). وعلى كل حال، فقد تغير الموقف تغيّـراً كاملاً على أثر معركة (راميلييه) عندما طلب الى (فاندوم) التوجه الى بلجيكا) ليحل محل (فيللروا). وقد فشل خلفه لضعفه في استثمار الفرصة، وكان (فيليب دوق اورليان) و (مارسان) يحاصران مدينة (تورين). وحالما علم (الأمير اوجين) بغياب خصمه (فاندوم) اسرع للظهور فوق مسرح العمليات، ودفع قوات جديدة من الجبال. وأحبط مناورات (الافرنسيين) في (لومبارديا). ثم أسرع في اتجاه (تورين). فعمل (فيكتور امادوس) على ترك الدفاع للنمساويين والبييمونتيين المشاة، وتسلل عبر قوات الحصار وخطوطهم الدفاعية، وانضم الى ابن عمه ومعه قوة كبرى من

---

(٥٩) فيكتور امادوس: (VICTOR AMÉDÉE (OU AMEDEUS) اسم لعدد من دوقات (سافوا) منهم فيكتور الأول (١٦٣٠- ١٦٣٧)- وهو زوج كريستين ابنة هنري الرابع ملك فرنسا، ثم فيكتور الثاني دوق سافوا سنة (١٦٧٥) وملك صقليا (١٧١٣) ثم ملك سردينيا (١٧٢٠). وقد تزج سنة ١٧٣٢ من (آن أورليان) حفيدة الملك الافرنسي لويس الرابع عشر.

(٦٠) بريسكيا: (BRESCIA) مدينة ايطالية في لومبارديا.

(٦١) بحيرة غاردا)LAC GARDE=GARDA) تقع في شمال ايطاليا بين مدينتي (بريسكيا: BRESCIA) و (فيرون: VERONE).

الفرسان، وفي يوم (٧) أيلول) (سبتمبر) قام (اوجين) وابن عمه بالهجوم على الخطوط الافرنسية في (تورين). وأمكن تدمير الحامية الافرنسية تدميراً تاماً والحاق الهزيمة بها على الرغم مما كانت عليه من التفوق العددي الكبير، وذلك بسبب الاختلاف والانقسام بين قادة الجيش الافرنسي من جهة،وبسبب المنافسة- غير الودية- بين الفيالق الافرنسية من جهة اخرى. وانتهت المعركة بمقتل القائد الافرنسي الكبير (مارسان) وانسحاب (دوق اورليان)) الى (بيزولو) وقد انهت معركة (تورين) عملياً، الحرب على المسرح الايطالي. وتحول الموقف في الشمال والجنوب في وقت واحد تقريباً بمعركتي (راميلييه وتورين) وانتقل الصراع الى حدود فرنسا ذاتها.

وهنا بدأ المد (الافرنسي) بالتراجع والتقهقر، ولكن، ومن هذه النقطة ذاتها، توقفت العمليات الافرنسية عن الظهور بمظهر العمليات غير الواضحة وغير المحددة بدقة، أو التي تشكل مزيجاً غير متجانس من القوى التي تقوم بالغزوات أو التي تنظم نطاقات دفاعية على نحو ما كانت عليه حتى هذه المعركة. وقد تم هذا التحول في الواقع بصورة تدريجية، فاتخذ الملك الافرنسي (لويس) قراره بتعيين (فيلار وفاندوم وبيرويك) بدلاً من (تالارد وماراسان وفيللروا). وعلاوة على ذلك، فقد كان اقتراب جيوش الحلفاء من الحدود الافرنسية بمثابة حافز قوي أثار في الأمة الافرنسية روح الدفاع الوطني والقومي، وأيقظ فيها الحماسة للحرب. وكان ظهور هذه الروح يشابه الى حد بعيد تلك الثورة الجامحة التي وحدت الشعب الافرنسي عند اقتراب الحلفاء من حدود فرنسا وتهديدهم لها في سنة (١٧٩٢) وحتى تستطيع فرنسا التقاط انفاسها وتضميد جراحها، وإعادة تنظيم امورها، وحشد هذه الطاقة المتفجرة للروح المعنوية، فقد كان لا بد من فترة زمنية كافية. وتجميد الاعمال القتالية لفترة سنة على الأقل، وهكذ تميزت الفترة بين معركة (راميلييه) ومعركة (اودينارد) بالركود تقريباً. فكانت سنة (١٧٠٧ م) سنة هدوء عام وشامل على كافة جبهات القتال.

٤- معركة (حملة) أودينارد

١١- تموز (يوليو) ١٧٠٨

بات من المتوقع أن تشهد الأعمال القتالية في سنة (١٧٠٨) تحولاً في مركز ثقلها وتطوراً في هدفها بعد تلك الاحداث المثيرة التي عرفتها مسيرة الحرب طوال السنوات السابقة. وعلى هذا فقد كان من الطبيعي ان يتم اللقاء بين القائدين الكبيرين (مارلبورو) و (الأمير اوجين) قبل القيام بأي عمل من أجل التخطيط لاعمال القتال في المرحلة القادمة. وقد تم هذا اللقاء في (الهاغ) يوم (١٢) نيسان (ابريل) ١٧٠٨ حيث تقرر تجديد المحاولة لغزو فرنسا بقوات الحلفاء المشتركة من خلال (الفلاندر). وتقرر أيضاً القيام بمناورة خداعية هدفها حمل الافرنسيين على الاعتقاد بأن قوات الحلفاء ستقوم بهجومها عبر (الموزل) إلى داخل (اللورين) وتنفيذاً لهذه المناورة الخداعية كان على الامير (اوجين) أن يتظاهر بحشد قواته وتركيزها هناك بالتعاون مع دوق (هانوفر- الالكتر)[٦٢] مع عدم اعلام هذا (الالكتر) بأهداف التحرك امعاناً في المحافظة على السر.

كان لدى (مارلبورو) من القوات في بداية أيار (مايو) ١٧٠٨ حوالي (٧٠) ألف مقاتل ينتشرون على محيط مدينة (بروكسل). وكان لدى (دوق هانوفر- الالكتر) حوالي (٥٠) ألف مقاتل يتمركزون في مواجهة (استراسبورغ). اما الامير (اوجين) فقد زاد من حجم قوته حتى بلغ عدد أفرادها (٣٥) ألف مقاتل تمركزوا حول (كولونيا). وكان الجيش الافرنسي بقيادة (فيلار) يضم (٢٠) ألف مقاتل في (الفوسغ)[٦٣]. اما الجيش الافرنسي الذي كان يقوده (بيرويك) فكان يضم (٥٠) ألف مقاتل . وقد تمركز هذا الجيش في (استراسبورغ). وبقيت الكتلة الرئيسية للجيش الافرنسي تحت قيادة (دوق

---

(٦٢) دوق هانوفر: (ELECTOR OF HANOVRE) (١٦٦٠-١٧٢٧ م) من مواليد (اوزنابروك: OSNABRUCK) وقد أصبح ملكاً لانكلترا سنة ١٧١٤ وهو اول سلالة الهانوفريين الذين حكموا انكلترا.

(٦٣) الفوسغ (VOSGES) سلسلة جبلية تقع الى الشرق من فرنسا. وتبدأ بالقرب من بلفورت (بوابة بورغون) وتمتد بين نهري (الموزل والراين) وتنتهي في (هاردت: HARDT) من المانيا. وهناك مقاطعة (اقليم) الفوسغ، والتي تضم اللورين الجنوبية ومنطقة (سالم: SALM) وفيها (ايبينال ونوفشاتو وسان دييه) بالاضافة الى عدد من الاقاليم الكثيرة الاخرى.

بورغندي) اكبر احفاد الملك (لويس الرابع عشر) ويضم (١٠٠) ألف مقاتل. وبقي (فاندوم) في مواقعه الدفاعية ينتظر نجاح اليعاقبة في غزو (اسكتلندا) واحداث انقسام في انكلترا يكون من نتيجته اضعاف موقف (مارلبورو) وانسحاب انكلترا من الحرب. غير أن هذا الغزو فشل فشلاً ذريعاً في بداية شهر أيار (مايو) ١٧٠٨.

كان الافرنسيون في الوقت ذاته يحاولون خداع (مارلبورو) وتضليله عن الأرض الملائمة التي يختارونها للمعركة. ولهذا تحركوا نحو (لوفان)[٦٤] وكان سكان (الغنت) و (البروغ) ناقمين على الامبراطورية النمساوية وعلى الحلفاء بسبب دورهم في الحرب ضد الممتلكات الاسبانية في البلاد المنخفضة، فأعلنوا انضمامهم الى فرنسا وفق ترتيبات مسبقة وذلك في يومي ٤ و ٥ تموز (يوليو) ١٧٠٨. وكان هذان الاقليمان يشكلان مفتاح المحاور المائية الى (الفلاندر) وقد ساعد سقوطهما القائد (فاندوم)[٦٥] لتوجيه تهديده الى (اودينارد) التي تضم قلعة حصينة تهيمن على الطريق الرئيسي الواصل ما بين (كورتريه) و (بروكسل). والذي يتقاطع هناك مع نهر (شيلدت). وأصبح (مارلبورو) مرغماً على دعم الاقليم بسرعة. وكانت روحه المعنوية سيئة جداً عندما قابله الأمير (اوجين) يوم ٧ تموز (يوليو) في (آش)[٦٦] وكان يمتطي صهوة جواده ويسير في مقدمة قواته. ومعه ثلة ضغيرة من الفرسان لحراسته. وكان وصول الامير (اوجين) كافياً لرفع الروح المعنوية (لمارلبورو) الذي لم يلبث أن سقط منهاراً لفترة قصيرة بسبب ما ناله من الارهاق والتعب. وقرر (مارلبورو) و (اوجين) السير مباشرة الى (شيلدت) بهدف انقاذ (اودينارد) وبذل محاولة لارغام الافرنسيين على خوض المعركة.

أصبح جيش (مارلبورو) يوم ٩ تموز (يوليو) وهو يتقدم على شكل ارتال أربعة

---

(٦٤) لوفان: (LOUVAIN) وفي الفلامنكية (LEUVAN) مدينة بلجيكية تقع على نهر (ديال) في (برابان).

(٦٥) فاندوم: (قائد سبق التعرف عليه) ويذكر هنا أن لويس الرابع عشر عينه في هذه الفترة مستشاراً لحفيده (دوق بورغندي) الذي تولى قيادة الجيش الافرنسي الكبير الذي كان محتشداً، في (فلا نسين) وكان (دوق بورغندي) تقياً ورعاً، معتدل المزاج، بطيئاً في ردود فعله، عنيداً، محباً للفنون قد يصلح لأي شيء إلا ادارة الحرب، ولم يكن هو ذاته يطمح لتحقيق الانتصارات العسكرية، فكان في طباعه النقيض المضاد (لفاندوم) الذي اشتهر بشجاعته وإقدامه وحماسته التي تصل به حد التهور.

(٦٦) آش: (ASSCHE) بلدة في بلجيكا- اقليم برابان.

ضخمة، بعد أن تجاوز بصورة مذهلة مسافة خمسين ميلاً خلال فترة ستين ساعة فقط. وانطلق (كادوغان) في مقدمة القوات ومعه (١٦) فوج مشاة و (٨) كوكبات من الفرسان الهانوفريين ورتلاً من المعدات لإقامة جسر فوق نهر (شيلدت). وعبر (كادوغان) النهر في ظهر يوم ١١ تموز (يوليو) ١٧٠٨. فوجد نفسه على الفور في مواجهة وحدة افرنسية متقدمة تضم (٧) أفواج سويسرية و (٢٠) كوكبة من الفرسان بقيادة (الفريق بيرون). وعلى كل فإن المباغتة التي تعرض لها (كادوغان) لم تكن أقل من تلك المباغتة التي تعرض لها (الفريق بيرون) وهو يشاهد قوات الحلفاء في مواجهته.

أعد (مارلبورو) لمعركته قوة من (٨٠) ألف مقاتل انتظمت في (٨٥) فوجاً من المشاة و (١٥٠) كوكبة من الفرسان (لم يكن عدد الانكليز بينهم يزيد على عشرة بالمائة). ومقابل ذلك، كان تحت قيادة (فاندوم) (٩٠) فوجاً من المشاة و (١٧٠) كوكبة من الفرسان يبلغ مجموع أفرادها (٨٥) ألف مقاتل.

كان ميدان المعركة يقع في أرض منخفضة من وادي (شيلدت) مع تلال تحيط به من الشمال والجنوب. أما من الغرب فكانت تقع أرض مرتفعة تحمل اسم (بوستر غوتر). وكان (نهر شيلدت) يسير على امتداد الجنوب من ميدان المعركة مخترقاً (اودينارد) ومارا بالقرب من قريتي (آين) و (هورن) وكان (نهر نوركس) يسير موازياً تقريباً لنهر (شيلدت) والى الشمال منه حيث تقع على مقربة منه قرية (هويس). وكانت هناك أيضاً مجموعة من القرى الصغيرة من امثال (شيريكن وهيرليجيم وغرونولد) تتناثر في المنطقة الواقعة ما بين النهرين. وكانت المنطقة بكاملها مقطعة بالغابات والاشجار الشائكة (السياج) والجداول الصغيرة. وكان (كادوغان) قد اصطدم (بقوات الفريق بيرون) قرب قرية (آين)- انظر المخطط المرفق لميدان معركة اودينارد-

لم يكن (دوق بورغندي) راغباً في خوض المعركة، غير أن (فاندوم) أقنعه بضرورة خوض المعركة دفاعياً حتى لا تتعرض القوات الافرنسية للانقطاع أو العزلة عن فرنسا، لا سيما وأن قوات الحلفاء قد شرعت في الانتشار الى الجنوب من المواقع الافرنسية، وفي الحقيقة، فإن (فاندوم) لم يكن واثقاً تماماً من أن (الفريق بيرون) قد واجه فعلاً الكتلة الرئيسية لجيش الحلفاء، وأثناء فترة تردده وشكه، كان (مارلبورو) قد دفع بالكثير الكثير

من القوات عبر نهر (شيلدت). وعندئذٍ أصدر (فاندوم) أوامره الى الفريق (بيرون) للقيام بالهجوم، غير أن هذا رفض تنفيذ الأمر بحجة ان منطقة المستنقعات والطبيعة الأرضية المتضرسة لا تساعد على القيام بهجوم ناجح. ولم يبق أمام (فاندوم) ما يفعله إلا الوقوف مع (دوق بورغندي) في (هويس) حيث كانت الكتلة الرئيسية للقوات الافرنسية منتشرة هناك. في حين كان من المفروض أن يتحرك هذا الجيش الى الامام بصورة تدريجية- وفقاً لما كان (فاندوم) قد اقترحه على (دوق بورغندي)، وكان من نتيجة عدم تحرك هذه القوات، أن أصبح الفريق (بيرون) معزولاً بين (آين) و (هورن) وليس معه من القوة إلا سبعة أفواج من المشاة.

انطلق (كادوغان) بهجومه على مواقع الفريق (بيرون) في الساعة (١٥٠٠) ومعه (١٦) فوجاً من المشاة يتقدمها اللواء الذي يقوده (العميد سابين) والذي يضم ثلاثة أفواج من المشاة للعمل كرأس حربة في الهجوم (وكان هذا اللواء يضم افواج المشاة ٨ و ٢٣ و ٢٧).

استسلمت على الفور ثلاثة أفواج من القوة السويسرية المعزولة، وهربت الأفواج الأربعة الباقية، غير أنها لم تلبث أن تمزقت عندما جابهتها قوة (٨) كوكبات من الفرسان (الهانوفريين) الذين كان يقودهم (الجنرال فون رونتزو). ثم اتجه (فون رونتزو) لقتال فرسان (بيرون) واشترك معه في هذه المهمة (امير هانوفر) الذي سيصبح فيما بعد ملكاً لانكلترا، (والذي قتل حصانه من تحته اثناء هذه المعركة). وقد أوغل (رونتزو) في تقدمه حتى وجد نفسه في وسط الفرسان الافرنسيين الذين كانوا يمرون من أمام الكتلة الرئيسية للجيش الافرنسي في طريقهم لاحتلال مواقعهم القتالية. فاضطر (رونتزو) لخوض معركة قتال تراجعي ومعه عشر رايات استولى عليها من رايات العدو (الافرنسي).

أرسل (فاندوم) قوة من (١٦) كوكبة فرسان في الساعة (١٦٠٠) للعمل في (غرونولد) غير أن هذه القوة لم تلبث أن عادت الى قاعدتها لأن طبيعة الأرض الصعبة لا تصلح للقتال. وعند ذلك دفع المشاة للاشتباك مع مشاة الجناح الايمن لقوات (كادوغان) والمكونة من (١٦) فوجاً على نحو ما سبق ذكره. وتمسكت قوات (كادوغان) بمواقعها،

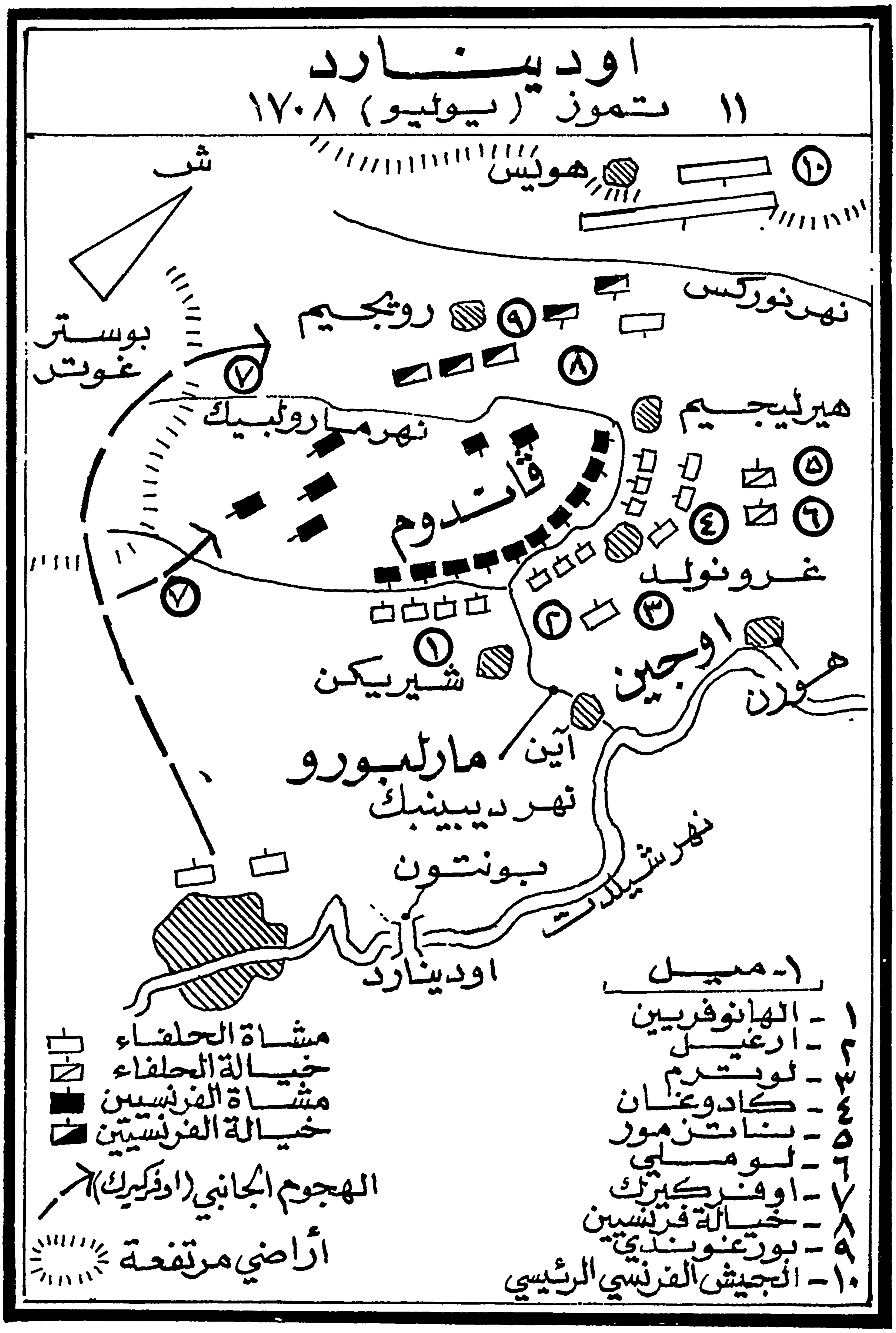
اودينـــارد
١١ تموز (يوليو) ١٧٠٨
ش
هويس
نهر نوركس
روتجيم
بوستر غوتس
هيرليجيم
نهر ماروليبيك
ڤانـدوم
غرونولد
اوجين
هورن
شيريكن
آين
مارلبورو
نهر ديبينك
نهر شيلدت
بونتون
اودينارد
١ - ميل
مشاة الحلفاء
خيالة الحلفاء
مشاة الفرنسيين
خيالة الفرنسيين
الهجوم الجانبي (اوفركيرك)
أراضي مرتفعة
١ - الهانوفريين
٢ - ارغيل
٣ - لوترم
٤ - كادوغان
٥ - ناتن مور
٦ - لوملي
٧ - اوفركيرك
٨ - خيالة فرنسيين
٩ - بورغوندي
١٠ - الجيش الفرنسي الرئيسي

فتابع (فاندوم) زج القوات على موجات متتالية لخوض المعركة المحتدمة حول (غرونولد) و (هيرليجيم).

أرسل (فاندوم) في الساعة (١٧٠٠) تقريباً، طلباً الى (دوق بورغندي) من أجل توجيه دعم الى الجناح الأيسر الافرنسي (وكان دوق بورغندي، يقيم في هذه الفترة في طاحونة في رويجيم)، غير أن دوق بورغندي كان مقتنعاً بأن الأرض لا تصلح للقتال بسبب وفرة المستنقعات، فلم يستجب لطلب (فاندوم) وبقي بذلك (٣٠) ألف جندي أفرنسي بعيدين عن المعركة. وهيمنت موجة من الغضب على (فاندوم) بسبب قصور (دوق بورغندي) عن إدراك متطلبات المعركة، فحمل رمحه، ومضى الى القتال، وفقد بذلك القدرة على ادارة المعركة الشاملة والاشراف عليها.

بقي (كادوغان) يعاني من ضغط المعركة في مواجهته، غير أن هذا الضغط أصبح محتملاً بوصول الدوق (ارغيل) ومعه (٢٠) فوجاً من المشاة يتقدمهم الفوجان (الأول والثالث). وفي هذه الفترة كان الماريشال (اوفركيرك) ومعه (٢٥) ألف مقاتل هولاندي مستمرين في عبور نهر (شيلدت). وتولى (الامير اوجين) قيادة الجناح الأيمن لقوات (مارلبورو) الذي لم يلبث أن زج (في الساعة ١٨٠٠) قوة (١٨) فوجاً من (الهانوفريين والهسيان) وذلك للعمل على يسار المواقع التي يقاتل فيها (ارغيل). كما حرص (مارلبورو) على تخفيف الضغط الذي يتعرض له (الامير اوجين) في تلك اللحظة، فأرسل (لوترم) ثم (الجنرال لوملي) ومعهما (١٧) كوكبة من الفرسان الانكليز للعمل على الجناح الأيمن حول (هيرليجيم). وأصبح تحت قيادة الامير (اوجين) (٥٦) فوجاً بالاضافة الى (١٨) فوجاً أرسلها له (مارلبورو). واحتدمت بذلك المعركة على امتداد خطوط القتال ما بين (هيرليجيم) و (شيريكن).

كانت الوحدات الهولاندية التي يقودها (اوفركيرك) قد أصبحت مكتظة عند منطقة العبور من نهر (شيلدت)، ولم تتمكن من التحرك قبل الساعة (١٩٠٠) حيث بدأت مسيرتها على امتداد المجنبة للوصول الى (بوستر غوتز)، وكان على هذه القوة أن تتحرك بعيداً عن مراقبة الافرنسيين وانظارهم. وفي الوقت ذاته، دفع الامير (اوجين) قوة من (٢٠) كوكبة من الفرسان البروسيين بقيادة (الجنرال ناتزمور) للتوجه الى

(رويجيم) بمهمة تخفيف الضغط عن (الكونت لوترم). غير أن (ناتزمور) لم يتمكن من تنفيذ مهمته بسبب اصطدامه بالمقاومة عند مقر القيادة الافرنسية (بيت الملك) وجاء التعويض عن هذا الفشل فوراً عندما شاهد (ناتزمور) من موقعه وصول فرسان (لوملي) الى الجناح الأيمن لقوات الحلفاء. وفي هذه الفترة كان (اوفركيرك) قد بدأ هجومه الجانبي بالانقضاض على الافرنسيين في (رويجيم). وكان الفرسان الدانماركيون والمشاة الهولانديون يتقدمون على النسق الأول من هذا الهجوم بقيادة الشاب (امير اورانج) الذي لم يكن يتجاوز الثامنة عشرة من عمره.

أصبح باستطاعة (الأمير اوجين) و (كادوغان) الاندفاع في التقدم نحو الأمام، وأخذت الخطوط الافرنسية في التمزق بين قرني هجومي قوات الحلفاء.

تجاوزت الساعة الآن (٢٠٠٠) وغرب ضوء النهار. والتقى جناحا قوات الحلفاء ليحكما تطويق القوات الافرنسية مع هبوط ظلام الليل، وأصبحت قوات الحلفاء مرغمة على ايقاف اطلاق النار حتى لا يصيب افرادها بعضهم بعضاً برماياتهم. ووجد (فاندوم) طريقه الى (هويس) ليقنع (يورغندي) باجراء تراجع منظم. وجاء الليل والامطار ليعيقا عملية المطاردة.

خسر الافرنسيون في هذه المعركة (٦) آلاف رجل بين قتيل وجريح بالاضافة الى (٩) آلاف أسير، على رأسهم (الفريق بيرون).

وخسر الحلفاء (٣) آلاف بين قتيل وجريح، ولم يتجاوز عدد الانكليز بينهم (٢٠٠) رجل- أي نسبة (٦) بالمائة فقط. وكانت معركة (اودينارد) نوعاً من المعارك التصادمية بأكثر مما كانت نوعاً من الاشتباكات المنعزلة بعضها عن بعض. وكان انتصار الحلفاء فيها مباغتاً وغير متوقع . وقد حاول (فاندوم) اعادة تنظيم جيشه في (غنت)، وانضم اليه بسرعة (الدوق بيريك) قادماً من (الراين)، وفي يوم (١٥) تموز (يوليو) انضم (الامير اوجين) الى قوات الحلفاء من اجل دعمها.

أصبح لدى الحلفاء الآن (١٢٥) فوجاً من المشاة و (٢٣٠) كوكبة من الفرسان في مواجهة (١٤٥) فوجاً من المشاة الافرنسيين و (٢٦٥) كوكبة من الفرسان. وقد رغب

(مارلبورو) بالقيام بهجوم على (آبيفيل)[٦٧] تدعمه فيه البحرية الانكليزية التي تتولى انزال القوات التي تم جمعها في انكلترا واسندت قيادتها الى الجنرال (ايرل)، على أن يتبع ذلك تقدم نحو (باريس). غير أن (الامير اوجين) رفض النظر في مثل هذه الخطة، لشعوره بأن مثل هذا التحرك سيتيح الفرصة أمام (فاندوم) و(بيرويك) من اجل ضرب قوات الحلفاء من الخلف. وأراد (الامير اوجين) بالمقابل الاستيلاء على مدينة (ليل) باعتبارها قاعدة هامة من قواعد الافرنسيين، ووافق (مارلبورو) على التعاون معه لتنفيذ هذا المخطط. وقاد الامير (اوجين)عملية حصار مدينة (ليل) التي كان يدافع عنها الماريشال (بوفلر) ومعه حامية تضم (١٥) ألف مقاتل. واستمرت عملية الحصار من (تموز) حتى (٩) ايلول (سبتمبر) حيث اضطرت حامية القلعة للاستسلام.

وأثناء تنفيذ عملية الحصار، كان (مارلبورو) يقف مع قواته مستعداً للعمل ضد (فاندوم) اذا ما حاول التدخل لدعم حامية (ليل). وفي شهر ايلول (سبتمبر) نجح (الجنرال ويب) في احباط هجوم قام به الافرنسيون على (رتل امداد) في (فينينديل)، ومنح (مارلبورو) رصيد هذا النصر الى (كادوغان) وحرم (الجنرال ويب) من ثمار انتصاره، مما دفع هذا الى التحول ليصبح عدواً من أشد اعداء (مارلبورو).

لقد كان سقوط (ليل) في قبضة الحلفاء نصراً كبيراً لهم منحهم السيطرة على أول حاجز في الطريق الى (باريس)، وعاد الملك (لويس) من جديد ليلتمس السلم، غيرأن الشروط التي وضعها الحلفاء للوصول الى هذا السلم جعلت من المحال بلوغه، فكان لا بد للحرب من أن تستمر.

---

(٦٧) آبيفيل: (ABBEVILLE) مدينة في (السوم) ولها ميناء ضخم.

٥ـ معركة (حملة) مالبلاكيه

١١ـ ايلول (سبتمبر) ١٧٠٩

أدى فشل المفاوضات السلمية التي استمرت طوال فصل الشتاء من سنة ١٧٠٨ الى زيادة تصميم ملك فرنسا من أجل متابعة القتال، وذلك على الرغم مما كانت تتعرض له فرنسا من ضغوط اقتصادية متعاظمة. فحشد ملك فرنسا (١٥٠) فوجاً من المشاة و (٢١٠) كوكبات من الفرسان (من أصل ١٨٠ فوجاً و ٣٠٠ كوكبة) وأرسلها الى الفلاندر بقيادة الماريشال (فيلار) الذي برهن حتى الآن بأنه من اكثر القادة الافرنسيين كفاءة. وكان يعاون (فيلار) في قيادته الماريشال العجوز (بوفلر) الذي كان يبلغ من العمر (٦٧) عاماً. وقد تم تعيين (بوفلر) للخدمة تحت قيادة (فيلار) بناء على طلب من (بوفلر) ذاته[٦٨]. وكان (فيلار) قادراً على رفع الروح المعنوية في جيشه، بعد تدهور تلك الروح المعنوية نتيجة الهزائم التي نزلت بالقوات الافرنسية في السنوات السابقة.

كان (مارلبورو) شأنه شأن الأمير (اوجين) لا يزال يأمل في غزو فرنسا، غير أنه كان لا بد له قبل كل شيء من الحاق الهزيمة بالكتلة الرئيسية للجيش الافرنسي. وتقدمت قوات الحلفاء في شهر حزيران (يونيو) ١٧٠٩ بقوة (١٠٠) ألف مقاتل. غير أن (فيلار) تجنب الصدام بهذا الجيش، وتراجع الى مواقعه المحصنة المحيطة ببلدتي (دواي) و (لابوسيه)، ويظهر أن (مارلبورو) قد تحرر خلال هذه الفترة من أوهام الحرب، فبات هدفه هو ممارسة ضغط مستمر من أجل ارغام فرنسا على القبول بالسلم، فتم التخلي عن فكرة غزو فرنسا، وأقنعه الامير (اوجين) باستثمار (توريني) من أجل الوصول الى هدفه، في حين كان (مارلبورو) يفضل الاستيلاء على (الايير) على أمل اخضاع فرنسا.

---

(٦٨) يذكر هنا أن (بوفلر) تولى الدفاع عن (ليل) لفترة طويلة أظهر فيها كفاءة عالية وبطولة فريدة ـ على نحو ما سبق ذكره ـ ولم يستسلم إلا بعد أن وجد نفسه مرغماً على الاستسلام. وتقديراً من (الامير اوجين) لهذا الموقف فقد عامله بفروسية واحترام ـ مقدراً فيه ايضاً كبر سنه ـ فسمح له بكتابة شروط الاستسلام كما يريد. واستطاع (بوفلر) بذلك التحرر من ربقة الأسر وعاد الى فرنسا ليضع سيفه من جديد تحت خدمة الملك. ووافق على الخدمة تحت قيادة قائد أقل منه خبرة، وأصغر منه عمراً.

وتم ضرب الحصار على (توريي) من ٢٤ حزيران (يونيو) وحتى ٣ أيلول (سبتمبر). وأثناء فترة الحصار هذه كان (مارلبورو) يعبث بفكرة القيام بحركة (كماشة) بين طرفي (الراين- ايطاليا) لضرب جنوب- شرق فرنسا. غير أن هزيمة حاكم (هانوفر- الالكتر) في شهر آب (أغسطس) دمرت هذه الفكرة وقضت عليها. وأصبحت المرحلة التالية بعد الاستيلاء على (توريي) هي الاستيلاء على (مونس) التي تشكل آخر قلعة على طريق (باريس). وقد طلب الملك لويس من (فيلار) الدفاع عن (مونس) بأي ثمن، وحمايتها مهما بلغ حجم التضحيات، وهكذا ومع بداية شهر ايلول (سبتمبر)، كانت جيوش الطرفين المتصارعين تتسابق للوصول الى (مونس).

وكان أمير (هيس كاسل) يقود مقدمة جيوش الحلفاء، وأمكن له الوصول الى (مونس) يوم (٦) أيلول (سبتمبر) ١٧٠٩، وفي هذا اليوم ذاته تلقى (فيلار) امراً من الملك يمنحه فيه الصلاحية المطلقة لخوض المعركة. وفي يوم (٨) ايلول (سبتمبر) كانت المسافة الفاصلة بين الجيشين لا تزيد على ثمانية أميال. وكانت هناك منطقة كبيرة من الغابات تقع الى الجنوب من (مونس) فتحجز بينهما. ولم يكن في هذه الغابة (غابة فاركيني) إلا محوران للمرور. (ثغرة درب بوسو وثغرة درب اولنوا). وقد رفض (فيلار) المغامرة باقتحام الغابة خوفاً من التورط بالقتال وراءها، وفضل الامساك بالثغرتين والسيطرة عليهما وتم له ذلك يوم (٩) أيلول (سبتمبر). وانصرف بعد ذلك لاختيار الارض المناسبة للتمركز، ودرسها بعناية، وأمر جيشه بحفر الخنادق، والتمركز في مواجهة ثغرة (اولنوا) في يوم (٩) أيلول ثم عمل في اليوم التالي على تنظيم مواقع دفاعية مماثلة في مواجهة قرية (مالبلاكيه). ولم يحاول التقدم لقتال جيش الحلفاء الذي أخذ في الوصول. وحشد الطرفان جيوشهما في (١٠) ايلول (سبتمبر) وأخذا في تبادل التراشق بنيران المدفعية بصورة كثيفة ومتزايدة.

كان (مارلبورو) يتوقع وصول (الجنرال ويثر) من (تورين) للانضمام الى قواته، غير أن (الأمير اوجين) كان أقل ثقة باحتمال قدوم (ويثر). وعلى كل حال فقد اتفق القائدان على الانتظار ليوم واحد قبل أن ينطلقا في الهجوم. وأمضى الطرفان المتصارعان يوم (١٠) ايلول (سبتمبر) في الاستعداد للمعركة التي اراداها أن تكون حاسمة.

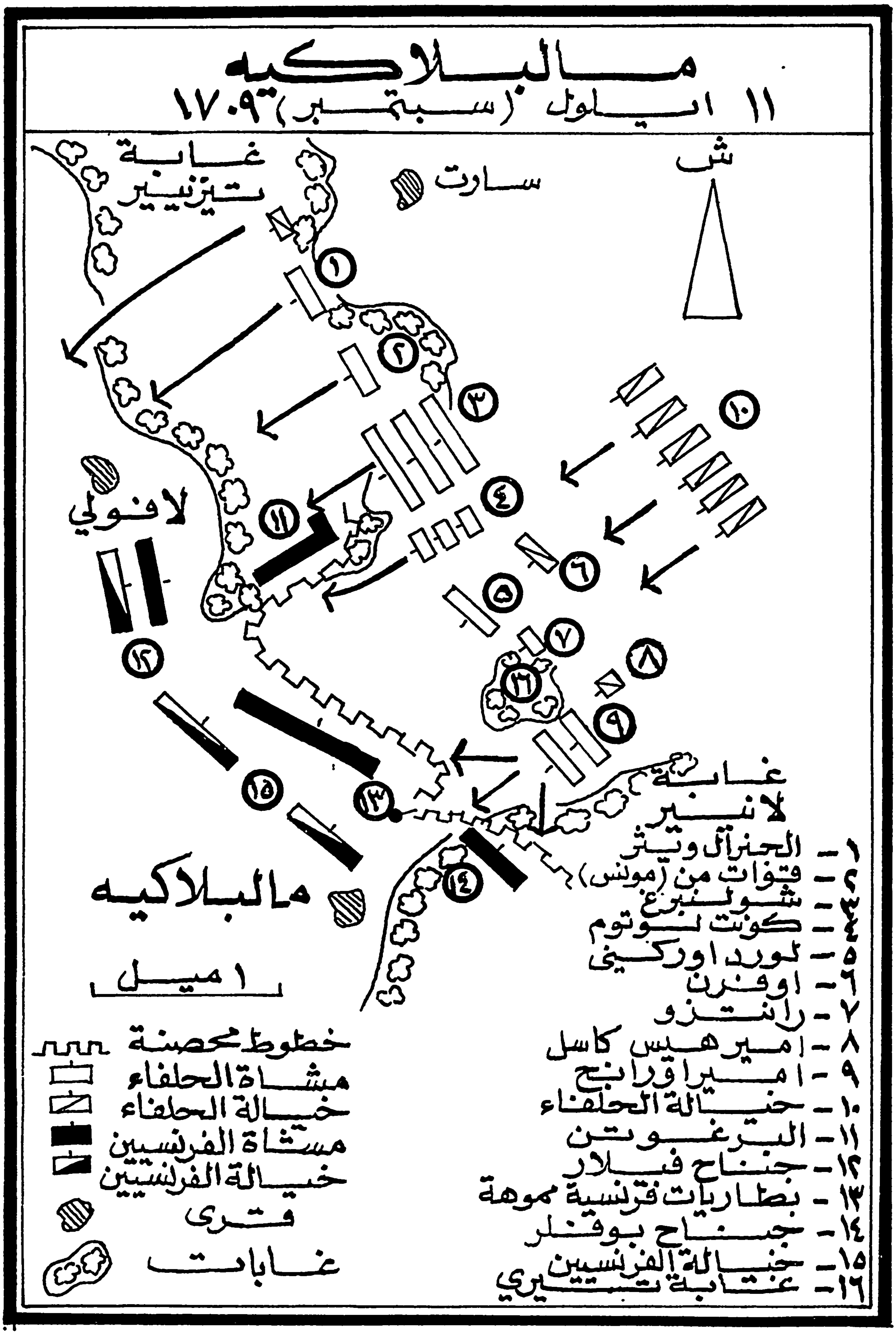
مالبلاكيه
١١ ايلول (سبتمبر) ١٧٠٩
ش
غابة تيزنيير
سارت
لافنولي
غابة لانيير
مالبلاكيه
١ ميل
خطوط محصنة
مشاة الحلفاء
خيالة الحلفاء
مشاة الفرنسيين
خيالة الفرنسيين
قرى
غابات
١ - الجنرال ويتز
٢ - قوات من (مونس)
٣ - شولنبرغ
٤ - كونت لوتوم
٥ - لورد اوركني
٦ - اوفرن
٧ - رانتزو
٨ - امير هيس كاسل
٩ - امير اورانج
١٠ - خيالة الحلفاء
١١ - البرغوتن
١٢ - جناح فيلار
١٣ - بطاريات فرنسية مموهة
١٤ - جناح بوفلر
١٥ - خيالة الفرنسيين
١٦ - غابة تسيري

وأقبل اليوم التالي (يوم ١١ـ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٧٠٩) حيث كان الطرفان قد نظما قواتهما لمعركة (مالبلاكيه). وتقع هذه فوق مسطح أرضي خفيف الانحدار الى الجنوب من الثغرة المحددة في الشمال بغابة (تيزنيير) وبغابة (لانيير) في الجنوب. وكانت جبهة هذه الثغرة تبلغ مسافة ميل ونصف تقريباً. كما كانت هناك غابة أصغر تقع في المنطقة ما بين الغابتين الكبيرتين وتحمل اسم (غابة تيري). وكانت القرية الوحيدة في المنطقة ـ بالاضافة الى (مالبلاكيه) هي قرية (لافولي) الواقعة الى الخلف من غابة (تيزنيير) ـ انظر المخطط المرفق لمعركة مالبلاكيه ـ

نظم (فيلار) قواته فاستند بجناحيه الى الغابتين المجاورتين، واخفى فيهما قواته، وحفر ثلاثة خنادق قوية متتالية على امتداد جبهة الثغرة. ونظم المساتر والحواجز القوية للوصل ما بين تسعة مراكز دفاعية حصينة. كما كانت الاجنحة (المجنبات) في الغابات محمية بالمحطومات والاوتاد الحادة. واحتل عشرون مدفعاً المرابض الجيدة والمموهة في غابة (تيري) وفوق منطقة مسطحة. وكان لدى (فيلار) من القوات (٩٠) ألف مقاتل نظمت في (١٢٠) فوجاً من المشاة و (٢٥٠) كوكبة من الفرسان بالاضافة الى (٦٠ ـ ٨٠) مدفعاً. واحتفظ (فيلار) بقوة (٦٠) فوجاً تركها محتشدة ومركزة عند جناح قواته الأيمن حول غابتي (تيري ولانيير). وقد عملت هذه القوة على احتلال مراكزها وتمويهها بصورة جيدة. أما قوة الفرسان فقد حشدها (فيلار) بصورة مجمعة الى الخلف من هذه الخطوط الدفاعية.

كانت قوات الحلفاء تضم (١١٠) آلاف مقاتل، منظمة في (١٢٨) فوجاً (عدد افراد المشاة الانكليز من بينهم ١٥ ألفاً) و (٢٥٣) كوكبة فرسان و (١٠٠) مدفع. وصمم (مارلبورو) و (الامير اوجين) مناورة قوات الحلفاء لتأخذ ببساطة شكل هجوم جبهي على مواقع (فيلار). وكانت ثقتهما بالنصر كبيرة اعتماداً منهما على تفوق قوات الحلفاء، وعلى ما يتوافر لهذه القوات من روح معنوية عالية عززتها الانتصارات السابقة. وقد صممت الهجمات الاساسية (محور الجهد الرئيسي) لتتركز على جناحي القوات الافرنسية في الغابات. وتولى (الامير اوجين) قيادة (٨٥) فوجاً يدعمها (٤٠) مدفعاً للهجوم على غابة (تيزنيير). في حين تولى (الامير اورانج) قيادة (٣٠) فوجاً من المشاة و (٢٠) كوكبة من الفرسان و (٢٨) مدفعاً للهجوم على غابة (لانيير). وقد لاحظ

(مارلبورو) أن التنظيم الدفاعي الافرنسي قد ترك الوسط (المركز) ضعيفاً من أجل دعم الأجنحة، ولهذا فقد اسند الى (اللورد اوركني) قيادة قوة من (١٩) فوجاً بينها (١٣ فوجاً انكليزياً) ومعها كتلة كوكبات الفرسان المجمعة والتي بلغ عدد افرادها (٣٠) ألف فارس، بمهمة اختراق مواقع (فيلار) الدفاعية في وسط التنظيم- مركزه-.

بدأت المعركة بتبادل القصف المدفعي، وفي الساعة (٩٠٠) انطلق الجنرال (شولنبرغ) وهو يقود النسق الأول من الهجوم بقوة (٤٠) فوجاً نمساوياً نظمت على ثلاثة صفوف- أنساق-. وتوجه (شولنبرغ) بهجومه في اتجاه غابة (تيزنيير)، وكان يدعمه على جناحه الايسر (الكونت لوتوم) ومعه (٢٢) فوجاً من المشاة (منها لواء ارغيل المكون من الافواج الثالث والثامن والسادس عشر)، وكانت هناك قوة اخرى مكونة من (١٩٠٠) مقاتل من قوات (مونس). كما كان يعمل على يمين (شولنبرغ) الجنرال (ويثر) ومعه (١٩) فوجاً من المشاة (بينها ٥ أفواج انكليزية) و (١٠) كوكبات من الفرسان. وكان مجموع هذه الافواج بلغ (٨٥) فوجاً يشكل تفوقاً عددياً على قوات الافرنسيين بنسبة أربعة الى واحد تقريباً. وكانت هذه القوات الافرنسية تعمل تحت قيادة الفارس (البرغوتن- أو- البرغوتي).

دارت الاعمال القتالية في الغابات بشكل مثير، وتطورت الى اشتباكات دموية عنيفة، ولقي المهاجمون صعوبات كبيرة بسبب تضاريس الأرض المتعرجة وما يتخللها من جداول صغيرة وأوحال غليظة. ونجحت الحامية الافرنسية في احباط هجومين على التوالي- قاد الهجوم الثاني منهما الامير اوجين ذاته.

بدأت قوات الحلفاء هجومها على الجناح الأيسر في الساعة (٩٣٠) حيث قاد (الامير اورانج) قوة (٣٧) فوجاً (منها الحرس الهولاندي واللواء الاسكتلندي وقوات الهيبورن والتوليباردين). وتقدم - اورانج- بها في الثغرة بين غابتي (تيري ولانيير)، ووقعت قوات هذا الهجوم تحت نيران (٢٠) مدفعاً تم اخفاء مرابضها بعناية ومهارة. وفشل الهجوم كما فشل الهجوم الذي جاء بعده، وقتل (هيبورن) كما قتل (التوليباردين) وقتل حصان الامير (اورانج) من تحته. وخسر (اورانج) خلال نصف ساعة فقط (٥-٦) آلاف من مقاتليه. غير أن الأمير (هيس- كاسل) ومعه (٢١) كوكبة من الفرسان،

استطاع حماية انسحاب (الامير اورانج) وتأمين تراجعه من مطاردة الافرنسيين له. وكان (بوفلر) يتولى القيادة على هذا الجناح، وقد امتنع في الحقيقة عن دفع القوات الافرنسية للتقدم والمطاردة بدون استشارة (فيلار) الذي كان منهمكاً في هذه الفترة بادارة المعركة على الجناح الأيسر للقوات الافرنسية.

قام (شولنبرغ) و (لوتوم) بقيادة هجوم جديد في الساعة (١٠٠٠) العاشرة، وأوغلا في غابة (تيزنير) يدعمهما فوجان انكليزيان (فوج الحرس الأول وفوج المشاة الأول) وهما من قوة (اوركني) وضعهما تحت تصرفهما بعد أن نقلهما من قوات الوسط.

كان (فيلار) يميل الى توجيه هجوم على جناح (لوتوم) الأيسر عند دخوله الغابة، وذلك خوفاً من قوة كوكبات الفرسان (٣٠ كوكبة) من الهولانديين الذين تولى قيادتهم الامير (اوفرن) والذين أرسلهم (مارلبورو) لتغطية التقدم. وأمام هذا الموقف، عمل (فيلار) على نقل (١٢) فوجاً من المشاة الذين كانوا يحتلون مراكزهم في وسط التنظيم القتالي، الى ما وراء الغابة.

احتدم القتال واشتدت ضراوته،، ووصلت تقارير خطيرة الى (مارلبورو) و (الامير اوجين) تشير الى حدوث مجزرة رهيبة تتعرض لها القوات التي يقودها (كوزلينغا) (القائد الهولاندي المنتخب) على الجناح الأيسر للقوات. وأسرع (مارلبورو) و (الأمير أوجين) وأوقفا هجوم (اورانج) الذي كان لا يزال يتعثر بدون أن يحرز أي نجاح.

أشارت عقارب الساعة الى (١١٣٠) عندما بدأ الهجوم الذي يقوده الامير (اوجين) باكتساب قسم من أرض المعركة. وفي هذه الفترة كان (ويثر) ومعه (٤) أفواج مشاة و (٢٠) كوكبة فرسان، يجابه مقاومة ضعيفة وهو يتقدم من (لافولي). وهنا طلب (فيلار) من (بوفلر) أن يرسل له دعماً. غير أن (بوفلر) كان عاجزاً عن أرسال أية قوة بسبب ما كان يتعرض الجناح الأيمن للقوات الافرنسية من ضغط قوي ناجم عن هجوم (اورانج). ولم يبق أمام (فيلار) إلا أن يعمل من جديد على سحب قوة اخرى من الوسط (مركز الدفاع) وتوجيهها لايقاف تقدم (ويثر). وكان من بين قوة الدعم هذه البافاريون ولواء شامباني واللواء الايرلندي، وأمكن بذلك دحر هجوم الحلفاء واستعادة الافرنسيين

خطوطهم الأولى. وأصابت اذن (الامير اوجين) رصاصة، غير أن هذه الاصابة لم تخرجه من المعركة. واستطاع الامير (اوجين) رد هجوم (البرغوتن) واعادته حتى تخوم الغابة. وأخذ الطرفان المتصارعان في اعادة تنظيم قواتهما. وأثناء هذه المعركة اصطدمت قوة اللواء الايرلندي الافرنسي بقوة اللواء الايرلندي الملكي الذي كان يقوده (ويثر). ونجح هذا اللواء في دحر هجوم اللواء الايرلندي الافرنسي بفضل دعم لواء انكليزي.

عقد القائدان (اوجين) و (مارلبورو) مؤتمراً لهما في فترة الظهيرة من اجل دراسة الموقف. وأصدر (مارلبورو) أوامره على اثر ذلك الى (اوركني) لمتابعة التقدم، ومعه (١٩) فوجاً من المشاة الانكليز والبروسيين (وكان عدد الافواج الانكليزية هنا ١١ فوجاً) وللقيام بالانقضاض على وسط التنظيم الدفاعي الافرنسي. وبدأ (اوركني) هجومه الرهيب في الساعة (١٣١٥)، ونظراً لضعف القوة الافرنسية في الوسط بسبب ما تم سحبه منها في مرتين متتاليتين، فان (اوركني) لم يصطدم بمقاومة كبيرة، وفي هذا الوقت، ذاته، كان الامير (اورانج) يقود الهجوم الثالث ضد الجناح الافرنسي في الجنوب. وانطلقت كتلة فرسان الحلفاء والمكونة من (٣٠) ألف فارس من الانكليز والالمان والبروسيين والهولانديين والهانوفريين، واخذت في اجتياح مواقع الافرنسيين.

بدأ (فيلار) بتوجيه هجوم مضاد على الجناح الايسر الافرنسي لإيقاف تقدم الامير (اوجين)، وكانت قوة الهجوم المضاد تتكون من (٥٠) فوجاً كان (فيلار) قد حشدها خلف (لافولي). واصيب (فيلار) على الفور من اطلاق هجومه تقريباً اصابة خطيرة في (ركبته) فتم حمله بعيداً عن ميدان المعركة. وأصيب في الوقت ذاته (البرغوتي أو البرغوتن) وبدأت قوات الجناح الأيسر الافرنسي بالانسحاب. وجابهت افواج (الامير اوجين) حالة من الفوضى المرعبة والتمزق واستنزفت قدرتها حتى باتت عاجزة عن مطاردة القوات الافرنسية المنسحبة.

وعندما علم (الماريشال بوفلر) باصابة (الماريشال فيلار) تولى بنفسه قيادة الفرسان الافرنسيين من (حرس القيادة- بيت الملك) و (الدرك) وجابه بهم كتلة فرسان الحلفاء.

وحدثت عندها معركة رهيبة بين الفرسان استمرت لاكثر من ساعة كان خلالها (مارلبورو) و (الامير اوجين) يعملان باستمرار على زج المزيد من القوات. واستطاع مشاة (اوركني) ايقاف اختراق الافرنسيين في مرات عديدة. وتأكد (الماريشال بوفلر) بعد سبع ساعات من القتال المرير بأن عليه التراجع والانسحاب، لاسيما وأن أجنحته قد تمزقت، وفرسانه في الوسط قد تعرضوا لخسائر فادحة مما قد يجعل من الصعب عليهم الصمود لفترة اخرى في القتال. فنظم (بوفلر) قوة فرسانه وكلفهم بحماية الانسحاب وتغطيته، وبدأت القوات الافرنسية انسحابها الشامل في الساعة (١٥٠٠) وتم الانسحاب بنظام رائع. وكانت قوات الحلفاء مستنزفة ممزقة بحيث انها لم تتمكن من مطاردة الافرنسيين اثناء انسحابهم.

استولى القائدان (مارلبورو) و (الامير اوجين) على ميدان المعركة، غير أن خسائر الحلفاء كانت فادحة جداً بالمقارنة مع ما خسره الافرنسيون. فقد خسر (فيلار) من قوته (١٢) ألف مقاتل بين قتيل وجريح بالاضافة الى خسارة (١٠) مدافع و (٢٠) راية من رايات الافواج والكوكبات. ومقابل ذلك خسر الحلفاء (٢٤) ألف مقاتل بين قتيل وجريح، بينهم (٨) آلاف هولاندي و (الفا انكليزي) (أي ما يعادل نسبة ٨ بالمائة من مجموع الخسائر كان عدد القتلى بينهم ٦٠٠ مقاتل). فكان مجموع اصابات الطرفين المتصارعين فوق أرض (مالبلاكيه) هو (٣٦) ألف اصابة .كما كانت هذه المعركة من اكثر المعارك الدامية في القرن الثامن عشر، بحيث لم يتجاوزها في حجم الخسائر الا معركة (بورودينو) التي خاضها نابليون في روسيا سنة (١٨١٢). وكانت النتيجة المباشرة لهذه المعركة بقاء (مونس) في قبضة الافرنسيين وسيطرتهم عليها يوم (٢٠) تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٠٩.

تعرضت هيبة (مارلبورو) ومكانته لضربة قاضية، وجابه أقسى تجربة يمكن أن يتعرض لها جندي في حياته. ولعل السبب فيما نزل به في (مالبلاكيه) هو ثقته المطلقة بقدرة رجاله على احراز النصر مهما كانت الظروف المحيطة بالمعركة، مما دفع (مارلبورو) بعد ذلك الى تجنب خوض أي معركة حاسمة. وفي الوقت ذاته تدهور النفوذ السياسي (لمارلبورو) بسرعة مذهلة، واستثمر حزب (التوري) حجم الخسائر في (مالبلاكيه)

للهجوم على (مارلبورو) بعنف وقسوة. وانضم (الدوق ارغيل) الى الموجة المضادة (لمارلبورو) فور عودته الى انكلترا.

وكان من نتيجة معركة (مالبلاكيه) اضطرار الهولانديين مرغمين على متابعة الحرب وحدهم. واسهمت هذه المعركة في رفع الروح المعنوية للافرنسيين، ولو أنها ارغمت الملك الافرنسي للبحث من جديد عن طريق السلام. غير أن الحلفاء بقيادة انكلترا امتنعوا عن سلوك هذا الطريق بسبب ما وصفوه من شروط جائرة. ووضعت هذه المعركة النـهاية الحاسمة للفكرة الثابتة وهي (امكان الانتصار على فرنسا من خلال السيطرة على منطقة الفلاندر).

٦- نهاية حرب الوراثة الاسبانية في اوروبا.

١٧١٠- ١٧١٣

انسحبت القوات الافرنسية بعد معركة (مالبلاكيه) الى الخطوط الدفاعية التي اعتبرت من قبل الافرنسيين بأنها (خطوط لا مثيل لها)، وكانت هذه تمتد من بحر المانش، وتسير مع امتداد (نهر كانش)[٦٩] حتى تصل (آراس)[٧٠] ولتمتد بعد ذلك مع النهر البلجيكي (السين) حتى تصل (بوشين)[٧١] عند (شيلدت). وقد تميز القسم الغربي من هذه الخطوط الدفاعية بقوة تحصيناته، في حين كان التنظيم الدفاعي بين (آراس) و (بوشين) أقل قوة ومنعة.

بدأت الأعمال القتالية في حملة سنة (١٧١٠) بصورة مغايرة لكل الحملات السابقة، فقد أصبح قادة الحرب أقل اقداماً واكثر حذراً مما كانوا عليه في حملاتهم

---

(٦٩) نهر كانش: (R. CANCHE) نهر افرنسي، ينبع من (ارتوا: ARTOIS) ويمر من مونتروي: (MONTREUIL) ويصب في بحر المانش، ويبلغ طوله ٩٦ كيلومتراً.

(٧٠) اراس: (ARRAS) العاصمة القديمة لمقاطعة أرتوا- بادوكاليه. وتقع على نهر سكارب: (SCARPE) وقد شهدت آراس بحكم موقعها كثيراً من المعارك والاحداث الهامة.

(٧١) بوشين: (BOUCHAIN) مركز الشمال في اقليم فالانسين، عند شيلدت وتقع على نهر الايسكوت: (ESCAUT)

ومعاركهم السابقة. وظهر احتمال السلم في الاقتراب من أفق الحرب، غير أنه حدث تطور مثير بدد كل احتمال للسلام. فقد توفي امبراطور النمسا في شهر ايار (مايو) ١٧١٠، ولم تعد القضية بالنسبة لخلفه (شارل) مجرد قضية مطالبة بوراثة العرش الاسباني، بل أصبحت بالنسبة للحلف الذي تشكل من اجل اقامة توازن في القوى على المسرح الاوروبي، ، قضية لا يمكن التساهل فيها، لأنهم لم يعد باستطاعتهم رؤية لويس الرابع عشر وقد أصبح (شارلمان) أوروبا الجديد.

في هذا المناخ، قرر (مارلبورو) اختراق التحصينات في (الخطوط التي لا مثيل لها) بمناورة يمكن وصفها بأنها (مناورة لا مثيل لها) بين مناورات وعمليات القرن الثامن عشر.

قاد (مارلبورو) قواته وقد صمم على اختراق المواقع الدفاعية الافرنسية في اضعف نقاطها (بين آراس وبوشين) وأخذ في الابتعاد يوم (٦) تموز (يوليو) متجهاً نحو الغرب. (وذلك بعد أن استولى على- دواي- في ٢٦ حزيران (يونيو). وكان (فيلار) يتابع بحذر تحركات خصمه (مارلبورو) ومناوراته. ولكن وفي هذه المرحلة (اضاع مارلبورو) صفاءه الذي عرف به وخسر اتزانه، وتصرف بطريقة متصلبة جداً، حتى ان جيشه الذي طالما اعجب بقيادته اتهمه (بالحماقة والجنون). فقد أرسل قسماً من جيشه الى (بيتون)[٧٢] كما أرسل قسماً آخر الى خلف (دوييه). وأمر بقية القوة الصغيرة التي بقيت معه بالهجوم على الخطوط الافرنسية بين (كانش وآراس) في حين كان خصمه (فيلار) يحتفظ بكامل جيشه في كتلة واحدة. وعاد (مارلبورو) في ليل ٤- ٥ آب (أغسطس) فانحرف نحو الغرب ومعه الكتلة الرئيسية من جيشه التي دفعت للسير بأقصى سرعة لها، وقامت بعبور (نهر سكارب)[٧٣]، ثم تزايدت سرعة المسير حتى تحولت الى هرولة وركض بحيث سقط آلاف الجنود من الاعياء وعجزوا عن متابعة المسيرة. وتوقف (مارلبورو) لفترة خمس ساعات، شن بعدها هجوماً على مواقع الجيش الافرنسي، واستولى على الخطوط الدفاعية (التي لا مثيل لها) بدون مقاومة تذكر، بعد أن كانت القوات الافرنسية قد

(٧٢) بيتون : (BETHUNE) مدينة في اقليم (بادوكاليه) وتقع هذه المدينة القديمة بالقرب من (لو LAWE)

(٧٣) نهر سكارب (R. SCARPE) نهر ينبع من (بادوكاليه) ويرفد نهر اسكوت وطوله ١٠٠ كلم.

تجمعت في (كامبري). واستولى (مارلبورو) على (بيتون) في ٢٦ آب (أغسطس). وحاول (فيلار) قيادة القوات الافرنسية للاشتباك مع (مارلبورو) في معركة حاسمة، غير أن هذا تملص من الاشتباك، وقام بمناورته مبتعداً لمسافة اكبر في اتجاه الشرق، فا جتاح (بوشين)، وكانت المواقع مغطاة بنقاط قوية (يمثلها خط من التحصينات والقلاع) بحيث أن (فيلار) لم يحاول الهجوم ضدها، وانما اكتفى بتطويقها، في (١٣) ايلول (سبتمبر) ١٧١٠. وبذلك انتهت المناورات (التي لا مثيل لها). وفي شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٧١٠ م تم عزل (مارلبورو) بطريقة غير مشرفة. وقد أضعف عزل (مارلبورو) من موقف الحلفاء، غير أن (هولاندا والنمسا) قررتا بالرغم من ذلك متابعة الحرب في محاولة أخيرة لفرض شروطهما الخاصة على الملك (لويس الرابع عشر). وكان جيش (الأمير اوجين) الذي استخدم في العام (١٧١١) من اجل التأثير على الانتخابات الامبراطورية، قد أرسل الى البلاد المنخفضة بدلاً من زجه في القتال ضد (فيلار). وادرك (الامير اوجين) مدى الاثر الذي خلفه سقوط (مارلبورو) فقرر استثمار الموقف، وأخذ في الاستعداد بصورة سرية، ووضع المخططات لتسلم قيادة قوى الحلفاء المختلفة وزجها كلها في المعسكر الامبراطوري (النمساوي) أو المعسكر الذي تموله هولاندا. وعندما وصل (اورموند) الذي عينته انكلترا خلفاً (لمارلبورو) لم يتبعه سوى (١٢) ألف مقاتل من المرتزقة الذين تدهورت روحهم المعنوية، وارتسم البؤس على جباههم، في حين كان جيش (الامير اوجين) يضم (١٠٠) ألف مقاتل. مما كان يضمن له تولي القيادة العامة.

خلال هذه الفترة توفي في شهر واحد على التتابع اثنان من ورثة العرش، وحدثت فترة من الغموض والاضطراب شملت كل العلاقات الاوروبية في جميع المجالات، ونشر الحزن ظلاله على فرنسا، وقد أفاد الامير (اوجين) من الحظ السيىء الذي نزل بفرنسا لتنفيذ باكورة عملياته بنجاح. وأصبح الخطر يقترب من حدود فرنسا. وهنا ثارت شجاعة الملك العجوز في مجابهة الموقف المتدهور، فأعلم (فيلار) بأنه اذا ما هزم الجيش الافرنسي فانه سينضم بنفسه الى الجيش لمقاسمته مصيره.

وعلى الرغم من أن (فيلار) كان لا يزال يعاني من آلام الجراح التي تركتها في جسمه

معركة (مالبلاكيه) فإنه تسلم قيادة الجيش يوم (٢٠) نيسان (ابريل)، وخصص كل وقته حتى نهاية شهر أيار (مايو) لإعادة تنظيم الدفاع وقيادة الأعمال القتالية الدفاعية حتى أرغم القائد الانكليزي (أرموند) على سحب قواته من ميدان القتال. ونظراً لتراجع انكلترا واقتصار عملياتها القتالية على المعارك بعيداً عن مسرح العمليات الاوروبي، وممارسة القتال بشكل غير مثمر على مسافة قريبة من البحر. فقد أخذ الامير (اوجين) المبادأة، واستولى على (لوكيسنوي) بتاريخ ٤ تموز (يوليو) وتحرك بعد ذلك الى (لاندرسي) حيث عمل على تنظيم حصار دقيق حولها. ونظم بعد ذلك المجموعة الأخيرة من الأعمال القتالية في الحرب. والتي تمثلت بمعركة (دينان) وهي المعركة التي انقذت العرش الافرنسي وأكملت تمزيق التحالف المضاد لفرنسا.

كان الأمير (اوجين) قد نظم خطوطه الدفاعية خلف مجموعة من الحواجز والعوائق، وذلك بهدف حماية معسكراته حول (لاندرسي) المحاصرة. وقد استطاع (اوجين) وجيشه انجاز التحصينات وإقامة الحواجز بسرعة مذهلة، بحيث انه لما وصل القائد الافرنسي (فيلار) وجد بأنه من الصعب القيام بالهجوم على هذه المواقع القوية والضخمة. وشعر (فيلار) بالقلق، فأخذ في البحث عن فرصة يستطيع استثمارها لاختراق الدفاع. وكان طريق قوات (الامير اوجين) الذي يقوم بحصار (دينان) يمر من (شيلدت) فقرر (فيلار) القيام بالهجوم على هذه النقطة. وفي الساعة التاسعة من مساء يوم (٢٤) تموز (يوليو) ١٧١٢. انتشر الجيش الافرنسي بكامله على الضفة الشمالية لنهر (شيلدت). وأسرع الامير (اوجين) لاحضار جيشه من (لاندرسي) لزجه بأقصى سرعة ممكنة. ولكن وقبل وصوله بوقت طويل استطاعت القوات الافرنسية اختراق الخطوط الدفاعية بسرعة العاصفة وتدميرها. واستثمر (فيلار) انتصاره على الفور، وذلك بدفع قواته للاستيلاء على (مارشين)[٧٥] و (سانت آماند)[٧٦] وتم له ذلك. وكانت هذه المواضع تضم جميع مستودعات (الأمير اوجين) ومخازنه الاحتياطية ومدافعه ومواده

(٧٤) دينان: (DENAIN) مدينة في (فلا نسيين: VALENCIENNE) وفيها ميناء على نهر الايسكوت (ESCAUT).

(٧٥) مارشان: (MARCHIN - AU - PONT) مدينة بلجيكية اقليم (هينوت HAINAUT).

(٧٦) سانت آماند: (ST. AMAND) قاعدة (الفلاندر) الاساسية ومركز (ماستريتش).

التموينية. ووجد (الامير اوجين) نفسه مرغماً في يوم (٢) آب (أغسطس) على رفع الحصار عن (لاندرسي) والتراجع عبر الطريق البعيدة التي تمر خلف (مونس) في حين كان القائد المساعد (لفيلار) يستعيد (دواي) و (بوشين) في ايلول وتشرين الأول (سبتمبر واكتوبر). وتم التوقيع على معاهدة (اوتريخت) من قبل جميع المتحاربين- عدا النمسا- في العام ١٧١٣. وانتهت بذلك حرب الوراثة الاسبانية بالنسبة الى (هولاندا وانكلترا)، ولكن امبراطور (النمسا) قرر متابعة الصراع وحده لسنة أخرى، ولكن المحاربين الذين اتعبتهم الحرب قبلوا التسليم باحتلال (فيلار) لمدينة (لاندو) بتاريخ (٢٢) (يوليو) ١٧١٣. و (فريبورغ) يوم (٢١) تشرين الثاني (نوفمبر) بعد معركة حاسمة. وتم التوقيع على معاهدة (راستات) بين النمسا وفرنسا في (٧) آذار (مارس) ١٧١٤. وبذلك اسدل الستار النهائي على (حرب الوراثة الاسبانية)

٧- حرب الوراثة الاسبانية في اسبانيا والبحر

تبرز أهمية الدور الذي اضطلع به (مارلبورو) في الواقع من خلال ثلاث معطيات (أو عوامل) وهي: ١- تصعيد الصراع المسلح في اوروبا مما أرغم فرنسا على تركيز جهدها على هذه الجبهة واستنزاف قدرتها في الصراع البري (القاري)، ٢- افادة انكلترا من هذا الموقف لتطوير قدرتها البحرية والاستيلاء على كثير من المواقع ذات الأهمية (الجيواستراتيجية) الكبرى مما مهد لظهور انكلترا كأكبر واعظم قدرة بحرية في القرن الثامن عشر. الأمر الذي ساعد انكلترا خلال المرحلة التي جاءت بعد (حرب الوراثة الاسبانية) من اجل تطوير استعمارها للعالم. ٣- ارغام (فرنسا) في النهاية على تجريدها من قدراتها وتقديم تنازلات لمصلحة انكلترا. وكان جهد (مارلبورو) هو اساس هذه التطورات كلها. وقد ابرز العرض السابق دور (مارلبورو) المباشر في التأثير على مسرح العمليات الاوروبي. وقد يكون من المناسب - إكمالاً لصورة الموقف- متابعة النتائج غير المباشرة لجهود (مارلبورو) عبر استقراء سريع لمسيرة الاحداث على مسارح العمليات الاخرى وما انتهت اليه من نتائج في معاهدات الصلح.

أ- نصر الحلفاء في قادس (١٧٠٢): صدرت التعليمات الى الامير الانكليزي

السير (جورج روك)[٧٧] في منتصف العام (١٧٠٢) للاستيلاء على (قادس) بهدف استخدامها كقاعدة للعمليات المقبلة في البحر الأبيض المتوسط. وكانت قيادة الحلفاء تعتقد أن الاسبانيين سيعترفون بالارشيدوق (شارل) ملكاً عليهم بمجرد قصفهم بالقنابل. وكان من المتوقع على كل حال أن يحجم الاسبانيون عن استقبالهم لمرشح ملك فرنسا طالما أنه لا يتمتع بدعم جيوش الحلفاء له. وعلى ضوء هذا الموقف فإنه لم يكن بالمستطاع تطوير محاولة (قادس) ودفعها بقوة، وبهذا المعنى يمكن القول ان المحاولة كان مقدراً لها الفشل سلفاً.

ولقد وجه (روك) القوة البحرية الانكليزية في اتجاه الشمال عندما علم بأن الاسطول الاسباني الذي يحمل ثروة ضخمة قد دخل (خليج فيغو)[٧٨] فقررت قيادة الحلفاء على الفور حرمان خصومها من الحصول على الثروة والاستيلاء عليها لأنفسهم. وقاد (روك) قواته البحرية، واقتحم بها الخليج، وتم انزال وحدات بحرية بقيادة (ارموند) للهجوم على قلعة المدينة. وفي حين كان (روك) يدفع الى الأمام فصيلة خاصة امكن لها اقتحام التحصينات بقوة (وهي التحصينات التي شكلت عائقاً أقامه الافرنسيون لاقفال المدخل الى الخليج ومنع الوصول الى رصيف الميناء). ثم تابعت قوة الانزال طريقها وتمكنت من احتلال الميناء يوم (١٢) تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٠٢ م. وخلال الاشتباك العنيف الذي تبع ذلك نجح (روك) في اغراق وأسر (٢٤) قطعة حربية علاوة على (١٧) غليوناً[٧٩] كما استولى على ثروة ضخمة تساوي مليوني جنيه استرليني.

ب- انضمام البرتغال الى الحلفاء (١٧٠٣): انضمت البرتغال الى الحلفاء في

---

(٧٧) جورج روك: (GEORGE ROOKE) اميرال انكليزي. من مواليد (سانت لوران: SAINT - LAURENT) من اقليم (كانتربري: CANTERBURY) ١٦٥٠- ١٧٠٩.

(٧٨) فيغو: (VIGO) مدينة اسبانية في اقليم (بونتيفيدرا : PONTEVEDRA) وفي المدينة خليج شهير يقع على المحيط الاطلسي.

(٧٩) الغليون: (GALIOTE) سفينة شراعية صغيرة (حربية او تجارية) كان الاسبان والبرتغاليون يستخدمونها بين القرن الخامس عشر والقرن الثامن عشر.

العام ١٧٠٣، وأصبح بالامكان استخدام (لشبونة) كقاعدة بحرية. ولكن ارسال الاميرال الانكليزي (كلوديسلي شوفل) قد تم في وقت متأخر جداً، بحيث انه عندما وصل الى البحر الأبيض المتوسط لم يجد أهدافاً يستطيع التعامل معها، وعند عودته دمر كثير من قطعه البحرية أثناء عبورها القنال بسبب اصطدامها بعاصفة كبيرة هوجاء في يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧٠٣، وقد بذلت جهود ضخمة في العام (١٧٠٤) للوصول الى نتيجة حاسمة، فأبحر روك في شهر شباط (فبراير) مغادراً انكلترا، وقام بالانزال في أرض (الارشيدوق شارل) في (لشبونة) ومعه وحدات تضم ألفي مقاتل انكليزي وهولاندي، بهدف التعاون مع البرتغاليين لغزو اسبانيا. ثم قاد (روك) اسطوله عبر مضيق جبل (طارق) على أمل أن تتوافر له الفرصة المناسبة للقيام بالهجوم على (طولون) وذلك بالتعاون مع (دوق سافوا) الذي كان قد انضم الى الحلف حديثاً. وكان زمن هذه العملية يتوافق مع تقدم (مارلبورو) عبر ألمانيا ومسيرته الى (بلينهايم). وبذلك يمكن اعتبارها ضربة معاكسة للهجوم الافرنسي الموجه ضد (فيينا). ولكن، وكما حدث مرات كثيرة بعد ذلك، فقد فشل التعاون مع (دوق سافوا) وأجريت محاولة لتحقيق انتصار عن طريق (برشلونة) لدعم قضية (الارشيدوق). ولكن الحاكم رفض قبول قوات الحلفاء. وفي الوقت ذاته نجح (كونت تولوز) في احضار اسطول الهجوم الافرنسي الى البحر الأبيض المتوسط. وعلى الرغم من تحرك الاسطول الافرنسي تحت مراقبة الاسطول الانكليزي بقيادة (روك) فان تحرك القطع البحرية الانكليزية كان بطيئاً جداً، بحيث انها لم تتمكن من اللحاق بالافرنسيين الذين دخلوا ميناء (طولون) بدون أن تعترضهم أية مقاومة، وبذلك أمكن لهم توحيد قواتهم البحرية الرئيسية العاملة في المحيط الأطلسي وفي البحر الأبيض المتوسط. وأمام هذا الموقف اضطر (روك) الى عبور مضيق جبل طارق، ومقابلة (شوفل) والنمساويين بين رأس (سانت فانسان) و (قادس) حيث عاد بعدها من جديد الى البحر الأبيض المتوسط لمراقبة الاسطول الافرنسي.

ج- استيلاء الانكليز على جبل طارق (١٧٠٤): اتخذ قادة الحلفاء قرارهم التاريخي باحتلال جبل طارق ودفع نطاق نشاطهم وفاعليتهم الى افق ثلاثمائة ميل فيما

وراء (لشبونة). وبعد مرحلة طويلة من التحضير للعملية والاستعداد لتنفيذها، قاد الاميرال الانكليزي (جورج بينغ) الحملة الى هدفها. وبدأ بقصف القلعة، واستخدم في ذلك بعض القطع البحرية الخاصة وذلك في يوم (٢٣) تموز (يوليو) ١٧٠٤، وفي الوقت ذاته، كان الامير النمساوي (جورج) يقوم بانزال قوة (١٨٠٠)) مقاتل من رجال البحرية الانكليزية. ونجح في تمزيق الدفاع المحيط (بقشتالة). وكانت القوات المدافعة عن جبل (طارق) ضعيفة في قوتها ووسائطها، فتم انزال قوة بحرية للقيام بهجوم فوري، وأمكن تطويق الموقع في اليوم التالي. وترك (روك) الامير (جورج) ومعه تسعمائة بحار في جبل (طارق) وذهب للبحث عن طريقة يصل بها الى (تولوز). وفي يوم (٩) آب (أغسطس) وقفت الاساطيل الافرنسية والانكليزية متقابلة في البحر. وفي هذا الموقف، بدأت البحرية الافرنسية بالتراجع، ثم حاولت بعد ذلك مضاعفة سرعتها من جديد، والتحرك بصورة قريبة من الشاطيء وموازية له. وتابع (روك) هذه المناورة، وتقدم بمرونة حتي صار قريباً من الافرنسيين، واشتبك معهم في معركة بحرية (خارج مالاقا). في يوم (١٣) آب (أغسطس) وانتهت المعركة بالحاق هزيمة حاسمة بالقوات البحرية الافرنسية. وعادت البحرية الانكليزية بعدها الى (لشبونة) لاعادة اصلاح القطع البحرية المعطوبة واعادة التنظيم استعداداً لمتابعة الصراع. وهنا تقرر ترك الامير (جورج) مع قوة البحارة بكاملها، وبعض القطع البحرية والمدافع والمواد التموينية، وذلك بمهمة الدفاع عن (جبل طارق). وبدأ الامير (جورج) على الفور بالهجوم البري- البحري بقوات متفوقة على الاسبانيين تفوقاً ساحقاً. ولكنه لم يتمكن من متابعة عملياته بسبب استبدال (روك) بالاميرال الانكليزي (ليك) الذي وصل من (لشبونة). وقد تم تعيينه لممارسة القيادة بدلاً من (روك) الذي رجع الى انكلترا. وخلال هذه المرحلة، ارسل الافرنسيون الماريشال (تيسيه) مع وسائط ضخمة للحصار، وحددت للماريشال (تيسيه) مهمة قيادة الهجوم البري. وتعرض الأمير (جورج) لضغوط قوية، ولكن (ليك) استطاع دعمه بقوة، وجهزه بالامدادات والتموين من جديد في كانون الأول (ديسمبر) ١٧٠٤. وبتاريخ (١٠) آذار (مارس) ١٧٠٥، دمرت قوات (ليك) قوات (بوانتيس) الافرنسي في موقعة (ماربيلا) مما اضطر (تيسيه) الى رفع الحصار.

د- قيام الحلفاء بغزو اسبانيا وممتلكاتها: وصل (شوفيل) و (لورد بيتربورغ) الى البرتغال في سنة (١٧٠٥) للانضمام الى جهاز القيادة، وبدأ الحلفاء هجومهم الآن وفق مخطط جديد. فتحركت القوة البحرية الى (لشبونة) حيث انضمت الى الحملة قوة (الجنرال ليك)، وتابعت الحملة طريقها الى جبل (طارق) حيث انضمت اليها أيضاً قوة (الامير جورج). وتابعت الحملة البحرية تحركها، وهدفها الوصول الى (برشلونة) وعند الوصول اليها عملت على تطويقها واحكام الحصار حولها حتى استسلمت في (٣) تشرين الأول (اكتوبر) ١٧٠٥. وقامت قوات الحلفاء باحتلالها، وأثناء الهجوم قتل (الأمير جورج) وهنا أسرع المرشح البوربوني (فيليب) الى (كاتالونيا) ومعه الماريشال (تيسيه) لتحرير (برشلونة) من قبضة الحلفاء. وأبحرت قوة بحرية افرنسية من (طولون) لدعم الهجوم البري الافرنسي. ولكن (ليك) استطاع احباط الجهود الافرنسية كلها، وأرغمهم على رفع الحصار بتاريخ ٣٠ نيسان (ابريل) ١٧٠٦. كما عمل (ليك) بعد أن تولى من جديد قيادة الاسطول على استخدام عامل الوقت بشكل جيد. فاستولى على مدينة (قرطاجنة) الاسبانية في الأول من حزيران (يونيو) ١٧٠٦. وليقنت في (٢٤) آب (أغسطس). ثم اتجه بحراً لاحتلال (جزر الباليئار) فاستولى على (ميورقة) و (يابسة) في شهر ايلول (سبتمبر). وفي الوقت ذاته كانت قوات الحلفاء تتقدم من البرتغال الى (مدريد) حيث تم لها الاستيلاء عليها يوم ٢٦ حزيران (يونيو) ١٧٠٦ ونصبت (الامير شارل) ملكاً على عرش اسبانيا. واستطاع (بيرويك) توحيد القشتاليين ضد الحلفاء وتنظيم المقاومة ونجح في ارغامهم على التراجع في اتجاه الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة الاسبانية، واستمر هؤلاء في تراجعهم حتى توقفوا عند حدود شاطىء (فالانسيا)

شهدت الفترة بين شهري تموز وآب (يوليو- وأغسطس) ١٧٠٦ محاولات جديدة للقيام بعمليات مشتركة ضد (طولون). ولكن (دوق سافوا) امتنع عن التدخل من جديد. وعاد (شوفيل) ومعه (١٢) قطعة بحرية فقط بعد أن دمرت سفنه في جزر (صقليا) يوم ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٧٠٧، ولم يبق سوى (ليك) الذي أخذ يمارس نشاطه الآن في البحر الأبيض المتوسط، واستطاع الاستيلاء على (سردينيا) في آب (أغسطس) ١٧٠٨ لصالح الحلفاء. وفي شهر ايلول (سبتمبر) ١٧٠٨ نجح الجنرال

الانكليزي (ستانهوب) في احتلال جزيرة (مينورقة) ثالث الجزر الكبرى من جزر الباليئار.

وصلت الحرب على مسرح العمليات الاسباني الى درجة كبيرة من الضعف والتدهور في سنة ١٧١٠، ولكن (ستانهوب) استطاع اقناع وحدات النمساويين بالانضمام اليه للقيام بغزوة جديدة . واستطاعت هذه الوحدات تحقيق بعض النجاح والوصول الى (مدريد) واحضار (الارشيدوق شارل). وتكررت الظروف السابقة ذاتها، ووجد الحلفاء أنفسهم مرغمين من جديد على التراجع نحو الشرق تحت ضغط قوات (دوق فاندوم) . وفي (٩) كانون الاول (ديسمبر) ١٧١٠ . امكن الحاق الهزيمة بقوات (ستانهوب) الذي وقع أسيراً في (بريهيغو). ولم يعد أمام الحلفاء غير الانسحاب بشكل منظم الى (برشلونة) التي أمكن المحافظة عليها والتمسك بها حتى تم توقيع معاهدة (اوتريخت). وفي البحر، نجح الاميرال الانكليزي (ويغر) في الاستيلاء على اسطول اسباني كان ينقل ثروة ضخمة، وذلك عند خروج هذا الاسطول من (قرطاجنة) في ايار (مايو) ١٧٠٨ . ومقابل ذلك، استولى القائد الافرنسي (دوغاي تروين) على قافلة بحرية بريطانية خارج (ليزارد) بتاريخ (٢٠) تشرين الاول (اكتوبر) وفي العام (١٧١٠) قاد الاميرال البحري الانكليزي (مارتان) قوة بحرية مدعمة بقوة امريكية من المستعمرات، ، واستولى على (نوفاسكوتيا) وكانت هذه العملية هي نهاية الصراع البحري في حرب الوراثة الاسبانية.

هـ **معاهدات الصلح ونتائج الحرب:** انتهت حرب الوراثة الاسبانية بعقد معاهدتي (اوتريخت) و (راستات) وتقع مدينة (اوتريخت) في البلاد المنخفضة (هولاندا) وفيها عقدت الاتفاقية، حيث بدأ المؤتمرون اجتماعاتهم في (٢٩) كانون الثاني (يناير) ١٧١٢ . ووقع الملك فيليب (ملك اسبانيا) تنازله عن حقه في وراثة عرش فرنسا. وبعد ذلك، وقعت انكلترا وفرنسا اتفاقية هدنة عاجلة للسلم، وجاء توقيع المعاهدة النهائية بتاريخ (١١) نيسان (ابريل) ١٧١٣ بين فرنسا وانكلترا، اعترف بموجبها الملك لويس الرابع عشر للبروتستانتيين بحق وراثة عرش (انكلترا) وايقاف دعمه لعائلة (ستوارت) وسلمت فرنسا لانكلترا (نيو فوند لاند- وهي جزيرة في أمريكا مساحتها ١١٠,٦٦٧

كيلومتراً مربعاً عاصمتها سان جان وكانت لفرنسا قبل العام ١٧١٣) كما تنازلت لها عن (نوفا سكوتيا- أو أكاديا- وهي اقليم في كندا يقع على الاطلسي) وكذلك جزيرة (سان كريستوف- أو- سان كيت) و (خليج هيدسون). كما تعهد الملك لويس الرابع عشر بتدمير التحصينات في (دنكرك). أما الاتفاقية بين فرنسا والاقاليم المتحالفة، فقد تركزت بصورة أساسية على ضمان حدود التحصينات، وكانت هذه التنظيمات الدفاعية على درجة كبيرة من التعقيد، وتمتد على مساحة واسعة، وكانت النمسا وبافاريا تركزان اهتماماً كبيراً على البلاد المنخفضة، ولهذا فانهما لم توافقا على شروط اتفاقية السلم. وقد منحت فرنسا الامبراطورية الالمانية امتيازات مماثلة لتلك التي منحتها لانكلترا، بالنسبة الى الاتفاقات التجارية التي تم التوقيع عليها في اليوم ذاته. وفي هذا الوقت ايضاً تم التوقيع على اتفاقات اخرى بين فرنسا وسافوا وبين فرنسا وبروسيا والبرتغال. وبموجب هذه الاتفاقات، استعاد (دوق سافوا) كلاً من نيس وسافوا. وتعهدت فرنسا بالحصول له على جزيرة (صقليا). وحصلت بروسيا أيضاً على بعض المكاسب الصغرى على الحدود، بما في ذلك قسم من (غيلدر لاند) و (نويشاتل). ومقابل ذلك، حصلت فرنسا وبشكل نهائي على مقاطعة (اورانج). أما المعاهدة بين فرنسا والبرتغال فقد تركزت بصورة أساسية على التسوية البرتغالية للبرازيل، واعترفت فرنسا لها بذلك. وهناك اتفاقات اخرى تم توقيعها في (اوتريخت) بين اسبانيا والحلفاء، وقعها (فيليب) الذي أصبح منذ ذلك الوقت الملك الشرعي والمعترف به لاسبانيا.

وقعت انكلترا مع اسبانيا اتفاقية في (١٣) تموز (يوليو) ١٧١٣، نظمت بموجبها بعض العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين الاقليمين في السابق. وسلمت اسبانيا لانكلترا جزيرة (مينورقة) الاسبانية وجبل (طارق) ووعدت باعطاء (صقليا) الى (سافوا) . كما منحت لانكلترا امتيازاً لمدة ثلاثين عاماً باحتكار تجارة الرقيق بين اسبانيا وأمريكا. وبذلك انتزعت انكلترا من فرنسا ما كانت تبتغيه من مكاسب. وتلك هي أهم بنود الاتفاقية. أما اتفاقية السلم بين اسبانيا والاقاليم المتحالفة فانها لم توقع قبل (٢٦) حزيران (يونيو) ١٧١٤ . ولكن الفصل النهائي من الاتفاقية بين اسبانيا والبرتغال تأخر حتى شهر شباط (فبراير) من سنة ١٧١٥.

كانت الاقاليم المتحالفة مهتمة بصورة رئيسية بالأمور التجارية، فأعطت اسبانيا لهذه الأقاليم أفضل الشروط لتنظيم العلاقات التجارية. وقد اشترطت معاهدة (اوتريخت) ايضاً التعويض للامبراطور (شارل الرابع) امبراطور جرمانيا، بمجرد موافقة الامبراطور (شارل) على تقديم طلب بذلك الى اسبانيا.

كان من المفروض أن يتسلم (شارل الرابع) مدينة (نابولي) ومدينة (ميلانو) والأراضي المنخفضة التي كانت معروفة باسم الأراضي المنخفضة النمساوية، ولكن التسوية السلمية الشاملة لم تتحقق بسبب استمرار الصراع بين فرنسا والامبراطور شارل. وعلى كل حال فلم تمض سوى فترة قصيرة حتى أدرك (شارل الرابع) بأنه لا يستطيع متابعة الحرب طويلاً مع فرنسا دون وقوف حلفاء الى جانبه. ولذلك قابل ممثله (الامير اوجين) الماريشال (فيلار) الافرنسي في (راستات) خلال شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٧١٣. وتم توقيع اتفاقية الصلح في (٧) آذا ر (مارس) ١٧١٤. ووقع (شارل الرابع) الاتفاقية دون انتظار حضور ممثلي الامارات والمقاطعات المختلة للامبراطورية. وكان حضورهم ضرورياً لضمان السلم، وعلى هذا تقابل ممثلو بعض الامراء في الامبراطورية مع أقرانهم من الافرنسيين في (بادن) بتاريخ ٧ (أيلول- سبتمبر- ١٧١٤). ووقعت اتفاقية (بادن) التي وضعت حداً نهائياً للحرب. وكانت هذه الاتفاقية آخر معاهدات السلم العام المتفق عليه في معاهدة (اوتريخت) وقد تركزت المعاهدة الأخيرة بكاملها على قضية تنظيم الحدود بين فرنسا والامبراطورية للعودة بهذه الحدود الى مثل ما كانت عليه قبل اندلاع حرب الوراثة . باستثناء واحد هو اكتساب فرنسا لاقليم (لاندو). ولقد تضمنت معاهدة (اوتريخت) قضية الاتفاقات المحورية التي عقدت خلال الحرب. وأمكن بذلك تسوية مشاكل الحدود بشكل نهائي وحاسم.

٨- الصفحة الاخيرة من حياة (مارلبورو)

لقد عزل (مارلبورو) عن قيادته في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٧١٠، وقد كان هذا العزل مرتبطاً في الواقع بمجموعة من الاحداث والتطورات التي وقعت في (انكلترا) بعيداً عن مسرح العمليات. ولقد برز دور (مارلبورو) من خلال التحالف الذي نجح في إقامته مع بداية (حرب الوراثة الاسبانية) بين حزبي (التوري والويغ). غير

أن هذا التحالف لم يلبث أن ضعف تدريجياً وانتهى بأنتصار الحزب على التحالف، فعاد الحكم خاضعاً لتكتل حزب واحد يقوده رجل واحد يتمتع بثقة الملكة (آن). وقد حدث ذلك في سنة (١٧٠٨) عندما أصبح حزب (الويغ) هو الحزب الحاكم، ثم تكرر الأمر ذاته في سنة (١٧١٠) عندما تولى حزب (التوري) ادارة الحكم.

لقد كان سقوط (التحالف) والعودة الى حكم (الحزب) هو فشل سياسي ذريع (لمارلبورو). وقد تعرض زعيم حزب التوري (غودولفين) الذي كان الدعامة التي يستند اليها (مارلبورو) الى هجوم مزدوج، هجوم من حزبه (التوري) بوصفه معتدلاً تبنى اهداف الحرب التي ارادها ووضعها (حزب الويغ) وابرزها (لا صلح مع فرنسا بدون اسبانيا) وهجوم من حزب الويغ باعتباره قائد الحزب المنافس (حزب التوري) فكان لا بد من سقوطه، ومن سقوط (مارلبورو) معه. وخلال هذه الفترة أظهر (مارلبورو) جشعاً مباغتاً للأموال، ولو أن هذا الجشع لم يؤثر على عنايته بجنوده والاهتمام بهم وتأمين كل متطلباتهم. كما أن جشعه هذا لم يدفعه لارتكاب الاعمال التي قد تسيء الى شرفه. وكل ما في الأمر هو أنه حاول الافادة من مركزه قدر المستطاع وبأكثر مما هو مستطاع. شأنه في ذلك شأن معاصريه ممن يعملون في خدمة الدولة. وكان (مارلبورو) مميزاً عن معاصريه بما يمتلكه من احساس كبير بالمسؤولية مما ضمن له البقاء في مركزه حتى بعد عودته من ميادين القتال. غير أن وجهات نظره السياسية الخاطئة باتت تتزايد انحرافاً يوماً بعد يوم بسبب عدم واقعيتها، وبسبب تجاوز مسيرة الاحداث لها. ففقد (مارلبورو) اهميته في القيادة السياسية بمثل ما فقد من قبل كفاءته في القيادة العسكرية. وقد برز ذلك عند اقتراع مجلس الشيوخ (السيناتور) في سنة ١٧١١ «على مبدأ: لا سلم بدون اسبانيا» فسقط هذا المبدأ ليحل محله المبدأ الذي رفعه حزب التوري والذي يقضي بالصلح مع فرنسا. وتم عزل (مارلبورو) عن منصبه. ليتعرض بعد ذلك لضغوط مختلفة لم يكن أقلها تلك الاتهامات التي وجهت اليه عن رشاوى تقاضاها من المتعاقدين على تأمين الخبز للجيش- وكان هؤلاء معظمهم من اليهود على نحو ما سبق ذكره- بالاضافة الى رفضه ترفيع العقيد (هيل) والذي كانت زوجته السيدة ماشام قد أصبحت حظية الملكة آن، وحلت محل زوجة مارلبورو في هذا المركز. وأمام هذا الموقف حاول (مارلبورو) استعادة مكانته فتقدم الى الملك بطلب من أجل تعيينه قائداً عاماً لجيوش الامبراطورية

مدى الحياة. وفي الواقع، فإن انكلترا كانت تفتقر لمن هم في قدرة (مارلبورو) وكفاءته، وكان من الطبيعي أن يتم اسناد هذا المنصب له فيما لو كانت الظروف المحيطة به طبيعية. غير أن هذا الطلب جاء في ظروف غير طبيعية- مشحونة بالعداء ضد مارلبورو- مما اضطر الملكة آن- لرفضه في شهر كانون الثاني - ديسمبر- ١٧١١ م. وفي سنة (١٧١٢ م) ظهر (مارلبورو) من جديد في (هولاندا) ليتعاون مع (اليعاقبة) بصورة غير مباشرة في هذه المرة- وعن طريق ابن شقيقته (الدوق بيرويك). وقد اسدل ستار كثيف على حياة (مارلبورو) خلال الفترة التالية بحيث لم يعرف عنها الا النزر اليسير.

توفيت الملكة (آن) في ساعة مبكرة من اليوم الأول من شهر آب (أغسطس) سنة ١٧١٤. وأصبح (جورج الهانوفري) ابن (صوفيا) - المومس القديمة- كما كان يسميها الانكليز ملكاً على انكلترا. فعاد (مارلبورو) الى انكلترا، ليعيش على مقربة من الاحداث المتوقعة بالنسبة لقضية (الوراثة البروتستانتيه). وعمل الملك جورج على اعادة الاعتبار (للدوق مارلبورو) وتعيينه في المراكز التي كان يحتلها. ولكن أيام الصراع كانت قد وصلت الى نهايتها في حياة (مارلبورو) وكانت آخر نشاطاته العسكرية قد تركزت على ضرورة اتخاذ التدابير المناسبة لمقاومة أول تمرد قام به (اليعاقبة) في سنة ١٧١٥، حيث حاول (مارلبورو) ممارسة دوره القديم- ايام جيمس الثاني- وذلك بممارسة ضغط مستخدماً في ذلك قوة السلاح- هذه المرة- وقام - مارلبورو- بجولة لمختلف المناطق زادت من سوء حالته الصحية، فأصابته أزمة حادة في سنة ١٧١٦ ألزمته على البقاء في منزله والخلود الى الراحة بقية الايام التي عاشها في حياته. وانقطع (مارلبورو) عن ممارسة أي نشاط عام حتى توفي يوم ١٦ حزيران (يونيو) ١٧٢٢. بعد أن عانى من الأزمة القلبية للمرة الثالثة.

نقل (مارلبورو) بعد موته الى كنيسة (ويسمينستر- آبي) حيث مقبرة ملوك انكلترا وعظمائها وقد دفن بكل المراسم المخصصة لعظماء الدولة. ونقلت رفاته بعد ذلك الى ضريح خاص في (بلينهايم) حيث يقوم حتى اليوم النصب التذكاري في (ريزباك).

لقد توفي الابن الوحيد (لمارلبورو)- لورد بلاندفور- في عمر مبكر على نحو ما سبق ذكره. غير أن البرلمان الانكليزي اتخذ قراراً في سنة ١٧٠٦ بنقل القاب النبلاء التي

حازها (مارلبورو) الى احفاده من بناته الاناث وذلك حتى يتم الحفاظ على الدوقية ومراسم الشرف في العائلة. وهكذا انتقل لقب (الدوق) الى اكبر ابناء ابنته البكر (هنرييت) التي كانت متزوجة من اخلص اصدقاء مارلبورو (غودولفين) غير أن هذا الابن توفي ولم يخلف ورثة له. فانتقل لقب (الدوق) الى الابنة الثانية (الليدي آن) التي كانت متزوجة (بشارل سبنسر) الملقب (بايرل ساندرلاند) وأصبح ابنه (شارل هو الوريث الثالث للقب الدوق) ومن هذا الابن استمر لقب (دوق مارلبورو) في الانتقال بين سلسلة الابناء الذكور وبقي كذلك حتى اليوم.

لقد ابرز العرض السابق العبقرية العسكرية الأصيلة (لمارلبورو).واهم ظواهرها قدرته على اعداد الظروف المناسبة للمعركة في اطار الحروب المحدودة والقيود التي تميزت بها حروب نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن عشر. وكانت العوامل التي ساعدت (مارلبورو) على اعداد هذه الظروف هي سرعته في التحرك والمباغتة والكفاءة في تنظيم المناورات الخداعية وتنفيذها والتصميم على انتزاع النصر الحاسم. وكانت حماسته لخوض المعركة تزيد على حماسة كل القادة المعاصرين له، سواء هؤلاء الذين اشتركوا معه في قيادة الحرب أو اولئك الذين تصدوا لمحاربته. وتميز (مارلبورو) على معاصريه ايضاً بقدرته على تقويم اهمية المواقف الاستراتيجية والافادة منها بقدر استثماره لأفضل الطرائق التعبوية (التكتيكية) المتناسبة مع اهدافه الاستراتيجية ومع مخططاته على مستوى العمليات.

وكان (مارلبورو) بعد ذلك مميزاً بروحه الهجومية. فكان على استعداد لقبول التضحيات الكبيرة في الارواح مقابل ما يتم احرازه من نصر. وكان (مارلبورو) يحرص باستمرار على اقناع القائد العدو بزج قواته الاحتياطية على موجات متتالية، يتم استنزافها تباعاً الى أن تأتي اللحظة المناسبة فيزج (مارلبورو) بكتلة قواته الاحتياطية في النقطة الحاسمة، فيكون له التفوق الحاسم بالقوى مما يضمن له تحقيق النصر.

وتميزت معارك (مارلبورو) على مستوى العمليات بالمرونة الكبيرة في استخدام القوى مع الحرص على تطبيق مبدأ (الاقتصاد بالقوى) الى ابعد الحدود عن طريق الاستمرار في ممارسة ضغوط متصاعدة على قوات العدو حتى تفقد هذه القوات اتزانها

فيتم قذفها الى خارج المعركة. وكان (مارلبورو) يعتمد باستمرار على (قوة صدمة الفرسان- الخيالة) لحسم الصراع وانتزاع النصر. وكان يستفيد في كل مرة من اخطاء قادة قوات خصمه لتوجيه ضربته في الزمان والمكان المناسبين.

لقد احرز (مارلبورو) في حياته القيادية انتصارين استراتيجيين في (بلينهايم وراميلييه) اما بقية انتصاراته فكانت انتصارات على مستوى مسرح العمليات وانتصارات تعبوية (تكتيكية).

وبعد- فقد اقترنت كل حرب عبر التاريخ، باسم قائد أو عدد من القادة، الذين كان لهم شرف خوضها واحراز انتصاراتها. واقترنت اسماء القادة بمواقع الحروب التي ابرزت كفاءاتهم القيادية وقدراتهم القتالية. وهكذا كان لكل حرب ابطالها وقادتها. وكان لكل بطل أو قائد معركته أو حربه. وقد بقي هذا الاقتران بين القائد والحرب اقتراناً ثابتاً، فلا حرب بدون قائد ولا قائد بدون حرب، إذ يبقى القادة بدون ممارسة قيادة فعلية في ميادين القتال مجرد ظلال باهتة لا تترك على صفحات التاريخ اثراً يذكر مهما بلغ حجم الدور الذي يمارسونه في الادارة والحكم. ولم ينقص هذا الدور للقائد في ظروف التقنيات الحديثة، وفي ظروف تطور هيئات الاركان، وتوسع مجالات اعمالها واختصاصاتها. إذ تبقى المعركة (أو الحرب) مرتبطة بكلمة واحدة هي (القرار) الذي يتم اتخاذه في الوقت المناسب ويتم تنفيذه في اللحظة المناسبة. وهذا بدقة ما صنع من (مارلبورو) قائداً حقيقياً وجندياً بارزاً.

ومن هنا، فستبقى حرب الوراثة الاسبانية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باسم القائد (مارلبورو) على الرغم من وفرة القادة الذين اشتركوا فيها واشتهروا بها. وبالمقابل، فسيبقى اسم (مارلبورو) مقترناً (بحرب الوراثة الاسبانية) على الرغم من حدوث اعمال قتالية كثيرة بعيدة عن مسرح عمليات (مارلبورو). ولقد برزت في ادارة هذه الحرب اسماء عدد من الملوك والقادة، لم يكن اقلهم الملك الشمس (لويس الرابع عشر) و (الامير اوجين) والماريشال (فيلار) و (الماريشال (تالارد) مروراً ببقية القادة امثال فيللروا وماراسان وفاندوم وبيرويك ونهاية باسماء عدد كبير جداً من القادة الذين توافرت لهم في بعض المعارك ظروف مناسبة لابراز عبقرية عسكرية اصيلة. غير

أن اسم (مارلبورو) طغى على هذه الاسماء جميعها.

وقد يكون السبب في ذلك هو ما نجم عن هذه الحرب من نتائج مصيرية القت ظلالها على مستقبل اوروبا لعهود طويلة. وتبقى الاهمية الثابتة (لدور مارلبورو) من وجهة نظر (فن الحرب) هو أنه ابرز الصورة المثلى والنموذج الاعلى لما كانت عليه الحرب، ولما كان عليه قادتها ولما تميزت به عملياتها وطرائقها في بداية القرن الثامن عشر.

المراجع الرئيسية للبحث:

1- BLENHEIM - DAVID GREEN - PUB . (COLLINS) « 1974

2 - MARLBOROUGH'S CAMPAIGN (I. F. BECKETT) SHIRE PUBLICATIONS L T D, (MARCH - 1973)

3 « BRITISH POLITICS IN THE AGE OF ANNE (GEOFFREY HOLMES) MAC MILLAN - 1967

4 - THE DEVIDED SOCIETY (HOLMES - AND - SPECK) EDWARD ARNOLD. 1967.

5 - BRITAIN AFTER THE GLORIOUS REVOULUTION (GEOFFREY HOLMES) PAPER MAC. 1969.

6 « THE GROWTH OF POLITICAL STABILITY (J. H. PLUMB) PENGUIN EDITION - 1967.

7 - WILLIAM 111 AND LOUIS XIV (R. HATTON) LIVERPOOL - 1968

8 - MARLBOROUGH . (ROBERT. INNES - SMITH) PUB. ENGLISH LIFE PUBLICATION L T D . 1974

فهـــرس الكـــتاب

* الوجيز في حياة مارلبورو. ٥
* المقدمة ٧
الفصل الأول : جون تشرشل دوق مارلبورو ـ طفولته وشبابته ٩
الفصل الثاني : الحرب في اطارها التاريخي . ٣١
١ـ حرب الوراثة الاسبانية واسبابها . ٣٣
٢ـ المراحل الرئيسية للحرب . ٣٩
٣ـ الحرب وطبيعتها . ٤٧
آـ ادارة الحرب . ٤٨
بـ الاساليب التعبوية (التكتيكية) . ٥٣
جـ الالبسة العسكرية . ٥٧
دـ قادة الحرب ٦٠
*ـ الجيش الافرنسي ٦٠
* *ـ الجيش الامبراطوري . ٦٤
* * * ـ الجيش الانكليزي ٦٥
الفصل الثالث : مارلبورو ـ وحرب الوراثة الاسبانية ٦٩
١ـ المراحل الاولى من الحرب (١٧٠٢ـ ١٧٠٤) ٧١
٢ـ معركة (حملة) بلينهايم (١٧٠٤) ٧٨
٣ـ معركة (حملة) راميلييه (١٧٠٦) . ١٠٠
٤ـ معركة (حملة) اودينارد (١٧٠٨) . ١١١
٥ـ معركة (حملة) مالبلاكيه (١٧٠٩) . ١١٩
٦ـ نهاية حرب الوراثة الاسبانية في اوروبا (١٧١٠ـ ١٧١٣) ١٢٧
٧ـ حرب الوراثة الاسبانية في اسبانيا والبحر. ١٣١
٨ـ الصفحة الاخيرة من حياة (مارلبورو) . ١٣٨
مـــراجع البحث . ١٤٣
* * الفهرس ١٤٤

تميزت حياة جون تشرتشل، دوق مارلبورو الأول بأنها كانت حياة مثيرة وشديدة التعقيد. ذلك لأن عمله في مجالي الحرب والسياسة، جندياً ورجل دولة، كان من العوامل الحيوية في ثراء انكلترا ونفوذها خلال عهد الملكة (آن) وخلال السنوات والعهود التالية. وقد اكتسبت اعمال (مارلبورو) اهميتها من خلال تأثيرها في مسيرة الأحداث السياسية لا في انكلترا وحدها، بل في اوروبا كلها خلال الفترة الكائنة بين نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر. وليس من الغريب بعد ذلك أن يقام له نصب تذكاري ومتحف في (بلينهايم) حيث خاض اشهر معاركه وأحرز أضخم انتصاراته.

وليست زيارة عشرات الألوف سنوياً لذلك المتحف إلا برهاناً على تقويم الأوروبيين لحياة هذا القائد وتأثيره العميق في صنع تاريخهم، واذا كان هناك رجل يمكن اتخاذه رمزاً يمثل عصر الملكة (آن) فقد لا يكون من هو أجدر من (جون تشرتشل) للقيام بهذا الدور، إن من حيث كونه رجل حرب أو سياسة حتى بات اسمه كالشمس بين الكواكب.

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر

بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١/ ٨٠٧٩٠٠

برقياً "موكيالي" بيروت - ص.ب : ١١/٥٤٦٠ بيروت

الثمن : ٨ ل.ل.

أو ما يعادلها